الجامع في الهدايات القرآنية

سُورَة المائدة

جمع واستنباط

نخبة من الأساتذة وطلاب العلم في التفسير والقراءات والحديث والعقيدة والفقه وأصوله واللغة العربية والتربية والعلوم الطبية وغيرها، من مختلف دول العالم عبر مجموعة واتساب متخصصة في الهدايات القرآنية

إشراف

أ.د. طه عابدين طه

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

رعاية

كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

ومؤسسة النبأ العظيم الوقفية بمكة المكرمة

أولاً: فضل سورة المائدة:

هذه السورة من أكثر سور القرآن ذكراً لآيات الأحكام، فقد ذكر فيها أحكام الصيد، ونكاح الكتابيات، وطعامهم، واتخاذ الكفار أولياء، وحد السرقة، وحد الحرابة، والقصاص، والعقود، والعهود، وأحكام كفارة اليمين، وحكم الخمر، والطهارة، والتيمم، وغيرها من الأحكام العظيمة التي وردت في هذه السورة العظيمة، قال ابن تيمية: "سُورَةُ الْمَائِدَةِ أَجْمَعُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ لِفُرُوعِ الشَّرَائِعِ مِنْ التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ" [الفتاوى ١٤/٤٤٨].

وقال القرطبي: قال أبو ميسرة: المائدة من آخر ما نزل ليس فيها منسوخ، وفيها ثماني عشرة فريضة ليست في غيرها، وهي: الْمُنْخَنِقَةُ، وَالْمَوْقُوذَةُ، وَالْمُتَرَدِّيَةُ، وَالنَّطِيحَةُ، وما أَكَلَ السَّبُعُ، وما ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ، وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلامِ، وما عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوارِحِ مُكَلِّبِينَ، وَطَعامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ وَالْمُحْصَناتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ، وتمام الطهور: إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ أي: إتمام ما لم يذكر في سورة النساء - وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ ولا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إلى قوله: عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ. ما جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ، وَلا سائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حامٍ. وقوله تعالى: ﴿ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ ﴾ [المائدة: ١٠٦] الآية. ثم قال القرطبي: قلت: وفريضة تاسعة عشرة وهي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [المائدة: ٥٨]. فليس للآذان ذكر في القرآن إلا في هذه السورة، أما ما جاء في سورة الجمعة فمخصوص بالجمعة. وهو في هذه السورة عام لجميع الصلوات» (تفسير القرطبي ٦/٣٠).

- وجاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (تعلموا سورة البقرة والنساء والمائدة وسورة النور والأحزاب، فإن فيهن الفرائض). [تفسير السمعاني (٣٦٥/٧)].

ثانياً: اسم السورة وسبب تسميتها:

قال ابن عاشور: " هذه السورة سميت في كتب التفسير، وكتب السنة، بسورة المائدة؛ لأن فيها قصة المائدة التي طلبها الحواريون من عيسى عليه السلام، وقد اختصت بذكرها"، وقيل: لأنها تحدثت عن الطعام الحلال الذي يوضع على مائدة المسلم، فأباحت طعام المسلمين، وأباحت طعام وذبائح أهل الكتاب. وتحدثت عن الحرام من الطعام والشراب الذي لا يجوز أن يكون على مائدة المسلمين.

*وسميت كذلك بسورة الأحبار؛ لاشتمالها على ذكرهم في قوله ﴿ لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ ﴾ [المائدة: ٦٣]

* وتسمى أيضا سورة العقود: إذ وقع هذا اللفظ في أولها.

* وتسمى كذلك بالمنقذة، وبسورة الأخيار، كما قال جرير:

إن البعيث وعبد آل متاعس   لا يقرآن بسورة الأخيار

ثالثاً: عدد آياتها ووقت نزولها:

عدد آياتها مائة وعشرون في عدّ الكوفي، واثنتان وعشرون في عَد الحجاز والشأْم، وثلاث وعشرون في عَدِّ البصرىّ.

قال ابن عباس، والضحاك: هي مدنية، وقال مقاتل: ((نزلت نهاراً، وكلها مدنية، وقال أبو سليمان الدمشقي: فيها من المكي: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾ [المائدة: ٣]، والصحيح أنها نزلت بعرفة يوم عرفة؛ فلهذا نسبت إلى مكة. (زاد المسير في علم التفسير ١/ ٥٠٥).

وروى الحاكم في المستدرك عن جبير بن نفير قال: ((حججت فدخلت على عائشة، فقالت لي: يا جبير تقرأ المائدة؟ فقلت: نعم، قالت: أما إنها آخر سورة نزلت، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدتم فيها من حرام فحرموه)). [قال الحاكم: ((هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)) ووافقه الذهبي، مستدرك الحاكم، ٢/ ٣١١، ورواه الإمام أحمد، ٦/ ٥٤، برقم ٢٦٠٦].

رابعاً: مقاصد سورة المائدة:

١- هذه السورة الكريمة زاخرة بالأحكام الشرعية المتنوعة، كما سبق.

٢- وجهت سورة المائدة إلى المؤمنين ستة عشر نداء. وقد تضمن كل نداء تشريعا من التشـــريعات، أو أمراً من الأوامر: أو نهياً من النواهي، أو توجيهاً من التوجيهات مما يدل على أن هذه السورة قد اهتمت اهتماماً ملحوظاً بتربية المؤمنين على المنهج الذي اختاره الله لهم. ولا سيما بعد أن أكمل ﷻ لهم دينهم، وأتم عليهم نعمته.

خامساً: مناسبة هذه السورة لما قبلها وهي سورة النساء

يقول الألوسي- «إن سورة النساء قد اشتملت على عدة عقود: صريحا وضمنا. فالصـــريح: عقود الأنكحة، وعقد الصـــداق، وعقد الحلف، وعقد المعاهدة والأمان. والضـــمني: عقد الوصـية، والوديعة، والوكالة، والعارية، والإجارة، وغير ذلك مما يدخل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، فناسـب أن تعقب بسـورة مفتتحة بالأمر بالوفاء بالعقود، فكأنه قيل: يا أيها الناس أوفوا بالعقود التي فرغ من ذكرها في السورة التي تمت، وإن كان في هذه السورة-أيضا- عقود.

*كذلك أول سـورة النسـاء (يا أَيُّهَا النَّاسُ) وفيها الخطاب بذلك في مواضـع، وهي أشـبه بتنزيل المكي، وأول هذه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ وفيها الخطاب بذلك في مواضـع وهو أشبه بخطاب المدني وتقديم العام وشبه المكي أنسب.

سادساً: هدايات السورة:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة:١].

١. يفيد تخصـــيص الأمر في الخطاب للمؤمنين حثهم وترغيبهم على امتثال ما كلفهم به، روى ابن أبي حاتم، أن رجلا أتى عبد الله بن مسـعود فقال: اعهد إلي. فقال له:

إذا سمعت الله يقول ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فارعها سمعك فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه.

٢. تفيد أن الإيمان يلزم المؤمن بالالتزام بأحكام الشريعة، خاصة ما جاء فيها من عقود ومواثيق عامة وخاصة.

٣. فيها أن الوفاء بالعقود من أعظم صفات أهل الإيمان، وأن نقص العهد من صفات المنافقين.

٤. يفيد الأمر الوفاء بالعقود يشمل إكمالها، وإتمامها، وعدم نقضها ونقصها.

٥. يفيد التعريف في العقود تعريف الجنس الاستغراق، فيشمل العقودَ التي عاقد المسلمون عليها ربّهم وهو الامتثال لِشريعته، من التزام عبوديته، والقيام بها أتم قيام، وعدم الانتقاص من حقوقها شيئا، والتي بينه وبين الرسول بطاعته واتباعه، والتي بينه وبين الوالدين والأقارب، ببرهم وصلتهم، وعدم قطيعتهم. والتي بينه وبين أصحابه من القيام بحقوق الصحبة في الغنى والفقر، واليسر والعسر، والتي بينه وبين الخلق من عقود المعاملات، كالبيع والإجارة، ونحوهما، وعقود التبرعات كالهبة ونحوها، بل والقيام بحقوق المسلمين التي عقدها الله بينهم في قوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾ [الحجرات: ١٠] بالتناصر على الحق، والتعاون عليه والتآلف بين المسلمين وعدم التقاطع، ويشَمل العقود التي عاقد المسلمون عليها المشركين، مثل قوله: ﴿ فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ﴾[التوبة:٢]، وقوله: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ ﴾ [المائدة:٢]، فهذا الأمر شامل لأصول الدين وفروعه، فكلها داخلة في العقود التي أمر الله بالقيام بها.

٦. تفيد أهمية وأثر الوفاء بالعقود في حياة المؤمنين حيث افتتح الله هذه السورة التي ذكرها فيها عدد كبير من هذه العقود التي يجب الوفاء بها.

٧. تفيد فضل الله الواسع على عباده بإباحة بهيمة الأنعام التي لا يستغني عنها الناس.

٨. فيها التنبيه على نعم الله تعالى على عباده بتسخير الإبل والبقر والغنم للأكل وحمل الأثقال والركوب ومنافع أخرى، وأفردت بهيمة الأنعام لإرادة الجنس، وجمع الأنعام ليشمل أنواعها. قيل: المراد ببهيمة الأنعام: ما يخرج من بطونها من الأجنة بعد ذكاتها وهي ميتة، فيكون مفاد الآية صريحا حل أكلها. وبه قال الشافعي.

٩. تفيد أن المحرمات من بهيمة الأنعام قليلة ومبينة في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ؛ لقوله: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾.

١٠. تفيد أن المحلل والمحرم هو الله تعالى وحده، وكل ذلك يكون بالوحي.

١١. تفيد تحريم الصيد على المحرم سواء كان في الحرم أو الحل.

١٢. فيها: أن المحرم أو من كان في أرض الحرم يجب عليه أن يكون مشتغلا بما يرضي الله، وأن يحترم هذه الأماكن المقدسة التي جعلها الله أماكن أمان، واطمئنان وعبادة لله رب العالمين.

١٣. تفيد أن الحكم لله عز وجل لا معقب لحكمه ولا رادَّ لأمره: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [يوسف: ٤٠].

١٤. تفيد إثبات صفة الإرادة لله عز وجل.

١٥. تفيد بلاغة القرآن في بيان الأحكام والمعاني، قال القرطبي رحمه الله: ((وهذه الآية تلوح فصاحتها، وكثرة معانيها على قلة ألفاظها لكل ذي بصيرة بالكلام فإنها تضمنت خمسة أحكام: الأول: الأمر بالوفاء بالعقود. الثاني: تحليل بهيمة الأنعام. الثالث: استثناء ما يتلي بعد ذلك. الرابع: استثناء حال الإحرام فيما يصاد. الخامس: ما تقتضيه الآية من إباحة الصيد لمن ليس بمحرم)) ، وحكى النقاش أن أصحاب الكندي قالوا له: أيها الحكيم اعمل لنا شيئا مثل هذا القرآن فقال: نعم أعمل مثل بعضه. فاحتجب أياما كثيرة ثم خرج فقال: والله ما أقدر ولا يطيق هذا أحد. إني فتحت المصحف فخرجت سورة المائدة. فنظرت فإذا هو نطق بالوفاء ونهى عن النكث،

وحلل تحليلا عاما، ثم استثنى استثناء بعد استثناء، ثم أخبر عن قدرته وحكمته في سطرين، ولا يقدر أحد أن يأتي بهذا" [تفسير القرطبي ٦/ ٣١].

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [المائدة: ٢].

١٦. فيها الترغيب للاستجابة وامتثال ما فيها من أحكام، وذلك بمناداة المؤمنين بنداء الإيمان. وكذلك الترهيب في آخر الآية من الترك والمخالفة وذلك بالأمر بالتقوى في التطبيق والتحذير من عقاب الله الشديد.

١٧. تدل على عظمة وأهمية هذه الأحكام؛ لأن النداء في أولها للتنبيه والحث على العمل بها.

١٨. في الآية حرمة القول على الله بغير علم، وحرمة تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله.

١٩. فيها الأمر بإجلال حرمات الله تعالى وتعظيم شعائر دينه، وإفشاء العدل في معاملة عباده، فهو الذي أكمل دينه وأتم نعمته.

٢٠. يفيد أضاف – سبحانه– الشعائر إليه، تشريفا لها، وتهويلا للعقوبة التي تترتب على التهاون بحرمتها.

٢١. يفيد تخصيص الهدي بالذكر مع دخوله في الشعائر، لأن فيه نفعاً للناس، ولأنه قد يتساهل فيه أكثر من غيره، ولأن في ذكره تعظيما لشأنه.

٢٢. يفيد تخصيص القلائد بالذكر مع أنها من الهدي تشريفا لها واعتناء بشأنها، ولأن الثواب فيها أكثر، وبهاء الحج بها أظهر. فكأنه قيل: لا تحلُّوا الهدي وخصوصا ذوات القلائد منه.

٢٣. يفيد النهي عن التعرض لنفس القلائد مبالغة في النهي عن التعرض لذواتها أي: لا تتعرضوا لقلائد الهدي فضلا عن ذاته.

٢٤. تفيد أن تقليد الهدي من السنن والشعائر المسنونة.

٢٥. فيها حرمة الذوات (الهدي والقلائد) وحرمة الزمان (الأشهر الأربعة الحرم) وحرمة المكان (مكة).

٢٦. المنهيات عنها في هذه الآية يشمل النهي عن فعلها، والنهي عن اعتقاد حلها؛ فهو يشمل النهي عن فعل القبيح، وعن اعتقاده. ويدخل في ذلك النهي عن محرمات الإحرام، ومحرمات الحرم.

٢٧. تفيد تعظيم الأشهر الحرم، والنهي عن ابتداء القتال فيها.

٢٨. تفيد تعظيم البيت الحرام؛ لما شرع له من الهدي والقلائد.

٢٩. فيها أن بيت الله الحرام لا ينبغي أن يقصد إلا في ابتغاء فضل الله ورضوانه.

٣٠. فيها الأمر بتأمين الطرق الموصلة إلى بيت الله الحرام وتأمين قاصديه، وهذه الآية الكريمة مخصوصة بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَاۚ﴾[التوبة:٢٨]، فالمشرك لا يُمكَّن من الدخول إلى الحرم.

٣١. تفيد إثبات الرضا لله ﷻ، وهو من أعظم ما يناله العباد، قال تعالى: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

٣٢. تخصيص الحكم في هذه الآية بالنهي عن التعرض لمن قصد البيت ابتغاء فضل الله أو رضوانه – أما من قصده ليلحد فيه بالمعاصي، فإن من تمام احترام الحرم صده وكف شره عن الناس.

٣٣. يفيد الأمر في قوله ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْۚ﴾ الإباحة والجواز؛ لأنه أمر بعد حظر.

٣٤. تفيد وجوب العدل في الرضا والغضب، والعدل مع من تحب ومن تكره، فلا يحل لك أن تكذب على من كذب عليك، أو تخون من خانك. قال بعض السلف: ((ما عاملت من

عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه، والعدل به قامت السموات والأرض)) [تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٢/ ٦].

٣٥. فيها أن الإسلام دين العدل والإنصاف حتى مع الأعداء.

٣٦. فيها معنى بلاغي عميق حيث غيرت حركة الهمزة فقط فأفادت معنيين وبينت حكمين هذا بيان كاف على جلال القرآن وسمو لغته وعظيم مكانته ، فقوله ﴿أَن صَدُّوكُمْ﴾ بفتح الهمزة يعني أنه قد حصل الصد في الماضي فلا تعتدوا عليهم؛ لأنه قد كان منهم صد لكم عن البيت الحرام فيما مضى، و(إن صدوكم) بكسر الهمزة يعني ان حصل منهم صد لكم عن البيت الحرام في قابل الأيام.

٣٧. فيها الحث على روح الأخوة والاجتماع ونبذ الفرقة والاختلاف وذلك بالتعاون على البر والتقوى وعدم التعاون على الإثم والعدوان.

٣٨. تفيد أن كثيرا من الأعمال والشرائع تحتاج إلى عمل جماعي وتعاون بين المؤمنين، ولذلك حث الله تعالى على التعاون فيها.

٣٩. تفيد الحث والترغيب على البر والتقوى، وفضل من اتصف بهما وتعاون مع غيره عليهما.

٤٠. تفيد أن كلُّ خصلة من خصال الخير المأمور بفعلها، أو خصلة من خصال الشر المأمور بتركها؛ فإن العبد مأمور بفعلها بنفسه، وبمعاونة غيره من إخوانه المؤمنين عليها؛ بكل قول يبعث عليها وينشط لها، وبكل فعل كذلك.

٤١. تفيد أن كل معصية وظلم يجب على العبد كف نفسه عنه، ثم إعانة غيره على تركه.

٤٢. تكرار التقوى في الآية يدل على أهميتها ووجوبها وفضلها.

٤٣. تفيد تخويف العباد من عقاب الله ﷻ وبيان شدته.

قال تعالى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة: ٣].

٤٤. تفيد الآية بدلالة المناسبة مع ما سبقها في قَوْلِهِ تعالى: ﴿أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ [المائدة:١]، أنها بيَانٌ لِما لَيْسَ بِحَلالٍ مِنَ الأنْعامِ.

٤٥. تدل هذه الآية على تحريم أكل الميتة وهي ما ماتت حتف أنفها من غير ذكاة شرعية.

٤٦. تفيد تحريم أكل الدم، وهو مخصوص بالدم المسفوح كما في قوله تعالى: ﴿أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا﴾ [الأنعام: ١٤٥]. العلاقة بين الميتة والدم المسفوح أن الدم المسفوح هو ما يخرج عند الذبح وهو خبيث مضر؛ وخروجه مفيد للحم الذبيحة، والميتة إذا لم يخرج منها هذا الدم فيبقى فيها فيضر بآكلها. والله أعلم.

٤٧. تدل على تحريم أكل لحم الخنزير، ووجه تحريم لَحْمه أنه يَشْتَمِلُ عَلى جَراثِيمَ مُضِرَّةٍ لا تَقْتُلُها حَرارَةُ النّارِ عِنْدَ الطَّبْخِ، فَإذا وصَلَتْ إلى دَمِ آكِلِهِ عاشَتْ في الدَّمِ فَأحْدَثَتْ أضْرارًا عَظِيمَةً، مِنها مَرَضُ الدِّيدانِ الَّتِي في المِعِدَةِ وغيرها.

٤٨. تفيد خبث النصارى وضلالهم حيث يستحلون لحم الخنزير الخبيث المليء بهذه الأمراض.

٤٩. إضافَةَ لَفْظِ لَحْمِ إلى الخِنْزِيرِ لِلْإيماءِ إلى أنَّ المحرَّمَ أكْلُ لَحْمِهِ؛ لِأنَّ اللَّحْمَ إذا ذُكِرَ لَهُ حُكْمٌ فَإنَّما يُرادُ بِهِ أكْلُهُ، وهَذا إيماءٌ إلى أنَّ ما عَدا أكْلَ لَحْمِهِ مِن أحْوالِ اسْتِعْمالِ أجْزائِهِ هو فِيها كَسائِرِ الحَيَوانِ كَطَهارَةِ شَعْرِهِ، وعِرْقِهِ.

٥٠. تفيد تحريم ما ذكر عليه غير اسم الله تعالى عليه عند الذبح، وقد قال رسول الله ﷺ: "لعن الله من ذبح لغير الله" أخرجه مسلم (١٩٧٨)

٥١. فيها بيان خطورة الشرك؛ وأنه يؤثر حتى على المأكولات؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ وبالمقابل أن ذكر الله تعالى على الذبيحة يجعلها طيبة.

٥٢. تفيد تحريم المنخنقة وهي التي حُبِس نَفَسُها حتى ماتت، والموقوذة وهي التي ضُربت بعصا أو حجر حتى ماتت، والمتَرَدِّية وهي التي سقطت من مكان عال أو هَوَت في بئر فماتت، والنطيحة، وهي التي ضَرَبَتْها أخرى بقرنها فماتت، والبهيمة التي أكلها السبُع، كالأسد والنمر والذئب، ونحو ذلك.

٥٣. تفيد أن ما أدرك حيا ولم يمت من هذه الأشياء فإنه يكون حلالا إذا ذكي؛ لقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ ﴾.

٥٤. تفيد حكمة الشارع فيما أحله من الحلال وما حرمه من الحرام، فقد ثبت طبيا أن هذه الأشياء المحرمة ضارة، ولأجل ضررها حرمها الله تعالى.

٥٥. تفيد بيان أثر النية في الأعمال؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ ﴾ أي: ذبح للأصنام ولو ذكر اسم الله عليه.

٥٦. تفيد تحريم الاستقسام بالأزلام؛ ويدخل فيها ما شابهها من الاستقسامات.

٥٧. تفيد كفر وفسق من يدعي علم الغيب؛ فإن الاستقسام بالأزلام طلب لمعرفة علم الغيب الذي استأثر الله به. وقد حكم جل وعلا على المستقسمين بها بالفسق ﴿ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ﴾ والفسق يشمل كل من ارتكب ما حرم في الآية.

٥٨. فيها دلالة على شمولية الإسلام حيث لم يكتف في رعايته للفرد بإصلاح معتقده وعبادته إنما اعتنى به أيضا في معاشه ومعاملاته.

٥٩. في الآية دلالة على أن ما حرمه الله علينا مفصلا، لقوله تعالى: ﴿ وَقَدۡ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [الأنعام: ١١٩].

٦٠. المحرمات محدودة محصورة والمباحات هي ما لم يحرم ليست محصورة، وهذا من فضل الله ورحمته حيث وسع على العباد ولم يحرم عليهم إلا القليل.

٦١. تفيد أن الكفار يئسوا من تغيير دين المؤمنين؛ لقوله تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ﴾ ولكن يأسهم هذا لا يمنعهم من السعي في ارتداد المسلمين عن دينهم لقوله: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وبهذا يفهم معنى حديث: "إن الشيطان يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب" أخرجه مسلم في صفات المنافقين (٢٨١٢). فلا يدل على أنه يترك إضلالهم وإغواءهم، ولا يدل على عدم عودة الشرك إلى جزيرة العرب للأدلة الكثيرة الدالة على حصول ذلك.

٦٢. تفيد حرمة خشية الكفار؛ لقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ﴾.

٦٣. تفيد أن الخشية عبادة فلا يجوز صرفها إلا لله ﷻ وحده، وهي خوف مقرون بعلم.

٦٤. فيها أن الخوف من الأعداء والظن بأنهم قادرون على استئصال الدين هو تكذيب لخبر القرآن: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ﴾.

٦٥. فيها أعظم منَّه من المنان تبارك وتعالى كما قال ابن عباس: امتن الله على رسوله وعلى المؤمنين؛ بأن أكمل لهم الدين؛ فلا يحتاج إلى زيادة أبدا، وأتمه فلا ينقصه أبدا، ورضيه فلا يسخطه أبدا).

٦٦. تدل على أن الكتاب والسنة كافيين كل الكفاية في أحكام الدين؛ أصوله وفروعه. فكل متكلف يزعم أنه لا بد للناس في معرفة عقائدهم وأحكامهم إلى علوم غير علم الكتاب والسنة، من علم الكلام وغيره، فهو جاهل، مبطل في دعواه.

٦٧. تفيد بيان شرف وفضيلة ومكانة هذا اليوم الذي أكمله الله لهذه الأمة دينها؛ لقوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾.

٦٨. تفيد خطورة الابتداع في الدين؛ لأن الله تعالى بين أنه قد أكمله لعباده.

٦٩. يفيد التعبير بقوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ دون قوله: (أكملت لكم ديني) على شرف هذه الأمة؛ حيث أضاف الدين إليها، فيا لها من إضافة، ويا لها من مسؤولية عظيمة ألقاها الله على هذه الأمة.

٧٠. المراد بإكمال الدين ثبوت أحكامه وعدم قابليتها للنسخ بعد هذا اليوم.

٧١. فيها إيذان بقرب أجله ﷺ؛ فما بعد التمام إلا النقصان. ولذا لم يبق ﷺ بعدها إلا بضعا وثمانين ليلة حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى بأبي هو وأمي ونفسي ﷺ.

٧٢. تدل على كرم الله تعالى حيث تفضل على هذه الأمة المحمدية بأن أتم عليهم نعمته؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾.

٧٣. تفيد أن نعمة الدين أعظم من نعمة الدنيا.

٧٤. تفيد أن من واجب الأمة المحمدية أن تشكر الله تعالى على أن أتم عليه نعمته.

٧٥. تفيد أن الإسلام دين الله تعالى المرتضى عنده ولا يقبل سواه.

٧٦. تدل على أنه ينبغي على المسلم أن يعتز بهذا الدين الذي رضيه له رب العالمين.

٧٧. تفيد إثبات الرضا لله ﷻ لقوله: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾.

٧٨. تفيد فضل الرضا بالله رباً وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا. ومن ذلك قوله ﷺ: "من قال رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا وجبت له الجنة". أخرجه مسلم (١٨٨٤).

٧٩. اشتملت هذه الآية على بشارات لأبناء هذه الأمة الإسلامية فقد بشرتهم - أولاً- بأن أعداءهم قد انقطع رجاؤهم في إبطال أمر الإسلام أو تحريفه أو تبديل أحكامه التي كتب الله لها البقاء. وبشرتهم - ثانيا- بإكمال هذا الدين، فأنت ترى نصوصه وافية بكل ما يحتاج إليه البشر. وبشرتهم - ثالثا- بإتمام نعمة الله عليهم. وأي نعمة أتم على المؤمنين من إخراج الله إياهم من ظلمات الشرك إلى نور الوحدانية، ومن تمكينه لهم في الأرض واستخلافهم فيها، وجعل كلمتهم العليا بعد أن كانوا في ضعف من أمرهم وفساد في أحوالهم. وبشرتهم- رابعا- بأن الله

قد اختار لهم الإســـلام دينا، وجعله هو الدين المرضـــي عنده وهو الذي يجب على الناس أن يدخلوا فيه، وأن يعملوا بأوامره ونواهيه، لأنه من الحمق والغباء أن يبتعد إنسان عن الدين الذي اختاره الله وارتضاه؛ ليختار لنفسه طريقا من نزغات نفسه وهواه. انظر: الوسيط

٨٠. تدل على أن الميتة تباح للمضطر بشرطين:

١/ المخمصة وهي المجاعة.

٢/ أن يكون غير مائل عمدًا لإثم.

٨١. استدل بهذه الآية من يقول بأن العاصي بسفره لا يترخص بشيء من رخص السفر، لأن الرخص لا تنال بالمعاصي.

٨٢. قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ﴾ تعتبر دليلا على القاعدة المشـهورة "المشـقة تجلب التيسير"، وقاعدة: "إذا ضاق الأمر اتسع"، وقاعدة "الضرورات تبيح المحظورات".

٨٣. تفيد وجوب التحري والتحرز في انتهـاك المحرم؛ بحيث لا يميل العبد أو يتجـانف إلى الإثم؛ لقوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾.

٨٤. تفيد يسر هذه الشريعة وسماحتها في إباحة بعض المحظورات عند الضرورة.

٨٥. تفيد بيان رحمة الله تعالى بعباده؛ حيث أباح لهم ما حرم عليهم عند الضـــرورة؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

٨٦. تفيد بلاغة القرآن وعظمة بيانه فالآية الكريمة قد بينت ما يحرم في حالة الاختيار، وما يحل في حالة الاضـطرار. وجاءت بين ذلك بجمل معترضـة- وهي قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ لتأكيد تحريم هذه الأشـــياء، لأن تحريمها من جملة الدين الكامل، والنعمة التامة، والإسلام المرضي عند الله.

٨٧. تفيد إثبات هذين الاسمين لله تعالى: (الغفور) و(الرحيم) وما تضمناه من صفة وأثر.

قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [المائدة: ٤].

٨٨. مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه سبحانه وتعالى لما ذكر ما حرمه من الخبائث إلا ما استثني للضرورة ناسب ذكر ما أحله وأباحه لعباده.

٨٩. تدل على حرص الصحابة على السؤال ليفهموا دينهم ويعرفوا ما أحل الله لهم وما حرم عليهم. ولهذا عبر بالفعل المضارع قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ إشارة إلى تجدد واستمرار السؤال منهم للنبي ﷺ.

٩٠. تدل على أن السؤال مفتاح العلم وأن من أراد العلم فعليه بالسؤال. وقد كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كثير السؤال، فقد قيل له: بم أدركت العلم؟ قال: أدركت العلم بلسان سؤول، وقلب عقول، وبدن غير ملول.

٩١. تدل على أن السؤال في العلم ينبغي أن يكون للأكابر من أهل العلم لأن الصحابة سألوا أعلم الخلق بالله وبدين الله وهو النبي ﷺ، وفي حديث أبي أُمية الجُمَحِيّ: أن رسول الله ﷺ، قال: "من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر" صححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح (٦٩٥).

٩٢. التعبير عن المسؤول عنه بـ(ماذا) لإدخال الحسي والمعنوي من الحلال وهذا دليل على فصاحة القرآن وحسن إيجازه.

٩٣. الفعل (قل) فيه دلالة على أن النبي ﷺ مفوض من ربه لبيان تفاصيل الدين ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [النحل: ٦٤].

٩٤. فيها دليل على نبوته ﷺ وأنه مبلغ عن ربه سبحانه وتعالى.

٩٥. تفيد أن الرسول ﷺ لا يستقل بتحليل أو تحريم؛ ولو كان ذلك كذلك لأجابهم الرسول ﷺ عقب سؤالهم في هذه الآية؛ ولكن الله عز وجل هو الذي تولى إجابتهم؛ فدل ذلك على أن

الرسول ﷺ لا يستقل بتحليل أو تحريم؛ وقد قال عليه الصلاة والسلام في الحديث: (إنه ليس لي تحريم ما أحل الله). أخرجه مسلم (٥٦٥) من حديث أبي سعيد الخدريّ.

٩٦. تفيد أن التحليل والتحريم من اختصاص الله تعالى؛ وليس للعباد؛ لقوله تعالى: ﴿ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ﴾ وقد حذر الله عباده من التحليل والتحريم بحسب أهوائهم؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ [النحل: ١١٦].

٩٧. قوله ﴿ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ﴾ فيها إشارة إلى اختصاص الشريعة باتباع الرسول محمد ﷺ ولأن من شروط صحة العمل الإيمان به وبرسالته عليه الصلاة والسلام.

٩٨. تفيد أن كل ما أحله الله تعالى لعباده فهو طيب نافع، وأن كل ما حرمه ﷻ خبيث ضار، لقوله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ﴾.

٩٩. يفهم منها أن الطيب أخص من الحلال لأنه لو كان مرادفا لها لكان المعنى قل أحل لكم الحلال، وعليه فليس كل ما حل يطيب ويستأنس لهذا الفهم من القرآن بقوله تعالى: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النساء: ٣]، فقد يكون نكاح المرأة حلالا لكنها لا تطيب نفس بعض الرجال لها، ومن السنة بحديث الضب فهو حلال لكنه لم يطب لرسول الله ﷺ لأنه لم يكن بأرض قومه وقال: (فأجدني أعافه) رواه البخاري (٥٠٧٦)

١٠٠. وفيها: سعة الحلال وطرقه ﴿ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ﴾، وأن الأصل الحل، وتدل بمفهومها على تحريم الخبائث، وهذا من لطف الله تعالى بعباده.

١٠١. تدل على أن بعض الحيوانات تقبل التعلم. لقوله ﴿ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ ﴾.

١٠٢. تفيد أن التعلم والتعليم لا يختص في جوانب العلوم الشرعية فحسب، بل إن العباد مطالبون بتعلم وتعليم ما يعمرون به هذه الأرض وما تقوم به حياتهم، في مختلف فنون العلم والمعرفة؛ لقوله تعالى: ﴿ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ﴾.

١٠٣. تفيد أن مصدر العلوم من الله تعالى؛ لقوله تعالى:﴿ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ وفي هذا ما يوجب قطع مادة الإعجاب بالنفس؛ وعدم الاغترار بالتطور العلمي الذي عند البشر؛ فإن كل ذلك من الله تعالى.

١٠٤. فيها حث على طلب العلم من الله عز وجل،﴿ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ﴾، وقال تعالى:﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

١٠٥. وفيها: فضيلة العلم، وأهله فالجارح المعلم – بسبب العلم- يباح صيده.

١٠٦. تفيد جواز اقتناء كلب الصيد، وقد جاء في حديث أبي هريرة (من اقتنى كلبًا إلا كلبًا ضاريًا أو كلب صيد؛ نقص من عمله كل يوم قيراطان) رواه البُخاريّ (٥١٦٣ – ٥١٦٥).

١٠٧. فيها إشارة إلى كرامة الإنسان وتسخير الله الكون وما فيه لخدمته ونفعه، وفي ذلك تنبيه العبد إلى حمد الله وشكره والقصد إلى عبادته وحده.

١٠٨. قوله ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ فيه دليل على أنه يشترط في معلم الجوارح أن يكون خبيرا، موصوفا بالتكليب لأن المكلب: هو مؤدب الجوارح ورائضها بما علم من الحيل وطرق التأديب.

١٠٩. تدل على حل ما صادته الجوارح، ولكن بشرط أن تكون معلمة بحيث يسترسل إذا أرسل، وينزجر إذا زجر، وإذا أمسك لم يأكل.

١١٠. تفيد طهارة ما أصابه فم الكلب من الصيد؛ لأن الله أباحه ولم يذكر له غسلا، فدل على طهارته.

١١١. تفيد بيان سعة رحمة الله تعالى حيث أباح للعباد ما تم تذكيته بأيديهم أو بواسطة الجوارح، وفي هذا دليل على أن الله عز جل ما جعل لهذه الأمة من حرج في دينها؛ وفيها أيضا دليل للقاعدة الشرعية: (المشقة تجلب التيسير).

١١٢. تفيد وجوب ذكر الله تعالى، وذلك إما عند إرسال الجارحة، أو عند إدراك الصيد حيا، أو عند أكله؛ على أقوال لأهل العلم تحتملها الآية الكريمة؛ لقوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ

عَلَيۡهِ﴾ وفي حديث عدي بن حاتم «إِذَا أَرْسَـلْتَ كَلْبَكَ الْمُعَلَّمَ، وَذَكَرْتَ اسْـمَ اللَّهِ فَقَتَلَ فَكُلْ» متفق عليه. البخاري في الصيد والذبائح باب صيد القوس (٧/ ١١١)، ومسلم في الصيد والذبائح باب الصيَّد بالكلاب المعلَّمة (٣/ ١٥٣٢).

١١٣. تفيد بركة ذكر اسم الله تعالى في كل أمر من أمور العباد.

١١٤. فيها التذكير بتقوى الله في سـائر الأحوال لما لها من أهمية في تربية النفس على تعظيم الله وخشيته ومراقبته.

١١٥. تفيد أن الله سريع الحساب؛ وفي هذا إثبات للصفات الفعلية لله تعالى.

١١٦. الأمر بتقوى الله تعالى وحث متعاطي الصـيد على التقوى في خاتمة بيان حكم الصـيد؛ للإشارة إلى أن في ذلك مظنة التهاون والغفلة عن طاعة الله تعالى.

قـال تـعـالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥].

١١٧. في مناسـبة هذه الآية مع ما قبلها؛ يقول الفخر الرازي: ((اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى أَخْبَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ أَنَّهُ أَحَلَّ الطَّيِّبَاتِ، وَكَانَ الْمَقْصُـــودُ مِنْ ذِكْرِهِ الْإِخْبَارَ عَنْ هَذَا الْحُكْمِ، ثُمَّ أَعَادَ ذِكْرَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَالْغَرَضُ مِنْ ذِكْرِهِ أَنَّهُ قَالَ: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي فبين أنه كما أكمل الدين وأتمم النِّعْمَةَ فِي كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِالدِّينِ، فَكَذَلِكَ أَتَمَّ النِّعْمَةَ فِي كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِالدُّنْيَا، وَمِنْهَا إِحْلَالُ الطَّيِّبَاتِ، وَالْغَرَضُ مِنَ الْإِعَادَةِ رِعَايَةُ هَذِهِ النُّكْتَةِ)).[التفسـير الكبير ١١/٢٩٣].

١١٨. تدل على أهمية معرفة التاريخ لقوله:﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾، وقد تكررت كلمة «اليوم» مرتين في الآية السابقة، وتظهر أهمية التاريخ بجلاء في معرفة الناسخ والمنسوخ.

١١٩. تدل على جواز التمتع بما أحله الله من الطيبات وبمفهومها تحرم الخبائث.

١٢٠. فيها كرر تعالى إحلال الطيبات لبيان الامتنان، ودعوة للعباد إلى شكره والإكثار من ذكره، حيث أباح لهم ما تدعوهم الحاجة إليه، ويحصل لهم الانتفاع به من الطيبات.

١٢١. تفيد أن الحلال منة وفضل من الرب الرحيم ﷻ.

١٢٢. فيها إشارة إلى جمال الإسلام وطهره ونزاهته، فإنه لا يحل إلا الطيبات بخلاف الكفار الذين يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام من غير تفرقة بين طيب وخبيث.

١٢٣. تدل على حل ذبائح أهل الكتاب للمسلمين والمراد بطعامهم هنا ذبائحهم، ووجه ذلك أن الطعام الذي ليس من الذبائح كالحبوب والثمار ليس لأهل الكتاب فيه خصوصية، بل يباح ذلك ولو كان من طعام غيرهم. وأيضا فإنه أضاف الطعام إليهم، فدل ذلك، على أنه كان طعاما بسبب ذبحهم.

١٢٤. قوله: ﴿ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾ أي يحل لكم أن تطعموهم من طعامكم، ونبه بها على أن الحكم مختلف في الذبائح عن المناكحة، فإن إباحة الذبائح حاصلة من الجانبين، بخلاف إباحة المناكحات فإنها في جانب واحد، إذ لا يحل لغير المسلم أن يتزوج بمسلمة، لأنه لو جاز ذلك لكان لأزواجهن الكفار ولاية شرعية عليهن، والله- تعالى- لم يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا، بخلاف إباحة الطعام من الجانبين فإنها لا تستلزم محظورا.

١٢٥. تفيد تقييد حديث: (ولا يأكل طعامك إلا تقي) أخرجه أبو داود في الأدب، وصححه الحاكم: (٤/ ١٢٨)، لقوله: ﴿ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾ فيكون الأمر في الحديث للندب والاستحباب لا للحتم والإيجاب.

١٢٦. إطلاق اللفظ في ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾ يشعر بحل ذبائحهم ولو ذكر عليها غير اسم الله ما دام قد ذكي وأصبح طعاما لكن جمهور العلماء على تقييد هذه الآية بقوله ﴿ وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وهذا إن كان في ذبائح المسلمين فهو من باب أولى في ذبائح غير المسلمين.

١٢٧. وفيها أن ما سوى أهل الكتاب لا تحل ذبائحهم.

١٢٨. فيها: التعريض بأهل الشرك والأوثان. وكأنه يقول: وأنا لم أبح ذبائح ونساء هؤلاء القوم مع كفرهم، إلا بسبب ما عندهم من أصل الإيمان بالكتب والرسل واليوم الآخر، ونحو ذلك مما ينكره أهل الشرك مطلقا.

١٢٩. وتدل على جواز المهاداة بيننا وبين أهل الكتاب، والنبي ﷺ كان يقبل هداياهم.

١٣٠. فيها تشريف لكتب الله تعالى.

١٣١. تدل على جواز نكاح المسلم للمحصنة الكتابية لا العكس.

١٣٢. في تقديم ذكر المحصنات من المؤمنات دلالة على علو مرتبة المؤمن عالما أو جاهلا. وأن المحصنات من المؤمنات أحق باختيار الزواج بهن من غيرهن.

١٣٣. تفيد فضل العفة حيث جعلت شرطا للزواج من اليهودية والنصرانية مع كفرهما.

١٣٤. فيها تنبيه وإرشـــاد على نكاح الطيب من النســـاء، كما يحرص على أكل الطيب من الطعام.

١٣٥. وفيها أن الأمة من أهل الكتاب غير المحصـــنة لا تحل للمســـلم ولو خاف العنت لقوله ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي الحرائر العفيفات.

١٣٦. تدل على ركنية المهر في النكاح لقوله ﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ والتعبير عن المهر بالأجر لتأكيد وجوبه، وعدم الاستهانة به.

١٣٧. في إضـافة الأجور إليهن دليل على أن المرأة تملك جميع مهرها، وليس لأحد منه شـيء، إلا ما سمحت به لزوجها أو وليها أو غيرهما.

١٣٨. فيها دليل على طهارة بدن الكافر، وكذلك آنيته إلا إذا علمت نجاســـتها لأنه أباح نكاح الكتابيات وطعامهن وهذا يقتضي المخالطة.

١٣٩. فيها إظهار لواقعية الشرع في كيفية تعامل المسلمين مع غيرهم ضمن المجتمع الواحد، وكيفية التعايش والتعامل مع أهل الكتاب.

١٤٠. فيها توسعة على المؤمنين بإباحة طعام أهل الكتاب والمحصنات من نسائهم.

١٤١. فيها تحذير من المخادنة وخطر انتشار السفاح المحرم والعزوف عن النكاح المباح.

١٤٢. في الآية إشارة إلى إظهار النكاح وإعلانه وهو القول الراجح كما قال تعالى ﴿ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخۡدَانٖۗ ﴾.

١٤٣. تفيد أن من كفر بالله تعالى، وما يجب الإيمان به من كتبه ورسله أو شيء من الشرائع، فقد حبط عمله، بشرط أن يموت على كفره، كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ ﴾ [البقرة: ٢١٧]، فقد علق الحبوط على شرطين الردة والموت عليها والمعلق بشرطين لا يثبت بأحدهما والآية التي احتج بها من قال بحبوط الأعمال مطلقا بالردة مطلقة وهذه مقيدة فيحمل المطلق على المقيد.

١٤٤. ختامها بقوله: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ فيه إشارة إلى: أنه لا ينبغي للعاقل أن يجعل هذه النعم والمباحات عرضة له ومانع من الإيمان بالله جل وعلا.

١٤٥. تدل على أهمية الإيمان وأثره في قبول الأعمال.

١٤٦. تفيد أن هناك ذنوب تحبط العمل ومنها الكفر والشرك.

١٤٧. فيها رد على الجبرية؛ ووجه ذلك أنه نسب العمل إلى العبد ﴿ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾.

١٤٨. فيها تنبيه إلى المحافظة على العمل من المحبطات؛ لأن الإنسان أحوج ما يكون إلى عمله في الآخرة.

١٤٩. تفيد أن خسارة الآخرة أعظم خسارة لأنها لا تعوض.

١٥٠. تفيد أن الأعمال داخلة في الإيمان؛ لقوله: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ والمذكور في هذه الآية أعمال، فدل ذلك على أن الأعمال داخلة في الإيمان.

١٥١. فيها أن الناس في الآخرة ما بين رابح وخاسر. والله المستعان.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [المائدة:٦].

١٥٢. مناسبة هذه الآية لما قبلها، أنه قال في ختام ما قبلها ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ [المائدة:٥]، ثم أمر بعدها بأوامر لا تدرك حكمتها بمحض العقل، إنما تفعل إيمانا واحتسابا. مثل: لماذا منعت الجنابة من الصلاة؟، وما علاقة الوضوء بالريح؟، ولماذا إلى المرافق؟ وكيف أجزأ التراب عن الماء؟، ونحو ذلك. كل ذلك نفعله للإيمان به سبحانه؛ سيما وقد افتتحها – جل وعلا– بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ وكأنه يقول: ما لم تدركوا حكمته آمنوا وانقادوا له، وإياكم الكفر فتخسروا الدارين.

١٥٣. تفيد مع ما قبلها من قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة:٥]، إلى أن من أقام صلاته بشروطها وأركانها وواجباتها فقد أفلح ونجح؛ وأن أول مفتاح لسلم نجاح العبد هو في إقامة الصلاة.

١٥٤. كذلك لما كان أعظم الطاعات بعد الإيمان الصلاة وكانت الصلاة لا يمكن إقامتها إلا بالطهارة لا جرم بدأ– سبحانه– بذكر فرائض الوضوء فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾.

١٥٥. هذه الآية تشتمل على أصل الطهارات كلها: الوضوء والغسل والتيمم والمسح على الخفين.

١٥٦. تدل على أن هذه المذكورات؛ امتثالها والعمل بها من لوازم الإيمان الذي لا يتم إلا به، لأنه صدرها بقوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾.

١٥٧. فيها الأمر بالقيام بالصلاة لقوله:﴿ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾.

١٥٨. فيهـا دليـل على النيـة للصـــلاة، لقولـه:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي: بقصدها ونيتها.

١٥٩. تدل على اشتراط الطهارة لصحة الصلاة، لأن الله أمر بها عند القيام إليها، والأصل في الأمر الوجوب.

١٦٠. تدل على أن الطهارة لا تجب بدخول الوقت، وإنما تجب عند إرادة الصلاة.

١٦١. تدل على أن كل ما يطلق عليه اسـم الصـــلاة، من الفرض والنفل، وفرض الكفاية، وصـلاة الجنازة، تشـترط له الطهارة، حتى السـجود المجرد عند كثير من العلماء، كسـجود التلاوة والشكر.

١٦٢. تفيد وجوب الوضوء على كل قائم إلى الصلاة، وإن لم يكن محدثا؛ نظرا إلى عموم الَّذِينَ آمَنُوا من غير اختصـاص بالمحدثين. لكن الإجماع على خلاف ذلك، فقد أخرج مسـلم وغيره أن النبي ﷺ صـلى الصـلوات الخمس يوم الفتح بوضوء واحد. فقال له عمر: يا رسـول الله صنعت شـيئا لم تكن تصـنعه. فقال ﷺ: «عمدا فعلته يا عمر» أخرجه، والترمذي (٦١) وصـححه الألباني. قاله قال الألوسي .

١٦٣. تدل على أنه يندرج الحدث الأصغر في الحدث الأكبر، ويكفي من هما عليه أن ينوي، ثم يعمم بدنه، لأن الله لم يذكر إلا التطهر، ولم يذكر أنه يعيد الوضوء.

١٦٤. تفيد أن اليد عند الإطلاق هي الكف فقط؛ وبيان ذلك أن الله ﷻ قال: ﴿وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾، ولو كانت اليد تشمل إلى المرافق لكان هذا القيد لا فائدة منه؛ ولهذا قال تعالى

في حكم قطع يد السارق؛ ﴿فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]، أي قطعها من مفصل الكف. ولهذا قال في سياق ذكر التيمم في هذه الآية: ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ﴾ ولم يقل؛ ﴿وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾ فدل ذلك على أن المطلوب هو الكف فقط دون الذراع.

١٦٥. فيها؛ التَّكنِيَة عمَّا يُستقبحُ ذِكرُه؛ لقولِه: ﴿مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ﴾ وقوله: ﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾.

١٦٦. في قوله: ﴿أَوۡ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ﴾ إسناد المجيء إلى واحد مبهم من المخاطبين، سمو في التعبير. حيث تحاشى – سبحانه– التصريح بنسبتهم إلى ما يستحيا من ذكره أو يستهجن التصريح به. وفي ذلك ما فيه من تعليم الناس الأدب في الخطاب، والبعد عن الألفاظ التي تخدش الحياء، ويمجها الذوق السليم.

١٦٧. فيها دلالة إلى أنه ينبغي لقاضي الحاجة أن يستتر ويتوارى عن أعين الناس؛ لقوله تعالى: ﴿أَوۡ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ﴾.

١٦٨. فيها رخصة الله تعالى لعبده المريض الواجد للماء، الخائف على نفسه بالتيمم وكذا من عدم الماء وهذا دليل على سعة الدين الإسلامي وسماحته لقوله: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ﴾.

١٦٩. فيها أن المشقة تجلب التيسير.

١٧٠. تفيد أن التيمم يرفع الحدث لأن الله ﷻ سماه طهارة ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ﴾ خلافا لمن قال إنه مبيح للصلاة فقط.

١٧١. فيها تودد الله لعباده، فمع كونه الآمر الناهي على الحقيقة لكمال سلطانه وقدرته، مع ذلك يقول: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ﴾ يتودد لعباده وهو الغني عنهم، ولكي تنشط النفس للامتثال، وعليه فيها هداية دعوية وللمربين خاصة إذا أمروا سيما إذا كانت جملة من الأوامر أن يعللوا، حتى لا يظن ظان أنها محض تسلط وتحكم.

١٧٢. تفيد إثبات الإرادة لله تعالى؛ لقوله:﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ﴾ فأثبت لنفسه الإرادة بنفي إرادة الحرج وإثبات إرادة التطهير.

١٧٣. تفيد إثبات الحكمة في شرع الله تعالى؛ لقوله: ﴿وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ﴾

١٧٤. فيها عبر- سبحانه- عن نفى الحرج بنفي إرادته، مبالغة في بيان رأفته- سبحانه- بعباده، ورعايته لمصالحهم. فكأنه- سبحانه- يقول: ما كان من شأن الله- تعالى- مع عباده أن يشرع لهم ما فيه مشقة أو حرج.

١٧٥. فيها إثبات الجعل لله ﷻ؛ لقوله:﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ ﴾ وهو جعل شرعي.

١٧٦. تفيد: أن تشـريعات الله طهر ونعمة للعباد والبلاد،﴿ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ ﴾.

١٧٧. فيها أن إرادة الله لتطهير عباده شرعا ليست خاصة بأهل البيت المنصوص عليها في قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴾ [الأحزاب:٣٣]، بل هي إرادة عامة لجميع الأمة.

١٧٨. فيها أن من تمام نعمة الله المستوجبة للشكر هي الجمع بين الطهارة الحسية والمعنوية.

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [المائدة: ٧].

١٧٩. مناسبتها لما قبلها أنه بعد ختم الآية السابقة بقوله:﴿ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [المائدة:٦]، أمر جل وعلا في فاتحة هذه الآية بتذكر نعمه تعالى؛ لأن أعظم داع لشكر الله تعالى هو تذكر نعمه ﷻ.

١٨٠. تفيد مع ما قبلها أن الوضـــوء نعمة قال محمد بن كعب القرظي: إتمام النعمة تكفير الخطايا بالوضوء. [البغوي:١/٦٤٧]، وكذلك النعمة بالتخفيف إلى التيمم في حال تعذر وجود الماء أو تعذر استعماله.

١٨١. الواو في أول الآية عطفت الأوامر في الآية السابقة بهذا الأمر ﴿ فَٱغۡسِلُواْ ﴾ ﴿وَٱمۡسَحُواْ ﴾ ﴿ فَٱطَّهَّرُواْۚ ﴾ ﴿ فَتَيَمَّمُواْ ﴾ ﴿ وَٱذۡكُرُواْ ﴾، ففيه تضمين لأن كل السابق من النعم التي يجب أن تذكر فتشكر.

١٨٢. قوله ﴿ وَٱذۡكُرُواْ ﴾ ولم يقل (تذكروا) مشعر بأن نعم الله أظهر من الاجتهاد في تذكرها بل هي محيطة بالعبد من كل إتجاه متلبس بها في كل الأحوال.

١٨٣. وأيضا قوله: ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾ يشعر بنسيانها مع أن مثلها في تواترها لا ينسى، وهذا للإشـارة إلى أنه لكثرة هذه النعم وتعاقبها، صـارت كالأمر المعتاد الذي لكثرة وجوده قد يغفل عنه المرء.

١٨٤. تفيد مع ما قبلها أن إقامة الصلاة بشروطها وأركانها وواجباتها هو أعظم داع لتذكر نعم الله تعالى والشكر عليها؛ ولهذا كان رسول الله ﷺ يقوم الليل حتى تتفطر قدماه؛ ويقول: (أفلا أكون عبدا شكورا) رواه البخاري في التفسير (٤٨٣٧).

١٨٥. تفيد مع ما قبلها أن إقامة الصـــلاة من أعظم العهود والمواثيق؛ لقوله تعالى ﴿وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ ﴾ ويشهد لهذا قوله ﷺ: (إن العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر). أخرجه الترمذي (٢٨٠٩)، والنسائي ١/ ٢٣١ - ٢٣٢، وصححه الألباني.

١٨٦. تفيد وجوب الوفاء بالعهود والمواثيق وخصوصا التي مع الله جل وعلا، فإن مخالفة ذلك من أســباب اللعن كما حصــل لأهل الكتاب قال تعالى ﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ ﴾ [المائدة:١٣].

١٨٧. فيها إشارة إلى مكانة الإيمان في الدين وأنه هو أساس البناء لأن ميثاق الله وعهده هو الإيمان بأركانه.

١٨٨. فيها الحثُّ على التأمُّلِ في نِعَمِ الله تعالى؛ نبَّه على ذلك قولُه: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ [المائدة: ٧]، لأن هذا مما يعين ويدفع للعمل الصالح.

١٨٩. تذكير العباد بنعم الله منهج رباني، أمر الله به كثيرا من الأنبياء أن يذكروا أقوامهم به. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه الآية: ولهذا كانت طريقة القرآن تذكير العباد بآلاء الله عليهم فإن ذلك يقتضي شكرهم له، وهو أداء الواجبات الشرعية. مجموع الفتاوى (٢٨/٦٤٩).

١٩٠. قوله: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ يشمل ذكرها باللسان، وتذكرها بالذهن أي عدم نسيانها، ويشمل استشعار عظمتها وشرفها.

١٩١. عطف قوله: ﴿وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾ على الجملة الأولى يشير إلى أن الميثاق داخل في النعم المطلوب ذكرها، وهذا من باب عطف الخاص على العام لزيادة تشريف وبيان علو منزلته.

١٩٢. تذكر الميثاق الذي أخذ علينا في عالم الذر والعناية به فيه تربية على تعميق الإيمان والتجرد من إعمال العقل فيما لا دخل له فيه.

١٩٣. أضيف الميثاق إلى الله تأكيدا لوجوب الوفاء به ولأنه - سبحانه- هو الذي شرعه وهو الذي سيحاسبهم على نقضه وعدم الوفاء به، وزيادة بيانه بقوله ﴿ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾ فيه تأكيد على المعنى.

١٩٤. فيها زوال للعجب من النفس بالنعم الدينية، وزيادة لفضل الله وإحسانه.

١٩٥. تفيد وجوب أن يقترن سمع العبد بالاستجابة والطاعة، إذ إن مجرد السماع لا يغني شيئا، لقوله تعالى: ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، ويدل على ذلك قوله تعالى في آية أخرى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢١].

١٩٦. تفيد أن العلم قبل العمل لقوله: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [المائدة: ٧]، فالسماع للعلم ثم العمل به وهو الطاعة.

١٩٧. التذكير بقولهم: ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [المائدة:٧]، فيه أحد مبادئ إيجاد الدافعية للعمل عن علماء السلوك.

١٩٨. يفيد الأمر بالتقوى في خاتمة الآية إشارة إلى صعوبة الوفاء بعهود الله ومواثيقه، وأنه لا يحمل على الوفاء بها إلا مخافة الله تعالى؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾.

١٩٩. ٢تفيد أهمية أن يذكّر الإنسان بأقواله؛ من أجل مراعاتها والمحافظة عليها؛ لقوله تعالى: ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾.

٢٠٠. فيها تحذير عظيم ووعيد شديد لكل مخالف، لم يتذكر نعمة الله وميثاقه، ولم يمتثل لأوامره ولم يتجنب نواهيه؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

٢٠١. تفيد أن التقوى محلها القلب؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

٢٠٢. تفيد عموم علم الله تعالى وشموليته للظاهر والباطن؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾؛ فعلمه ﷻ بباطن ما في الصدور يقتضي علمه بالظاهر. وهذا من المعينات على تحقيق التقوى.

٢٠٣. إظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار؛ ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ لتربية المهابة في النفس، وتعليل الحكم، وتقوية استقلال الجملة.

٢٠٤. قوله: ﴿بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أبلغ وأقوى من (بما في الصدور) ؛ لأن في الأول المعنى العلم بها وبما فيها فشمل الثاني، وناسب ذلك الأمر بالتقوى وذكر الميثاق.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

٢٠٥. مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه لما سبق التذكير بالميثاق الذي أخذه الله على العباد فيما يتعلق بالسمع والطاعة والتحذير من العدول عن ذلك، جاء في هذه الآية الأمر بالعدل عموما، والعدل مع النفس خصوصا بحملها على طاعة مولاها، والشهادة بالحق في جميع الأحوال التي من أهمها شهادة المرء على نفسه بالميثاق الذي واثقه الله به.

٢٠٦. يفيد النداء في أولها الاهتمام والتنبيه والحث على العمل بما ورد فيها، وأن أهل الإيمان هم أولى الناس بالقيام لله والشهادة بالقسط.

٢٠٧. في ندائه- سبحانه- بقوله: ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ﴾ بصفة الكينونة الدالة على الدوام، وبصيغة المبالغة الدالة على الكثرة تمكين لصفة الطاعة له من نفوسهم، وترسيخها في قلوبهم، فكأنه- سبحانه- يقول لهم: روضوا أنفسكم على طاعة خالقكم، وعودوها على التزام الحق والعدل، واجعلوا ذلك شأنكم في جميع الظروف والأحوال فلا يكفي أن تلتزموا الطاعة والعدل مرة أو مرتين، وإنما الواجب عليكم أن يكون التزامكم لذلك في كل أوقاتكم وأعمالكم.

٢٠٨. تدل على أن شهادة المرء على نفسه انتصار عليها؛ لأن النفس أمارة بالسوء.

٢٠٩. فيها أن العدل مطلوب، حتى مع أعداء الله، ومع المؤمنين من باب أولى. فالمرء مطالب بالقسط في كل أحواله، ومع جميع الناس، مع القريب والبعيد، والغني والفقير، والشريف والوضيع. وهذا يدل على سماحة هذه الشريعة وحسن أحكامها.

٢١٠. ذكر بعض المحققين وجها لتقديم القسط في سورة النساء وتأخيره هنا، وهو أن آية النساء جيء بها في معرض الإقرار على نفسه ووالديه وأقاربه، لذا بدأ فيها بالقسط الذي هو

العدل من غير محاباة نفس، ولا والد ولا قرابة. والتي هنا جيء بها في معرض ترك العداوة فبدأ فيها بالقيام لله- تعالى- لأنه أردع للمؤمنين، ثم ثنى بالشـهادة بالعدل فجيء في كل معرض بما يناسبه». وقيل: إنّ الآية الّتي في سـورة النّسـاء وردت عقب آيات القضـاء في الحقوق المبتدأة بقوله: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾ [النساء:١٠٥]، ثمّ تعرّضت لقضـية بني أبيرق في قوله: ﴿ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا﴾ [النساء: ١٠٥]، ثمّ أردفت بأحكام المعاملة بين الرّجال والنّساء، فكان الأهمّ فيها أمرَ العدل فالشـهادةِ. فلذلك قدّم فيها ﴿ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ ﴾ فالقسـط فيها هو العدل في القضـاء، ولذلك عدّي إليه بالباء، إذ قال ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ ﴾ [النساء: ١٣٥]، وأمّا هذه الآية فهي واردة بعد التذكير بميثاق الله، فكان المقام الأوّل للحض على القيام لله، أي الوفاء له بعهودهم له، ولذلك عدّي قوله:﴿ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ ﴾ باللام. وإذ كان العهد شـهادة أتبع قولُه: ﴿ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ ﴾ بقوله:﴿شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾، أي شـهداء بالعدل شـهادة لا حيف فيها، وأولَى شـهادة بذلك شهادتهم لله تعالى. وقد حصل من مجموع الآيتين: وجوب القيام بالعدل، والشهادة به، ووجوب القيام لله، والشهادة له.

٢١١. في الآية تأكيد على دوام القيام بالعدل ولزومه، دل على ذلك قوله:﴿ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ﴾.

٢١٢. تفيد الحث على الإخلاص في الأعمال والأقوال لقوله: ﴿ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ ﴾.

٢١٣. وفي مجيء ﴿ لِلَّهِ ﴾ ملازمة للشـهادة تحذير ووعيد من التزوير فيها، ولو كانت في حق صاحب الشهادة، أو من لهم شأن عنده.

٢١٤. دلت الآية على أن كفر الكافر لا يمنع من العدل فيه، وإن قتلوا نسـاءنا وأطفالنا وغمونا بذلك.

٢١٥. فيها مشروعية التعامل مع الكفار، ولا يلزم من حسن معاملتهم عدم بغضهم، قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

٢١٦. فيها إشارة إلى أن البغض يحمل النفوس على الظلم وعدم العدل في المبغض ولذلك نبه عليه العليم الخبير بخفيات النفوس.

٢١٧. في ورود فعل الأمر ﴿ٱعْدِلُواْ﴾ مزيد توكيد للعدل في الحكم أو الشهادة على كل أحد، بصرف النظر عن هويته.

٢١٨. يفيد وصفه جل ثناؤه "العَدْل" بما وصفه به من أنه "أقرب للتقوى" من الجور، لأن من كان عادلا كان لله بعدله مطيعًا، ومن كان لله مطيعا، كان لا شك من أهل التقوى، ومن كان جائرا كان لله عاصيا، ومن كان لله عاصيا، كان بعيدًا من تقواه.

٢١٩. في قوله: ﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ إشارة إلى أن شأن القضاء مرده إلى الله تعالى والتقوى تستدعي القضاء بما شرع سبحانه.

٢٢٠. تفيد الأمر بتقوى الله ﷻ في كل شيء؛ فهي تحمل على الامتثال والعمل بالشرع.

٢٢١. فيها وعيد شديد لمن مال عن الحق في الحكم أو الشهادة، دل عليه قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فهو خبير بمن عدل عن الحق ولم يقض أو يشهد به.

٢٢٢. تفيد إثبات صفة الخبرة لله ﷻ. قال الطبري: "والله ذو خبرة وعلم بأعمال عبيده وهو بجميعها محيط لا يخفى عليه شيء".

٢٢٣. الفرق بين العلم والخبير أن الخبر هو العلم بكُنْه المعلومات على حقيقتها، ففيه معنى زائد عن العلم، وعندما يقول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: أن الله يعلم العمل، وكيف يكون العمل، ويعلم ما وراء العمل من نوايا ومقاصد.

٢٢٤. تفيد الرد على الجبرية؛ فقد نسب العمل إلى العباد: ﴿تَعْمَلُونَ﴾.

٢٢٥. تفيد سعة علم الله سبحانه وتعالى، وأنه عز وجل عالم ببواطن الأمور.

قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾

[المائدة: ٩].

٢٢٦. مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه بعد أن أمرهم بالتّقوى ذكر ما وعد الله به المتّقين ترغيباً في الامتثال، وعطف عليه حال أضداد المتّقين ترهيباً.

٢٢٧. وعد الله تعالى مشروط بالإيمان المصحوب بالعمل الصالح الخالص لوجهه، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة: ٥]، فحين إيفاء الشروط يغفر الله الذنوب والخطايا مع الأجر الذي لا حدود له.

٢٢٨. تفيد إثبات الأفعال لله سبحانه وتعالى.

٢٢٩. تفيد أن الإيمان شرط في قبول الأعمال ولذلك قدم على العمل الصالح.

٢٣٠. في قوله: ﴿ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ ﴾ هذا في مقابل الذنوب، ﴿ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾ في مقابل الحسنات؛ فالسيئات تُغفَر، والحسنات يثابون عليها هذا الثواب العظيم.

٢٣١. في إثبات المغفرة لهم بطريق الجملة الاسمية دلالة على الثبات والتقرّر.

٢٣٢. تفيد فضيلة الإيمان والعمل الصالح، ووجه ذلك ما رُتّب عليه من الثواب؛ لأن كل عمل رُتّب عليه ثواب فإنه فاضل مأمور به.

٢٣٣. فيها: تفضُّل الله عز وجل على عباده حيث جعل الثواب بمنزلة الأجر؛ كأن العامل أجيرٌ إذا وفّى العمل أُعطِي أجره، مع أن المنَّة لله عز وجل أولًا وآخرًا.

٢٣٤. قدم المغفرة لأنها إسقاط حق، وأخر الأجر لأنه فَضْل.

٢٣٥. فيها أن المؤمنين غير معصومين بدليل وعد الله لهم بمغفرة ذنوبهم.

٢٣٦. فيها سعة رحمة الله وسعة كرمه.

٢٣٧. تفيد عظم هذا الأجر الذي وعدهم به سبحانه؛ فإن العظيم قد وصف الأجر بأنه عظيم أي: لا تعرف كنهه أفهام الخلق.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [المائدة: ١٠].

٢٣٨. مناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر ثواب المؤمنين العاملين للصالحات ثني هنا بذكر نقيضهم.

٢٣٩. تفيد أن القرآن الكريم مثانٍ؛ إذا ذَكَر أهلَ العمل الصالح ذَكَر أهلَ العمل السيئ، وإذا ذكر أصحاب الجنة ذكر أصحاب النار.

٢٤٠. فِي ذِكْرِ حالِ الكَفَرَةِ بَعْدَ حالِ المؤْمِنينَ كَما هو فِي السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ القُرْآنِيَّةِ وفاء بِحَقِّ الدَّعْوَةِ، وتَطْيِيب لِقُلُوبِ المؤْمِنِينَ بِجَعْلِ أصْحابِ النّارِ أعْداءَهم دُونَهم.

٢٤١. فيها أن الكفر قد يصحبه التكذيب وقد لا يصحبه، وكل منهما موجب للخلود في النار، وإذا اجتمعا كان ذلك أشد وأعظم.

٢٤٢. فيها: أن الاستسلام التام لآيات الله والتصديق بأخبارها والتنفيذ لأحكامها من موجبات دخول الجنة.

٢٤٣. تفيد أن الكفر يورد الإنسان موارد الهلاك ويورثه النار فوجب الحذر منه والبعد عنه.

٢٤٤. تفيد ذم التكذيب والجحود لآيات الله عز وجل.

٢٤٥. تفيد أن آيات الله تعالى يجب أن تقابل بالشكر والتصديق والإيمان لا بالتكذيب والجحود والكفران.

٢٤٦. تفيد إثبات النار وشدتها، وفي ضمن ذلك التحذير مما يوصل إليها من الكفر والفسوق والعصيان.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [المائدة: ١١].

٢٤٧. منا سبتها لما قبلها أنه سبحانه لما أمرهم بذكر النِّعمة، عطف على ذلك الأمر: الأمر بالخوف من المنعِم أن يبدل نعمته بنقمة، فقال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ أي: الملك الذي لا يطاق انتقامه؛ لأنه لا كفء له، حذراً من أن يسلط عليكم أعداءكم، ومن غير ذلك من سطواته. [البقاعي:٢/٤١٠].

٢٤٨. خطاب الله تعالى لهم بصفة الإيمان يدل على أن موجب الشكر على هذه النعمة هو الإيمان بالله ﷻ.

٢٤٩. قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ ديدن المؤمن الحق أن لا يغفل عن ذكر ربه ﷻ وذكر نعمه التي لا تعد ولا تحصى.

٢٥٠. فيها التنبيه إلى أعظم محركين للقلوب في مسيرها إلى الله ومادتي حياتهما وهما: كثرة ذكره سبحانه، وذكر إنعامه وآلائه لشكرها وقد جمع الله تعالى بينهما في قوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢]، وجمع بينهما في هذه الآية؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ وذكر النعمة مقتض لذكر المنعم سبحانه وشكره، فجمعت ما بهما حياة القلوب واستقامتها.

٢٥١. تفيد مشروعية تذكر الماضي الجميل الباعث على شكر الله ﷻ وأنه علامة الإيمان.

٢٥٢. فيها الحث على معرفة سيرة النبي ﷺ العطرة إذ هي ذاخرة بذكر نعم الله عز وجل على النبي ﷺ.

٢٥٣. التعبير بقوله: ﴿إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ﴾ للإيذان بأن نعمة كف أيدي الأعداء عنهم قد جاءت عند شدة الحاجة إليها.

٢٥٤. الفاء في قوله: ﴿فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ﴾ للتعقيب المفيد لتمام النعمة وكمالها فهو - سبحانه - قد حال بين الأعداء وبين ما يشتهونه بمجرد أن قصدوا السوء بالمؤمنين.

٢٥٥. قوله – سبحانه –: ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْۖ﴾ بإظهار الأيدي، للإشارة إلى أنه – سبحانه – قضى على موضع قوة أعدائهم، ومناط شدتهم إذ الأيدي هي من أهم وسائل البطش والقتل.

٢٥٦. فيها أن كف الأذى والضرر عن الناس وغيرهم نعمة ومنة كبرى.

٢٥٧. فيها أن الإيمان والذكر والشكر والتقوى والتوكل هي مقومات للحفظ ودفع الضر.

٢٥٨. تفيد أنه بقدر الإيمان والتوكل وتذكر النعم تتحقق الطمأنينة واليقين بحفظ الله للدين وأهله، وهي من أحوج ما نحتاجه في زمن الفتن.

٢٥٩. تفيد إحاطة علم الله ﷻ وأنه يعلم ما تخفيه الصدور إذ علم ما هم به الكفار وعزموا على فعله.

٢٦٠. فيها أن النعم إما إيجادُ معدومٍ، وإما كفُّ موجودٍ، ولهذا يُشكر الله ﷻ على هذا وهذا.

٢٦١. تفيد القدرة الكاملة لله ﷻ ومن مظاهرها في الآية:

١- أنه كف الكفار عن إتيان ما همّوا أن يفعلوه بالمؤمنين.

٢- تفيد أنه أوحى إلى النبي ﷺ وأخبره بما أراد به الكفار.

٢٦٢. فيها رد على من يعتقد بأن الأنبياء يعلمون الغيب.

٢٦٣. تفيد عناية الله بالمؤمنين وحفظه لهم إذ حفظهم من الشر الذي أراد الكفار إيقاعه بهم.

٢٦٤. تفيد أن من أسباب استجلاب التقوى تذكر الإنسان نعم الله عليه وعلى من سلف من أبائه.

٢٦٥. تفيد أن من التقوى شكر الله ﷻ على نعمه إذ أمر بالتقوى بعد الأمر بتذكر نعمه.

٢٦٦. تفيد أنه لا يمكن للمرء الاتصاف بالتوكل إلا بعد استقرار الإيمان في قلبه لذا انتهت الآية بذكره مع كون الخطاب من أوله موجّها إلى أهل الإيمان.

٢٦٧. فيها أن التوكل من الإيمان ولا بد من فعل الأسباب.

٢٦٨. فيها أن ترك التوكل نقص في الإيمان.

٢٦٩. تفيد وجوب إفراد الله جل وعلا وحده بالتوكل، فلا يتوكل على غيره؛ دل على ذلك صيغة الحصر. والصحيح أنه لا يجوز أن يقول: توكلت على الله ثم عليك كما جاز قول: ما شاء الله ثم شئت لأن التوكل هو اعتماد القلب على الله ﷻ وحده، فهو عبادة قلبية.

٢٧٠. قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ تأكيد التلازم بين الإيمان والتوكل كما في قوله: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣]. فلا يحقق التوكل إلا بالإيمان، ولا يحقق الإيمان إلا بالتوكل.

٢٧١. تفيد أن من أعظم أعمال القلوب هو التوكل على الله، كما أشار بذلك شيخ الاسلام ابن تيمية في أكثر من موضع.

٢٧٢. فيها أمرهم بما يستعينون به على الانتصار على عدوهم، وعلى جميع أمورهم، فقال: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ أي: يعتمدوا عليه في جلب مصالحهم الدينية والدنيوية، ويتبرؤوا من حولهم وقوتهم، ويثقوا بالله تعالى في حصول ما يحبون.

٢٧٣. تفيد أنه على حسب إيمان العبد يكون توكله، وهو من واجبات القلب المتفق عليها.

٢٧٤. فيها دلالة على شجاعة النبي ﷺ، وصدق توكله على الله ﷻ، وحفظ الله تعالى له وكفه الأعداء عنه، وجه ذلك ما ذكر في أسباب نزول الآية: ففي حديث جابر رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ نزل منزلا، وتفرق الناس في العضاة يستظلون تحتها، وعلق النبي ﷺ سلاحه بشجرة، فجاء أعرابي إلى سيف رسول الله ﷺ فأخذه فسله، ثم أقبل على النبي ﷺ فقال: من يمنعك مني؟ قال: "الله"! قال الأعرابي مرتين أو ثلاثا: من يمنعك مني؟ والنبي ﷺ يقول: "الله"! قال: فشام الأعرابي السيف، فدعا النبي ﷺ أصحابه فأخبرهم خبر الأعرابي، وهو جالس إلى جنبه ولم يعاقبه – أخرجه البخاري (٢٩١٠). قال معمر: وكان قتادة يذكر نحو هذا، وذكر أن قوما من العرب أرادوا أن

يفتكوا برسول الله ﷺ فأرسلوا هذا الأعرابي، وتأول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ ﴾.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ١٢].

٢٧٥. في مناسبة هذه الآية لما قبلها وجوه: الأول: أنه- تعالى- خاطب المؤمنين فيما تقدم بقوله: ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا ﴾ [المائدة:٧]، ثم ذكر الآن أنه أخذ الميثاق من بنى إسرائيل لكنهم نقضوه وتركوا الوفاء به، فلا تكونوا- أيها المؤمنون- مثلهم في هذا الخلق الذميم. الثاني: قيل إن الذين هموا بقتل المؤمنين هم اليهود، لذا ذكر سبحانه وتعالى بعض قبائحهم في هذه الآية، وبيّن أنهم كانوا أبدا مواظبين على نقض العهود والمواثيق. الثالث: أن الغرض من الآيات المتقدمة ترغيب المكلفين في قبول التكاليف وترك التمرد والعصيان. فذكر- سبحانه- أنه كلف من كان قبل المسلمين كما كلفهم ليعلموا أن عادة الله في التكليف والإلزام غير مخصوصة بهم، بل هي عادة جارية له مع جميع عباده.

٢٧٦. فيها: أكد- سبحانه- ما أخذه على بنى إسرائيل من عهود بقد وباللام، للاهتمام بشأن هذا الخبر، ولترغيب المؤمنين في الوفاء بعهودهم مع الله- تعالى- حتى لا يصيبهم ما أصاب بنى إسرائيل من عقوبات بسبب نقضهم لمواثيقهم.

٢٧٧. فيها: أسند - سبحانه- الأخذ إليه، لأنه هو الذي أمر به موسى عليه السلام ولأن في إسناد أخذ الميثاق إليه - سبحانه- زيادة في توثيقه، وتعظيم توكيده.

٢٧٨. فيها أهمية سن النظم التي تنظم دين الناس ودنياهم، ودليل هذه الهداية: أخذ الميثاق. وهو في جملته مجموعة من الأوامر والنواهي.

٢٧٩. وفيها أن أفضل هذه النظم ما كان من الوحي، ودليل هذه الهداية: أن الله ﷻ هو الذي أخذ الميثاق، فبان بذلك أنه ميثاق بالوحي.

٢٨٠. في قوله: ﴿ وَبَعَثۡنَا ﴾ التفات إلى المتكلم العظيم - سبحانه- لتهويل شأن هذا الابتعاث، لأن الله- تعالى- هو الذي أمر به.

٢٨١. فيها أهمية التنظيم والقيادة، وأن الناس لا يصلح دينهم ودنياهم إلا بذلك. كما قال الأفوه الأودي:

لا يَصْلُحُ الناسُ فَوضَى لا سَراةَ لَهُمْ　　ولا سَراةَ إذا جُهالُهُمْ سادُوا

٢٨٢. وفيها أن إعداد واختيار القادة، ينبغي أن يكون من وسط الأقوام المراد قيادتهم، فلا يكونون غرباء عنهم، ودليل هذه الهداية: ﴿ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ﴾ أي: من أنفسهم.

٢٨٣. وفيها أن من أركان الإدارة الراشدة انتقاء القيادة الواعية، وسن التشريعات المنظمة. فلا تصلح أمور الناس بالتشريعات دون القيادة، ولا بالقيادة دون التشريعات.

٢٨٤. وفيها أن من تمام القيادة ومن ضرورياتها: تقسيم المهام وتفويض الصلاحيات.

٢٨٥. فإن هؤلاء النقباء يقومون بمهام النواب.

٢٨٦. استحباب أن يكون النقباء كهذا العدد، ويؤيد ذلك فعل النبي ﷺ لما بايع الأنصار ليلة العقبة، كان فيهم اثنا عشر نقيبا.

٢٨٧. فيها أن القائد العالم الحكيم، مهما علا شأنه، فإنه لا يستغني عن معونة إخوانه له.

٢٨٨. فيها إثبات القول لله سبحانه وتعالى، والرد على الجهمية.

٢٨٩. فيها إثبات صفة المعية لله ﷻ، وأنها مستحقة لمن قام بشروطها.

٢٩٠. فيها بيان لبعض الشعائر التي يترتب عليها تكفير السيئات ودخول الجنات.

٢٩١. فيها وجوب الإتيان بالصلاة قائمة لقوله: ﴿لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ اي: ظاهرا وباطنا بالإتيان بما يلزم وينبغي فيها، والمداومة على ذلك.

٢٩٢. فيها أهمية الصلاة والزكاة وأنها كانت مشروعة لمن كان قبلنا.

٢٩٣. فيها اقتران الصلاة بالزكاة، فهما قرينتان في كتاب الله ﷻ، لأن الصلاة عبادة البدن والزكاة عبادة المال. ومن قام بهما قام ببقية شرائع الإسلام.

٢٩٤. تفيد وجوب الإيمان بالرسل، وشرفهم لأن الله ﷻ نسبهم إليه.

٢٩٥. فيها: أضاف- سبحانه- الرسل إليه في قوله: ﴿وَءَامَنتُم بِرُسُلِي﴾ لتشريفهم وتكريمهم وتعظيم شأن رسالاتهم.

٢٩٦. فيها وجوب تعزير الرسل عليهم السلام، والتعزير: النصر والتوقير والتأييد.

٢٩٧. أخر- سبحانه- الإيمان بالرسل عن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة مع أنه مقدم عليها؛ لأن اليهود كانوا مقرين بأنه لا بد في حصول النجاة من الصلاة وإيتاء الزكاة، إلا أنهم كانوا مصرين على تكذيب بعض الرسل. فذكر بعد إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة أنه لا بد من الإيمان بجميع الرسل حتى يحصل المقصود. وإلا لم يكن لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة تأثير في حصول النجاة بدون الإيمان بجميع الرسل.

٢٩٨. فيها عظيم فضل الله ورحمته، فهو يعطي ويرزق، ثم يسمي ما يطلبه من عباده قرْضا، ترغيبا لهم.

٢٩٩. فيها انقسام القرض إلى حسن وغير ذلك، ولكل واحد سماته وشرائطه.

٣٠٠. فيها استحباب الاكثار من نوافل الصدقة، لأن المراد بالزكاة في قوله ﴿وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الزكاة المفروضة. والمراد بالقرض الحسن في قوله: ﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ الصدقات غير المفروضة التي يبذلها القادرون عليها في وجوه الخير المتنوعة بدون رياء أو أذى.

٣٠١. التعبير بقوله: ﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ تأنيس للقلوب وترغيب للنفوس في البذل والعطاء، حيث شبه – سبحانه- ما يعطى للمحتاج رغبة في الثواب بالقرض الذي سيكافئ الله – تعالى- صاحبه عليه بأضعافه من الخير والنعم.

٣٠٢. فيها: أنه جمع لهم بين حصـــول المحبوب بالجنة وما فيها من النعيم، واندفاع المكروه بتكفير السيئات، ودفع ما يترتب عليها من العقوبات.

٣٠٣. تفيد إثبات الجنة وما فيها من النعيم المقيم ومن أشـــرفه القصـــور التي تجري من تحتها الأنهار.

٣٠٤. تفيد قبح بعد عظم النعمة أقبح، قال صاحب الكشاف: فإن قلت: من كفر قبل ذلك أيضا فقد ضلّ سواء السبيل، فلِمَ قال: ﴿ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ ﴾ قلت: أجل من كفر قبل ذلك أيضا فقد ضلّ. ولكن الضلال بعده أظهر وأعظم: لأن الكفر إنما عظم قبحه لعظم النعمة المكفورة، فإذا زادت النعمة زاد قبح الكفر وبلغ النهاية العظمى».

قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

٣٠٥. مناســـبة هذه الآية لما قبلها أنه ﷻ لَمّا ذَكَرَ ما أُخِذَ عَلى اليَهُودِ مِنَ المِيثاقِ؛ ووَعِيدِهِ لَهم إنْ كَفَرُوا بَعْدَ ذَلِكَ؛ ذَكَرَ أنَّهم نَقَضُـوا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ – كَما تَقَدَّمَ في سُـورَةِ "البَقَرَةِ"؛ وغَيْرِها كَثِيرٍ، لهذا بيَّن في هذه الآية عقابه لهم على هذا النقض تحذيراً لهذه الأمة من سلوك سبيلهم.

٣٠٦. فيها أنَّ نقض المواثيق الإلهية، سبب للعن والطرد من رحمة الله وقسوة القلب.

٣٠٧. دلت الآية بمفهوم المخالفة أنَّ العناية بالعهود والمواثيق من أهم الأســـباب لنيل رحمة الله وسلامة القلوب والثبات على المنهج الحق.

٣٠٨. فيها أنَّ قلوب العباد عندما تقسو تقودها لتحريف الكلم عن مواضعه وإنزاله في غير منازله مما يؤدى للانحرافات وتضييع الشريعة وتحريفها.

٣٠٩. تفيد أن أهل الزيغ يجدون سبيلا إلى مقاصدهم السيئة بتحريف كلام الله وتأويله على غير وجهه، فإن عجَزوا عن التحريف والتأويل تركوا ما لا يتفق مع أهوائهم مِن شرع الله الذي لا يثبت عليه إلا القليل ممن عصمه الله منهم.

٣١٠. قوله: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ استئناف مبيِّن لشدة قساوة قلوبهم، فإنه لا قسوة أشد من تحريف كلام الله – تعالى– والميل به عن الحق والصواب. أى: أنهم بلغ بهم الحال في قسوة قلوبهم، وعدم تأثرها بوعيد الله أنهم يميلون كلامه – سبحانه– عن الموضع الذي نزل فيه ولأجله عن طريق التأويل الباطل، أو التفسير الفاسد، أو التبديل للألفاظ بالزيادة تارة وبالنقصان أخرى، على حسب ما تمليه عليهم أهواؤهم وشهواتهم الممقوتة.

٣١١. فيها ذم لأهل البدع في هذه الأمة ممن يحرفون الكلم عن مواضعه بالتأويلات الفاسدة.

٣١٢. عبَّر– سبحانه– بقوله: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ بصيغة الفعل المضارع، لاستحضار صورة هؤلاء المحرِّفين. والدلالة على أنَّ أبناءهم قد نهجوا نهج آبائهم. واستمروا على ذلك النهج.

٣١٣. قوله: ﴿وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ شامل لنسيان علمه، وأنهم نسوه وضاع عنهم، ولم يوجد كثير مما أنساهم الله إياه عقوبة منه لهم. وشامل لنسيان العمل الذي هو الترك، فلم يوفَّقوا للقيام بما أمروا به، ويستدل بهذا على أهل الكتاب بإنكارهم بعض الذي قد ذكر في كتابهم، أو وقع في زمانهم، أنَّه مما نسوه.

٣١٤. تفيد أنَّ المعاصي سبب للتأثير في صحة القلوب، ومن أسباب نسيان ما ذكر به الإنسان.

٣١٥. فيها أنَّ من عدل الله إقامة الحجة على الخلق لقوله ﴿مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ ولكنهم تَرَكُوا العمل.

٣١٦. جمعت هذه الآية من الدلائل على قلّة اكتراث اليهود بالدّين ورقّة اتِّباعهم ثلاثة أصول من ذلك: وهي:

١/ التعمّد إلى نقض ما عاهدوا عليه من الامتثال.

٢/ الغرور بسوء التأويل.

٣/النسيان الناشئ عن قلّة تعهّد الدّين وقلّة الاهتمام به.

٣١٧. فيها: سمى الله تعالى ما ذُكِّروا به حظًّا، لأنَّه هو أعظم الحظوظ، وما عداه فإنَّما هي حظوظ دنيوية، كما قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص: ٧٩]، وقال في الحظ النافع: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥].

٣١٨. التنكير في قوله: ﴿حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ للتكثير والتهويل. أي: تركوا نصيباً كبيراً مما أمرتهم به شريعتهم وذكرتهم به توراتهم من وجوب اتباعهم للحق وإيمانهم بمحمد ﷺ عند ظهوره.

٣١٩. فيها أن هذه الخصال الذميمة، حاصلة لكل من اتصف بصفاتهم. فكل من لم يقم بما أمر الله به، كان له نصيب من اللعنة وقسوة القلب، والابتلاء بتحريف الكلم، وأنَّه لا يوفق للصواب، ونسيان حظ مما ذُكِّر به، وأنَّه لا بد أن يبتلى بالخيانة. نسأل الله العافية.

٣٢٠. هذه الجملة الكريمة وما يشبهها مما أورده القرآن في هذا المعنى تعتبر من المعجزات الدالة على صدق القرآن الكريم فإنَّ النَّاس قبل البعثة النبويَّة الشريفة لم يكونوا

يعرفون أنَّ اليهود نسوا حظاً كبيراً مما ذكَّرتهم به توراتهم. فلمّا بيّن القرآن ذلك عرفوا ما لم يكونوا يعرفونه من قبل. (الوسيط).

٣٢١. فيها أنَّه لما كانت أخلاق الآباء كثيراً ما يتوارثها الأبناء، فقد بيَّنت هذه الآية أنَّ اليهود المعاصرين، قد ورثوا رذائل آبائهم فقال: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ أي لا تزال- أيها الرسول الكريم- ترى في هؤلاء اليهود المعاصرين لك صورة السابقين في الغدر والخيانة. وإن تباعدت الأزمان فهؤلاء الذين يعاصرونك فيهم خيانة أسلافهم، وغدرهم ونقضهم لعهودهم. إلا قليلا منهم دخلوا في الإسلام فوفُّوا بعهودهم ولم يكونوا ناقضين لها.

٣٢٢. فيها تحذير له ﷺ من شرورهم ومن مسالكهم الخبيثة لكيد الإسلام والمسلمين فإنَّ التعبير بقوله: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ المفيد للدوام والاستمرار يدل على استمرار خيانتهم ودوام نقضهم لعهودهم ومواثيقهم.

٣٢٣. في هذه الجملة الكريمة تسلية للرسول ﷺ عما لقيه من اليهود المعاصرين له من كيد ومكر وخيانة. فكأنَّ الله – تعالى- يقول له إنَّ ما تراه منهم من غدر وخداع ليس شيئا مستبعداً، بل هو طبيعة فيهم ورثوها عن آبائهم منذ زمن بعيد.

٣٢٤. فيها التربية على الإنصاف، وعدم التعميم في الحكم على المخالفين، أفاد ذلك قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ .

٣٢٥. فيها أنَّ العفو والصفح من الإحسان الذي يؤدي إلى صلاح القلب.

٣٢٦. فيها: الحث على الإحسان فهو من الخلال الجميلة ويكفي فيه حصول المحبة من الله.

٣٢٧. في قوله: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ﴾ قال ابن كثير: وهذا هو عين النصر والظفر، كما قال بعض السلف: ما عاملت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه.

وبهذا يحصل لهم تأليف وجمع على الحق، ولعل الله أن يهديهم؛ ولهذا قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ يعني به: الصفح عمن أساء إليك.

٣٢٨. في الآية إثبات صفة المحبة لله ﷻ على ما يليق به، وليس هي إرادة الثواب كما يقول المؤولة.

٣٢٩. فيها: سعة فضل الله وعفوه وإحسانه بعدم المؤاخذة على الذنب.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾

[المائدة:١٤].

٣٣٠. مناسبة هذه الآية لما قبلها؛ أنه لَمّا دَخَلَ النَّصارى فِيما مَضى؛ لِأنَّهم مِن بَنِي إسْرائِيلَ؛ خَصَّهم بِالذِّكْرِ؛ لأن كُفْرهم في غايَةِ الظُّهُورِ والجَلاءِ. وقد أدّى ذَلِكَ إلى تَشَعُّبِهِمْ فِرَقًا؛ فَأنْتَجَ تَشاحُنَهُمْ؛ وتَقاطُعَهُمْ؛ وتَدابُرَهُمْ. (نظم الدرر بتصرف) .

٣٣١. في قوله ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾ يقرر الحق جل وعلا أن نصرانيتهم دعوى قالوها بألسنتهم وليس حقيقة خلعها الله عليهم، وفي هذا تقريع لهم وبيان أنه ادعاء أجوف، يكذبه أن أقوالهم ومزاعمهم خالفت أعمالهم ومواثيقهم.

٣٣٢. فيها إشارة إلى أهمية تصديق القول بالعمل، وبيان خطر الثناء على النفس، وزعم العبد عن نفسه أنَّه أهل لكذا وكذا، دون أن يتبعه بعزم ونية صادقة، وذكرٍ صالح؛ لقوله: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾ ادعوا وزعموا أنهم نصاري.

٣٣٣. فيها أنَّ النصارى حالهم كحال اليهود في خيانة العهود والمواثيق.

٣٣٤. فيها أنَّ نسيان القرآن والذكر سبب في نشوب العداوة والبغضاء بين الأمم فهنا النصارى تركوا بعض ما أمروا به؛ فكان تركه سببا لوقوع العداوة والبغضاء بينهم، ففي هذا دليل على أنَّ ترك الواجب يكون سببا لفعل المحرم؛ كالعداوة والبغضاء.

٣٣٥. تفيد أنَّ الذنوب تنسي العلم، وتجر إلى الضلال بعد الهدى خصوصا نقض المواثيق.

٣٣٦. تفيد أنَّ المراد بالنسيان هنا الترك والإهمال عن تعمد وقصد، لأن الناسي حقيقة لا يؤاخذه الله – تعالى–.

٣٣٧. يفيد الإتيان بالفاء في قوله: ﴿ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ أنَّ تركهم لما أخذ عليهم من ميثاق، كان عن تعجُّل وعدم تمهل بسبب استيلاء الأهواء والشهوات على نفوسهم.

٣٣٨. يفيد التنكير في قوله تعالى: ﴿حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ التهويل والتكثير. أي تركوا نصيباً كبيراً مما أمرتهم به شريعتهم.

٣٣٩. فيها أنَّ كثرة الخلاف بين الناس أسبابه انقسامهم إلى فرق، مما أدى إلى العداوة والبغضاء وفي الحديث (ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم) (رواه مسلم).

٣٤٠. فيها مِنَّة عظيمة ولطف من الله ﷻ بهذه الأمَّة؛ قال ابن عاشور: وكان اختلافهم لطفاً بالمسلمين في مختلف عصور التّاريخ الإسلامي، على أنَّ اتّفاقهم على أمَّة أخرى لا ينافي تمكُّن العداوة فيما بينهم، وكفى بذلك عقاباً لهم على نسيانهم ما ذكّروا به.

٣٤١. قوله: ﴿ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ ﴾ حقيقة الإغراء حَثّ أحدٍ على فعل وتحسينُه إليه حتّى لا يتوانى في تحصيله؛ فاستعير الإغراء لتكوين ملازمة العداوة والبغضاء في نفوسهم ، أي لزومهما لهم فيما بينهم (ابن عاشور).

٣٤٢. فيها بيان أنَّ هذه العداوة قد بلغت أوجها، وذلك أنَّها صدرت من نفوس قد أغريت بها، والإغراء: هو التحسين. فهم يبذلون العداوة، ويرونها حسنة، فيجتهدون في

بذلها والتماس ما يشعل نارها. قال النحَّاس: (ومن أحسن ما قيل في معنى ﴿ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ أنَّ الله ﷻ أمر بعداوة الكفار وابغاضهم، فكل فرقة مأمورة بعداوة صاحبتها وإبغاضها لأنهم كفار) .

٣٤٣. تفيد ذم الأهواء والبدع والخصومات في الدين؛ فقد روى ابن جرير عن إبراهيم النخعي والتّيمي، قوله: ﴿ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ ﴾ قال: ما أرى " الإغراء " في هذه الآية إلا الأهواء المختلفة".

٣٤٤. فيها تهديد ووعيد لمن يخالف أمر الله عزوجل بالعقاب يوم القيامة ﴿ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ فيعاقبهم عليه.

٣٤٥. فيها إثبات علم الله الشامل المحيط بكل جليل ودقيق. وذلك ظاهر في أن الله جل وعلا يحصي أعمال هؤلاء، ويخبرهم بها على وجه التفصيل يوم القيامة، لا يعزب عنه شيء من ذلك، سبحانه

٣٤٦. فيها رد على الجبرية لذين يزعمون أنه لا صنع للعبد، فقال تعالى ﴿ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾.

٣٤٧. تفيد إثبات الآخرة، وأن الله عز وجل يبين لهؤلاء ما كانوا يصنعون من ضلال وكفر، وغيره قال البغوي: ﴿ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ في الآخرة .

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[المائدة:١٥- ١٦].

٣٤٨. مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه ﷻ بعد أن ذكر من أحوال فريقي أهل الكتاب وأنبائهم ما لا يعرفه غير علمائهم، وما لا يستطيعون إنكاره أقبل عليهم بالخطاب بالموعظة؛ إذ قد تهيَّأ من ظهور صدق الرسول ﷺ ما يسهّل إقامة الحجّة عليهم، ولذلك ابتدئ وصفُ الرسول بأنّه يبيّن لهم كثيراً ممّا كانوا يخفون من الكتاب، ثم أعقبه بأنّه يعفو عن كثير. [التحرير والتنوير].

٣٤٩. في الآية دعوة لأهل الكتاب إلى الإيمان برسوله والدخول في دين الإسلام.

٣٥٠. فيها رحمة الله ﷻ بعباده حيث يدعوهم إلى ما فيه نجاتهم وسلامتهم بالدخول في هذا الدين الخاتم.

٣٥١. قوله ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ نداء وتنبيه لليهود والنصارى افتتح بياء النداء تبيانا لأهمية البلاغ الذي يتلوه.

٣٥٢. سمى الله ﷻ اليهود والنصارى بأهل الكتاب إقامة للحجة عليهم وليس تكريما.

٣٥٣. فيها أن نداءهم بهذا الوصف حمل لهم على الدخول في الإسلام فإن علمهم بما في كتبهم من بشارات بالرسول ﷺ يدعوهم إلى الإيمان به. فإذا لم يؤمنوا به مع علمهم بأنه رسول صادق في رسالته كانت مذمتهم أشد وأقبح، وكان عقابهم على كتمانهم الحق أعظم وأقسى.

٣٥٤. التعبير بقوله تعالى: ﴿ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا ﴾ دليل على إقامة الحجة عليهم حيث بين لهم أن النبي ﷺ قد وصل إليهم، ويعيش بينهم، فهم يرونه ويراهم، ويخاطبهم ويخاطبونه.

٣٥٥. فيها إشارة إلى أن العالم والداعية يأتي إلى الناس في أماكنهم ليبلغهم الدعوة، ولا ينتظر أن يأتيه الناس والطلاب في مكانه لقوله ﴿ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا ﴾.

٣٥٦. في إضافة الرسول إلى الله بضمير المتكلم، تكريم للرسول الكريم، وتمجيد له، وتعظيم لشأنه، ولشأن ما يحمل بين يديه من ربّه، من هدى ونور.

٣٥٧. فيها بيان صفة من صفات أهل الكتاب وهي جحودهم لكثير من الأحكام الشرعية حسدا منهم للصد عن الإسلام وإبعاد الناس عنه.

٣٥٨. فيها أن رسالة النبي ﷺ عامة شاملة لأهل الكتاب وغيرهم، فهو مرسل إليهم بالقرآن والسنة وإجماع المسلمين.

٣٥٩. فيها أن رسالة النبي ﷺ بينة واضحة لفظا ومعنى.

٣٦٠. وصف الرسول ﷺ بإظهار بعض ما أخفوه، هذه علامة على صدقه إذ لولا صدقه لما عرف ذلك. ووصفه بالعفو عن كثير من أفعالهم أمارة من أمارات خلقه، إذ لولا خلقه لما فعل ذلك فإظهار ما أبداه دليل علمه، والعفو عما أخفى برهان حلمه.

٣٦١. فيها أن ديدن اليهود والنصارى كتمان ما جاء من العلم وبلغهم من الشرع، لقوله: ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وفيها تحذير لنا من كتمان العلم، قال رسول الله ﷺ: "من كتم علما الجمه الله بلجام من نار" رواه البخاري.

٣٦٢. وفيها أنه قد تقتضي المصلحة السكوت عن بعض المثالب كما فعل النبي ﷺ بسكوته عن بعض مثالب اليهود ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾.

٣٦٣. وصف الرسول هنا بصفتين:

الصفة الأولى- أنه يبين لهم كثيرا مما يخفون من أحكام الكتاب الإلهي وهو التوراة.

الصفة الثانية- ويعفو عن كثير، أي يترك كثيرا ولا يظهر ما تكتمونه أنتم، إبقاء عليكم، وإنما لم يظهره لعدم الحاجة إليه في الدين. وهذا يدعوهم إلى أن يكونوا صرحاء جريئين في بيان أحكام الشرع الإلهي دون كتمان شيء، ولا تهرّب من إظهار الحقائق.

٣٦٤. إتيان الرسول ﷺ بهذا القرآن العظيم الذي بيَّن به ما كانوا يتكاتمونه بينهم، وهو أُمِّيّ لا يقرأ ولا يكتب - من أدل الدلائل على القطع برسالته، وذلك مثل صفة محمد ﷺ في كتبهم، ووجود البشائر به في كتبهم، وبيان آية الرجم ونحو ذلك.

٣٦٥. تفيد أن القرآن الكريم نور؛ يكشف ظلمات الجهل، ويظهر في ضوئه الحق، ويتميز عن الباطل، ويميز به بين الهدى والضلال والحسن والقبيح.

٣٦٦. تفيد أن القرآن الكريم مبين لكل ما يحتاج الخلق إليه من أمور دينهم ودنياهم من العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، ومن العلم بأحكامه الشرعية وأحكامه الجزائية.

٣٦٧. وصف الكتاب بأنه نور، ثم وصفه بأنه كتاب مبين، هو غاية ما يمكن أن تكون عليه دعوة الحق في جلالها، ووضوحها، وإشراق شمسها، وأن من لا يرى الحق في وجه هذه الدعوة، ولا يتناوله منها هو أعمى أو متعامٍ، ليس لدائه دواء.

٣٦٨. تفيد فضل النبي ﷺ، وفضل أتباعه، وأنه نور؛ قال الطبري: يعني بالنور، محمدًا ﷺ الذي أنار الله به الحقَّ، وأظهر به الإسلام، ومحق به الشرك، فهو نور لمن استنار به يبيِّن الحق. ومن إنارته الحق تبيينُه لليهود كثيرًا مما كانوا يخفون من الكتاب.

٣٦٩. فيها أن القرآن الكريم هاد لدار السلام، مبين لطريق الوصول إليها، وحاث عليها، كاشف عن الطريق الموصلة إلى دار الآلام ومحذر منها.

٣٧٠. فيها أن من أعرض عن القرآن مستكبرا، ولوى وجهه جاحدا، فهو وما اختار لنفسه: قال تعالى ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[١٧: فصلت].

٣٧١. من أسباب تيسير الهداية للعبد اتباعه لإشارات القرآن الكريم، وانجذاب دواعي قلبه إليه، فحسن مقصد العبد مع اجتهاده في طلب الهداية سبيل إلى الهداية، كما قال تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾.

٣٧٢. وفيها أن الهداية من الله للعلم والعمل ولمعرفة الحق وسلوكه هي بحسب الإيمان والقيام بحقوقه؛ لأن اتباع رضوان الله - الذي هو حقيقة الإخلاص - هو روح الإيمان وساقه الذي يقوم عليه.

٣٧٣. قوله تعالى: ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ هو بيان لفضل الله ولطفه بعباده الذين يوجهون وجوههم إليه.. إذ كانت

عناية الله إلى جوارهم، تمسك بهم على الطريق، وتسدد خطاهم إلى الغاية التي يجدون عندها الأمن والسلام.

٣٧٤. فيها بيان أن ما جاء مع رسول الله ﷺ من كتاب ونور كفيلين بإنقاذ أهل الكتاب المخاطبين من الخلافات والإشكالات والانحرافات التي ارتكسوا فيها فأدّت إلى النتائج التي ذكرتها الآيات السابقة.

٣٧٥. فيها أن القرآن حجة على الناس كافة لبيانه الحق في كل شيء.

٣٧٦. تدل على أن طالب رضا الله بصدق يفوز بكل خير وينجو من كل ضير.

٣٧٧. فيها بيان مقاصد القرآن الكريم وهي ثلاثة:

١- إن المتّبع لما يرضي الله والمقبل على مراده يهديه القرآن إلى طريق النّجاة والسّلامة من الشّقاء والعذاب في الدنيا والآخرة باتّباع الإسلام، والإسلام دين الحق والعدل والإخلاص والإنقاذ.

٢- إن القرآن المجيد يخرج المؤمنين به من ظلمات الكفر والشّرك والوثنية، والوهم والخرافة، وانحراف التفكير، إلى نور التوحيد الخالص.

٣- إن القرآن العظيم يهدي الناس ويرشدهم إلى الطريق الصحيح الموصل إلى الهدف السديد من الدين، وإلى خيري الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [المائدة: ١٧].

٣٧٨. مناسبة هذه الآية لما قبلها أنها بينت أن أعظمَ ضلال النّصارى ادّعاؤُهم إلهيّة عيسى عليه السلام، فإبطال زعمهم ذلك هو أهمّ أحوال إخراجهم من الظلمات إلى النّور وهديهم إلى الصراط المستقيم.

٣٧٩. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ إشـــارة إلى أحد أقوالهم الثلاثة وهو قول اليعقوبية القـائلين: بأن اللاهوت والناسوت صارا جوهرا واحدا كالماء واللبن.. درء تعارض العقل والنقل (٣٣٨/١٠).

٣٨٠. فيها التحذير من الغلو والإســراف في المدح، ومجاوزة الحد، والمدح بالباطل؛ لأن ذلك قد يفضي إلى الشرك، وكفر النصارى إنما كان بسبب غلوهم في المسيح لذا حذر ﷺ من الغلو فيه ففي حديث عُمَرَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: " لَا تُطروِنِي كما أَطْرَتِ النَّصَـارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أرنا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ ".رواه البخاري.

٣٨١. هذه الآية تؤكد كفر النصــارى بســبب هذه العقيدة المنحرفة لقوله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾.

٣٨٢. تدل على أن كفر النصـارى كفر مكابرة ومعاندة، لا كفر شـبهة وجهل؛ لأنهم أقروا أنه ابن مريم، ثم يقولون: إنه إله، فإذا كان هو ابن مريم وأمُّه أكبر منه؛ فمن البعيد أن يكون من هو أصغر منه إلهًا لمن هو أكبر منه وربًّا.

٣٨٣. فيها إبطال لما ادعته النصارى من ألوهية عيسى عليه السلام من أوجه عديدة:

١/ أنه لا أحد يقدر أن يمنعَ الله من شيء أَراده، ومِنْ ذلك أَن يُهلك المسيح ابن مريم وأُمَّهُ ومن في الأرض جميعًا فإذا كان المسيح لا يستطيع أَن يدفع عن نفسه ولا عن أمه شيئًا فكيف يكون إلهاً، وهو لا يســتطيع دفع الهلاك عن نفســه. ومن صــفات الإله أنه لا يعجز عن شـــيء. وَتَخْصِيصِ أمه بِالذِّكْرِ مَعَ دُخُولِهَا فِي عُمُومِ مَنْ فِي الْأَرْضِ لِكَوْنِ الدَّفْعِ مِنْهُ عَنْهَا أَوْلَى وَأَحَقَّ مِنْ غَيْرِهَا. فخلاصـــة هذا- أن المســيح وأمه من المخلوقات القابلة للفناء والهلاك كســـائر أهل الأرض. قال ابن جرير: يقول الله جل وعز: كيف يكون إلهًا يُعْبد من كان عاجزًا عن دفع ما أراد به غيره من الســوء، وغير قادر على صـرف ما نزل به من الهلاك؟ بل الإله المعبود الذي له ملك كل شيء، وبيده تصريف كل من في السماء والأرض وما بينهما.

٢/ أن لله – وحده – ملك جميع الموجودات، والتصـــرف المطلق فيها، إحياء وإماتة، وإيجادا وإعداما. فلا شريك له في ذلك، فلو كان عيسى إلها – كما يزعمون – لكان له شيءٌ في ملك السموات والأرض وما بينهما. فالمخلوقات كلها لله تعالى يتصرف فيها بحكمه الكوني والشرعي والجزائي، وهم مملوكون مدبرون، فهل يليق أن يكون المملوك العبد الفقير، إلها معبودا غنيا من كل وجه؟ هذا من أعظم المحال.

٣/ أن الله تعالى له القدرة على أن يخلق الخلق على مقتضـى مشـيئته، فقد يخلق بعض الأحياء من مادة لا توصـف بذكورة ولا أنوثة كأصـول أنواع الحيوان، ومن ذلك أبو البشـر آدم ﷺ، وقد يخلق بعضـها من أنثى فقط، وقد يخلق بعضـها من ذكر وأنثى، وشكل الخلق وسببه لا يدل على امتياز لبعضـها عن بعض، ولا على ألوهية لبعضـها، ولا حلول الإله الخالق فيها، فسنة الله في خلق المسيح ومزاياه لا تدل على كونه إلها وربّا، لأن هذه المزايا في الخلق كلها بمشيئة الخالق ولا يخرج بها المخلوق عن كونه مخلوقا، بل خلق عيسـى ﷺ العجيب إن دلّ على شـيء فإنما يدل على قدرة الخالق، لا أن يكون مزلقا إلى الكفر بالله،! فإن ذلك هو الضـلال والسّـفه، إذ كيف يتشابه الخالق والمخلوق، ويختلط الصانع بالمصنوع!؟

٣٨٤. خص المســيح وأمه بالذكر بعد ذكر أهل الأرض جميعا من أنه إن أراد إهلاكهم لن يملك أحد لهم منه شيئا؛ لأن المسيح وأمه اتخذوا إلهين كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]، فكان التخصيص بالذكر لينفي هذا الشرك والغلو الذي وقع في المسيح وأمه ولم يكن ذلك من باب التنقيص بالمســيح وأمه، بل كان التخصــيص لأجل أن الكلام وقع في ذلك المعين؛ فالتخصــيص للحاجة إلى ذكر المخصـوص والعلم به أو لأجل التنبيه به على ما سـواه، و لهذا لا يكون التخصيص في هذا مفهومه مخالفة بنفي نقيض الحكم عن ما سواه وحتى الذي يسمى دليل الخطاب للتخصيص؛ لم يكن للاختصاص بالحكم.

٣٨٥. تفيد بيان اجتراء النصارى العظيم على مقام الألوهية المنزه عن التشبيه وعن الحلول في أي شيء.

٣٨٦. هذا القول وإن لم يكن قول أكثر النصارى فإنهم بانتمائهم إلى النصرانية وقولهم بها وانخراطهم في سلك مبادئها وتعاليمها يؤاخذون به، لأن الرضا بالكفر كفر.

٣٨٧. تدل هذه الآية على كفر من ينسب إلى الله تعالى ما هو منزه عنه من سائر النقائص.

٣٨٨. فيها رد على أشباه النصارى الذين يقولون بعقيدة الحلول والاتحاد بل هؤلاء أكفر من اليهود والنصارى من وجهين:

١/ من جهة أن أولئك قالوا إن الرب يتحد بعبده الذي قربه واصطفاه بعد أن لم يكونا متحدين، وهؤلاء يقولون ما زال الرب هو العبد وغيره من المخلوقات ليس هو غيره.

٢/ من جهة أن أولئك خصوا ذلك بمن عظموه كالمسيح وهؤلاء جعلوا ذلك سارياً في الكلاب والخنازير والقذر والأوساخ.

٣٨٩. فيها تكفير لكل من شبه الله تعالى بخلقه أو ساوى المخلوق بالخالق كاليهود فقد شبَّهوا الخالق بخلْقِه، فوصفوه بصفات النقص والعيب، كالفقر والبخل واللُّغوب. وكالنصارى فقد شبَّهوا المخلوق بالخالق، فوصفوه بصفات الإلهيّة التي لا يستحقها إلاّ الله، حتى أشركوا بالله ما لم يُنزِّل به سلطانًا.

٣٩٠. في هذه الآية بيان لبعض أحكام الملك والأُلوهية، كالقدرة المطلقة والملك التام والخلق والإيجاد.

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨].

٣٩١. تبين هذه الآية ما عليه اليهود والنصارى من كذب وخبث وقبح في بيان صفاتهم وأفعالهم وأقوالهم ومن ذلك كذبهم في ادعائهم أنهم أبناء الله وأحباؤه.

٣٩٢. اشترك اليهود والنصارى في خصلتين ذميمتين، أتت هذه الآية لمعالجتها:

الأولى: قول اليهود أنهم شعب الله المختار، وأن سواهم أغيار لا يختلفون عن بقية الحيوانات، فجعلوا من أنفسهم عرقا خاصا فوق البشر.

والثانية: قول النصارى إن الله ضحى بابنه الوحيد -تعالى الله عن ذلك- لأجلهم ولكي يتحمل خطاياهم، فالبشرية تحاسب وأتباع المسيح فوق المحاسبة. فأخبرهم ربنا جل جلاله أنهم لا يختلفون في منزلتهم عن بقية الخلق، يعذبهم بذنوبهم ويغفر لمن شاء منهم ومعيار ذلك مشيئة الله وإرادته فهو ملك السماوات والأرض وما بينهما.

قال القرطبي: رد الله عليهم قولهم فقال: ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ﴾ فلم يكونوا يخلون من أحد وجهين، إما إن يقولوا هو يعذبنا، فيقال لهم: فلستم إذاً أبناءه ولا أحباءه فإن الحبيب لا يعذب حبيبه. وأنتم تقرون بعذابه، فذلك دليل على كذبكم- وهذا هو المسمى عند الجدليين ببرهان الخلف- أو يقولوا: لا يعذبنا فيكذبوا ما في كتبهم، وما جاءت به رسلهم. ويبيحوا المعاصي وهم معترفون بعذاب العصاة منهم، ولهذا يلتزمون أحكام كتبهم.

٣٩٣. يفيد قوله: ﴿بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ﴾ رد على أصل دعواهم الباطلة، وبيان لما هو الحق من أمرهم وهو معطوف على كلام مقدر. أي: ليس الأمر كما زعمتم يا معشر اليهود والنصارى من أنكم أبناء الله وأحباؤه، بل الحق أنكم كسائر البشر من خلق الله. فإنكم إن آمنتم وأصلحتم أعمالكم نلتم الثواب من الله، وإن بقيتم على كفركم وغروركم حق عليكم العقاب، وليس لأحد فضل على أحد إلا بالإيمان والعمل الصالح. قال أبو حيان: قوله: ﴿بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ﴾ إضراب عن الاستدلال من غير إبطال له إلى استدلال آخر من ثبوت كونهم بشرا من بعض خلقه، فهم مساوون لغيرهم في البشرية والحدوث، وهما يمنعان البنوة، فإن القديم لا

يلد بشـــرا، والأب لا يخلق ابنه، فامتنع بهذين الوجهين البنوة. وامتنع بتعذيبهم أن يكونوا أحباء الله، فبطل الوصفان اللذان ادعوهما.

394. فيها أن التألي على الله ليس فقط بالوعيد والتعذيب بل بالتمجيد والتنزيه، فلا يحق لأحد أن ينزه نفســـه أو غيره، ولا أن يحكم لأحد بالعذاب ولا بالمغفرة وإلا فقد تألى على الله ونازعه في ملكه.

395. تفيد النهي عن تزكية النفس، وقد قال تعالى عن اليهود أيضـا: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [النساء: ٤٩].

٣٩٦. فيها عطف – سبحانه – قولهم: ﴿وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ على قولهم ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ﴾ للإشارة إلى غلوهم في الجهل والغرور، حيث قصدوا أنهم أبناء محبوبون وليسوا مغضوبا عليهم من أبيهم بل هم محل رضـــاه وإكرامه. قال الســـعدي: والابن في لغتهم هو الحبيب، ولم يريدوا البنوة الحقيقية، فإن هذا ليس من مذهبهم إلا مذهب النصارى في المسيح.

٣٩٧. تفيد أن كل من ادعى ولاية الله من المسلمين مع انحراف في السلوك تشمله الآية.

٣٩٨. فيها أن الدعاوى إذا لم يكن عليها بينات فأهلها أدعياء.

٣٩٩. فيها أن الله تعالى حكم عدل لا يحابي أحدا وليس بينه وبين أحد من خلقه حسـب ولا نسـب، ويؤيد ذلك قوله تعالى ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٣]

٤٠٠. فيها الرد على الصـــوفية الذين يدعون محبة الله تعالى وولايته ومحبة رســـوله مع إقامتهم على الابتداع في دين الله ومخالفة أمر الله ورسوله.

٤٠١. تفيد أن الذنوب سبب للعذاب في الدنيا والآخرة؛ لقوله: ﴿ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ﴾.

٤٠٢. تفيد إثبات المغفرة لله ﷻ، وهي ستر الذنب والتجاوز عنه.

٤٠٣. تفيد إثبات المشيئة لله ﷻ، ومشيئته ﷻ نافذة، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

٤٠٤. تفيد أن المصير والمرجع إلى الله ﷻ، وفي هذا بشارة وتشويق للمؤمنين، وتخويف وزجر للكافرين..

٤٠٥. قوله: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ تذييل قصد به تأكيد ما قبله من عموم قدرته، وشمول إرادته وهيمنته على سائر خلقه.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة:١٩].

٤٠٦. مناسبة هذه الآية لما قبلها أن الله تعالى كرّر موعظتهم ودعوتَهم بعد أن بيّن لهم فسادَ عقائدهم وغرورَ أنفسهم بياناً لا يدع للمنصف متمسَّكاً بتلك الضلالات، كما وعظهم ودعَاهُم آنفاً بمثل هذا عقّب بيان نقضهم المواثيق. (التحرير والتنوير).

٤٠٧. في ندائه- سبحانه- لليهود والنصارى بقوله: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ تنبيه لهم إلى أن مصاحبتهم للكتاب وكونهم أهل معرفة، يوجبان عليهم المبادرة إلى اتباع الرسول ﷺ الذي بشرت بمبعثه كتبهم التي بين أيديهم، والذي يعرفون صدقه كما يعرفون أبناءهم. وإلا فسيكون عقابهم أشد إذا ما استمروا في كفرهم وضلالهم.

٤٠٨. قوله:﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ فيها مناسبة الخطاب للمخاطب حسب الوصف الذي فيه.

٤٠٩. قوله سبحانه- ﴿ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا ﴾ للإيذان بأنه ﷺ قد أصبح بينهم، بحيث يشاهدهم ويشاهدونه، ويسمع منهم ويسمعون منه، وأنه قد صار من اللازم عليهم اتباعه، لأن الشواهد قد قامت على صدقه فيما يبلغه عن ربه.

٤١٠. فيها التشريف والثناء بالإضافة للنبي ﷺ ﴿ رَسُولُنَا ﴾.

٤١١. تفيد عموم رسالة النبي ﷺ.

٤١٢. فيها أن كل من لم يؤمن بالنبي ﷺ وما جاء به فهو كافر؛ من أهل الكتاب أو من غيرهم.

٤١٣. فيها شهادة الله لرسوله عليه الصلاة والسلام بإقامة الحجة على أهل الكتاب.

٤١٤. فيها أن رسالته عليه الصلاة والسلام واضحة لا غموض فيها ولا لَبْس.

٤١٥. مفعول ﴿يُبَيِّنُ لَكُمۡ﴾ محذوف. أي: يبين لكم الشرائع والأحكام، وما أمرتم به، وما نهيتم عنه، وهذا يفيد أن النبي ﷺ بيَّن كل شيء يحتاج إليه الناس، كما قال أبو ذر رضي الله عنه: لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه إلا ذكر لنا منه علماً. وقال رسول الله ﷺ: "ما تركت شيئا يقربكم إلى الجنة إلا دللتكم عليه، ولا شئ يقربكم إلى النار إلا نهيتكم عنه". أخرجه ابن حبان (٦٥)، والبزار (٣٨٩٧)، والطبراني (١٦٤٧).

٤١٦. التعبير بقوله- تعالى- ﴿ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ فيه معنى فوقيه الرسالة على الفترة، وعلوها عليها كعلوا البيان على الجهل، والنور على الظلمة، فمن الواجب عليهم أن يسارعوا إلى اتباع الرسول الذي جاءهم بالحق، وإلا كانوا ممن يرتضي لنفسه الانحدار من الأعلى إلى الأدنى، ومن العلم إلى الجهل، ومن الهدى إلى الضلال.

٤١٧. فيها أنه كلما طال زمن الرسالة صار الناس أشد حاجة إلى الرسول، فمجيئه عليه الصلاة والسلام على فترة من الرسل منة عظمى منه سبحانه على أهل الكتاب.

٤١٨. فيها بيان سمو الرسالة المحمدية وعظمتها، وأنها جاءت والناس في أشد الحاجة إليها، وأنه لا عذر لأهل الكتاب في عدم الاستجابة لها بعد أن بلغتهم.

٤١٩. فيها إثبات الرسالات السابقة للرسول عليه الصلاة والسلام لقوله ﴿ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾.

٤٢٠. فيها أن من لم تبلغه الرسالة فهو معذور وهو ظاهر من قوله: ﴿ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ﴾.

٤٢١. فيها أنه لا حجة للإنسان بالقَدَر على مخالفة الرسل لقوله ﴿ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍۖ﴾ ووجه الدلالة: أنه لو كان لهم حق لم يرتفع بإرسال الرسل.

٤٢٢. فيها: الرد عليهم بالتأكيد المعنوي بجملة كاملة ﴿ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ ﴾.

٤٢٣. فيها أنه لا مانع من التأكيد متى ما دعت الحاجة إليه.

٤٢٤. فيها أن رسالة الرسل مشتملة على البشارة والنذارة.

٤٢٥. تفيد أن من أخص صفات الرسل والأنبياء البشارة والنذارة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤٥].

٤٢٦. فيها: إثبات قدرة الله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ فلا استثناء.

٤٢٧. فيها: من كمال قدرة الله أن كل من خالف أمره أو رسله فهو معرض للعقوبة. والله أعلم.

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٠].

٤٢٨. فيها أن من أدب الدعوة التلطف والتودد مع المدعوين وتجنب الاستعلاء فإن موسى خاطب بني إسرائيل بقوله: ﴿ يَٰقَوۡمِ ﴾.

٤٢٩. فيها أن من فقه الدعوة تذكير المدعوين بجميل صنع الله إليهم، وهو تنبيه يوجب على النفس الانقياد لأوامر الله ﷻ.

٤٣٠. تذكر النعم مما يعين العبد على توقير الله ومعرفته والحياء منه، وسرعة الاستجابة لأوامره وتجنب معصيته.

٤٣١. فيها عظم مقام النبوة وشرف منزلتها حيث قدمها في تعداد النعم عليهم.

٤٣٢. فيها أن الملك إذا كان على منهج الله فهو من أعظم نعم الله على عباده.

٤٣٣. فيها بيان لبعض أسباب تفضيل بني إسرائيل على العالمين، ومن ذلك النبوة.

٤٣٤. فيها إشارة إلى معنى قوله ﷺ: "كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي" رواه البخاري. ومع ذلك قابلوا هذا الإنعام بالكفران.

٤٣٥. فيها أن التذكير بالنعم من أكبر الحوافز على البذل والعطاء في سبيل الله، ولهذا كانت هذه الآية مقدمة لما بعدها ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾.

قال تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾[المائدة: ٢١].

٤٣٦. في تكرير النداء من موسى عليه السلام لهم بقوله: ﴿ يَٰقَوۡمِ ﴾ مبالغة في حثهم على الامتثال لما يأمرهم به، وتنبيه إلى خطر ما يدعوهم إليه وعظم شأنه. وعليه ففيه فائدة دعوية وهي تكرير النداء في الأمور المهمة.

٤٣٧. فيه حض شديد لهم على الاستجابة لأمره، وإغراء لهم بالنصر والفوز.

٤٣٨. تفيد أن بقاع الأرض تتفاضل، وأن منها مواضع مقدسة يستحب السكن فيها لما فيها من بركة في الدين والدنيا.

٤٣٩. قوله: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ تفيد أن القوم كانوا جبارين إلا أن الله– تعالى– لما وعد هؤلاء الضعفاء بأن تلك الأرض لهم، فإن كانوا مؤمنين مقرين بصدق موسى عليه السلام علموا قطعا أن الله ينصرهم عليهم، فلا بد وأن يقدموا على قتالهم من غير جبن ولا خوف ولا هلع.

٤٤٠. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ تحذير لهم من الجبن والإحجام، بعد ترغيبهم الشديد في الشجاعة والإقدام.

٤٤١. قوله: ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾ هذا التعبير فيه تشـــبيه حال من يرجع عن الجهاد بعد أن توافرت أســـبابه، بحال من يتراجع ســـائرا بظهره إلى الوراء، بدل أن يســـير بوجهه إلى الأمام. وهذا التعبير يصور قبح الجبن والتخاذل حسا ومعنى.

٤٤٢. تفيد ذم الجبن والخوف؛ وقد قال رسـول الله ﷺ: "شـر ما في الرجل شـح هالع، وجبن خالع". (السلسلة الصحيحة)، وكان يستعيذ بالله من الجبن والبخل، رواه مسلم وغيره.

٤٤٣. تفيد بمفهومها الحث على الشجاعة والإقدام.

٤٤٤. تفيد أن الأمور كلها قد قدرت، قال ابن عثيمين: وقوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قلت: إن الكتابة هنا كتابة قدرية لا شرعية، لو كانت شرعية لتعدّت بـ (على): كتب عليكم، ولا يستقيم المعنى.

٤٤٥. فيهـا التنبيـه إلى أهميـة الجهـاد في دعوة الأنبيـاء. وأن النكوص عن القيـام بـه ارتـداد وخسار.

٤٤٦. تفيد أنه ينبغي للإنســـان الداعي إلى الله أن يذكر عواقب الســـيئات من أجل تنفير النفوس عنها.

قال تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾[المائدة: ٢١].

٤٤٧. هذه الآية تدل على ســوء أدب بني إســرائيل في خطابهم مع نبيهم الكريم الكليم عليه وعلى نبينا أفضـل الصـلاة وأتم التسـليم حيث اسـتهانوا بمقام النبوة فنادوه باسمه المجرد ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ﴾ حتى يكف عن دعوتهم إلى الجهاد، ولم يقولوا يا رسول الله أو يا نبي الله ونحو ذلك.

٤٤٨. فيها أن ضعف النفس وخورها يظهر أثره في المنطق.

٤٤٩. تفيد أن الذنوب سبب في الجبن والضعف أمام العدو.

٤٥٠. فيها أن من تعنتهم أنهم يريدون مخالفة سنن الله الكونية، وذلك بطلبهم لأمر لا يمكن أن يتحقق وهو خروج العدو من المدينة دون قتال لكي يدخلوها، لهذا أكدوا عدم دخولهم بحرف النفي ﴿لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا﴾ وجعلوا غاية النفي أن يخرج الجبارون منها، مع أن خروجهم منها بدون قتال أمر مستبعد، وهم لا يريدون قتالا، بل يريدون دخولا من غير معاناة ومجاهدة.

٤٥١. تفيد أن الهمة العالية والمعنويات المرتفعة، وقبل ذلك الثقة بنصر الله عز وجل، والتوكل عليه سبب عظيم في تحقيق النصر، والخوف والتخاذل أول علامات الفشل والهزيمة.

٤٥٢. تفيد أن اليهود من أجبن الناس، وفي هذا حث للمسلمين على قتالهم وعدم هيبتهم، فهم كما قال تعالى: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤].

٤٥٣. فيها أن من لم يخف الله أخافه الله من المخلوقين الضعفاء وعظموا في أعينهم ﴿إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ﴾.

٤٥٤. فيها أن الجبان المتخاذل لن يعدم أن يختلق المعاذير ليغطي بها سوءته، وما يدري المسكين أنه إنما يخادع نفسه

٤٥٥. فيها تسلية للنبي ﷺ بتذكيره بما لاقى أخوه موسى عليه السلام من عجائب الأذى والإحباط من قومه.

٤٥٦. فيها أن معاناة نبي الله موسى عليه السلام ومجاهدته لم تكن من عدو الله الكافر فرعون وملئه بل كانت إضافة إلى ذلك من قومه من القبط ومن بني إسرائيل، الذين

عانى منهم أشد المعاناة وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بصبره فيقول كما في البخاري: رحم الله أخي موسى لقد أوذي أكثر من هذا فصبر.

٤٥٧. تدل على شرف وفضل أصحاب النبي، لما أمرهم رسول الله بقتال المشركين، وهم من حيث العدد والعتاد "جبارين".

٤٥٨. تدل على مكر وخداع بني إسرائيل واستخدام الحيل في التهرب من الأوامر والأحكام.

٤٥٩. جمع لهم نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام بين الأمر والنهي، والبشارة والنذارة، والترغيب والترهيب، والتذكير بالنعم السالفة. فقابلوه أقبح المقابلة.

٤٦٠. فيها ما يدل على وقاحة بني إسرائيل وجرأتهم على مخالفة الأوامر، لذا أكدوا معصيتهم بأنواع من التأكيد:

أحدها: تمهيد عذر العصيان بقولهم: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾.

والثاني: تصريحهم بأنهم غير مطيعين، وصدروا الجملة بحرف تأكيد، وهو "إن" ثم حققوا النفي بأداة "لن" الدالة على نفي المستقبل: أي لا ندخلها الآن، ولا في المستقبل. ثم علقوا دخولها بشرط خروج الجبارين منها.

قال تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

٤٦١. فيها تقديم أهل العلم والصلاح والخوف من الله، لأنهم أهل لاتخاذ المواقف الصحيحة.

٤٦٢. فيها أن المواقف الراشدة لا تصدر إلا عن أهل التوفيق والرشاد. وأن البصيرة والتوفيق في اتخاذ المواقف الصحيحة مرهون بمدى طاعة العبد لربه وخوفه وقربه منه. شاهد على هذه الهداية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩].

٤٦٣. فيها أنه لا اعتبار بكثرة الأصوات في بيان الحق والوصول إليه في مثل هذه الحالة؛ لأن الأغلبية من بني إسرائيل قالوا ﴿وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ [المائدة: ٢٢]، والأقلية: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾.

٤٦٤. فيها أنه ينبغي لمن عرف الحق أن يصدع به، ولا يكتمه مهابة وخوفا من كثرة القائلين بخلافه، فهما رجلان صدعا بالحق أمام جموع هادرة.

٤٦٥. فيها صورة من صور توقير الأنبياء ونصرتهم، وذلك بتأييد مواقفهم والمحاججة والدفاع عن أوامرهم وهديهم.

٤٦٦. فيها أن البعد الإيماني يعتبر عنصرا مهما في التخطيط لإدارة معارك الأمة، بل هو العنصر الأهم على الإطلاق.

٤٦٧. فيها القلة الشديدة لأهل الإيمان والصلاح بين بني إسرائيل، فلم يأمر بالمعروف سوى رجلين من المؤمنين، وفي ذلك بيان العناء الذي واجهه موسى عليه السلام برغم البينات التي أوتي والمعجزات التي أُظهرت.

٤٦٨. فيها أن الخوف من الله نعمة من نعم الله وسبيل هداية عظيم فبه يحصل التقوى وتتمثل الطاعة ويخنس الشيطان وتصلح النفس، قال ابن عاشور: قوله: ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ استئنافاً بيانياً لبيان منشأ خوفهما الله تعالى، أي الخوف من الله نعمة منه عليهما. وهذا يقتضي أنّ الشجاعة في نصر الدّين نعمة من الله على صاحبها.

٤٦٩. وفيها أن القائد الراشد لا يقدم على أمر حتى يتأكد من الجاهزية النفسية لجنوده.

٤٧٠. فيها أن الخوف من الله من البواعث على امتثال أمره ونهيه.

٤٧١. وفيها أن التوفيق للحق والرأي السديد منة من الله تعالى ذكرُهُ ونعمة وفضل على العبد لقوله: ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ وفي ذلك حث على الدعاء وطلب التوفيق من الله تقدس اسمه، وعلى شكر الله تبارك وتعالى في ملكوته على نعمه على العبد.

٤٧٢. فيها أن الخوف من الله يقوي القلب على الإقدام، وعليه نقول: من أراد الاهتمام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فليراقب الله ويخافه ويتقيه؛ فإن كثيرا من الناس ضعفوا عن هذا الأمر العظيم بسبب ضعف الإيمان.

٤٧٣. فيها وصف الله- تعالى- هذين الرجلين بوصفين:

أولهما: قوله: ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾ أى: من الذين يخافون الله وحده ويتقونه ولا يخافون سواه وفي وصفهم بذلك تعريض بأن من عداهما من القوم لا يخافونه- تعالى- بل يخافون العدو.

الوصف الثاني: فهو قوله: ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ فهذه الجملة صفة ثانية للرجلين. أى: قال رجلان موصوفان بأنهما من الذين يخافون الله- تعالى- ولا يخافون سواه، وبأنهما من الذين أنعم الله عليهما بالإيمان والتثبيت والثقة بوعده، والطاعة لأمره.

٤٧٤. يستفاد منها العناية بوجود إدارة مختصة للتوجيه المعنوي والإيماني، وذلك لتوجيه الجيوش ورفع هممهم.

٤٧٥. تفيد أن النصر يتحقق بأعمال القلوب أكثر مما يكون بأعمال الجوارح، فلا بد من إعمار القلوب مع عمل الجوارح وإعداد العدة. فقد عمر قلب الرجلين الخوف من الله وصدق التوكل عليه وقوة الإيمان به، وما سألوا قومهم من أعمال الجوارح هو دخول الباب، فإذا تحقق دخول الباب لله مع صدق التوكل والإيمان به تحقق لهم العون والغلبة والنصر من الله.

٤٧٦. تفيد أن بث روح التفاؤل وحسن الظن بالله تعالى في أحلك الظروف؛ وأصعب الأزمات؛ هو من دأب وعادات وصفات أولياء الله الصالحين.

٤٧٧. فيها أهمية وضع المعايير الإيمانية في اختيار القيادات التي توجه المقاتلين.

٤٧٨. فيها أهمية العمل الإعلامي والدعوي في الرد على المخذلين والمرجفين، وهذا ظاهر في تصدي الرجلين الصالحين لهذا الأمر.

٤٧٩. فيها أن التوجيه المعنوي لا يستقيم ولا يؤتي ثماره إلا بالتخلية والتحلية. التخلية: بدحض الشبهات، وإسكات المرجفين والتحلية: بمخاطبة الإيمان ورفع الهمم والتذكير بصدق الموعود الرباني.

٤٨٠. فيها أن الإيمان والارتباط بالله عنصر مهم في تكوين الشجاعة والإقدام.

٤٨١. فيها جواز أن ينبري المفضول للدعوة والنصح مع وجود الفاضل وحضوره، فهما رجلان من عامة المؤمنين، صدعا بالحق في وجود هذا النبي الكريم.

٤٨٢. فيها سماحة دين الله، وتواضع وسماحة نبي الله موسى عليه السلام، فقد أعطي العامة من المؤمنين حق المشاركة بإبداء الرأي والإدلاء بالحجة.

٤٨٣. تدل على أهمية إدارة الحوار في الأزمات، بإشراك جميع أطراف الأزمة، وهذا من أنجع أساليب الإقناع، في حل الأزمات.

٤٨٤. فيها وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر برغم قلة السالكين وجفاء الأهل وعداء القوم وقلة الثقة فيهم.

٤٨٥. تفيد أن الحقائق دائم تؤيد بالبينات، قال بعض العلماء: فإن قلت: من أين علما أنهم غالبون؟ قلت: من جهة إخبار موسى بذلك. ومن جهة قوله- تعالى- ﴿ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ [المائدة: ٢١]، وقيل: من جهة غلبة الظن وما تبينا من عادة الله في نصرة رسله، وما عهدا من صنع الله لموسى في قهر أعدائه، وما عرفا من حال الجبابرة.

٤٨٦. فيها – بمفهوم المخالفة: خطر المخذلين ووجود المنافقين في صفوف الجهاد، ﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ﴾ [التوبة: ٤٧].

٤٨٧. تفيد أن أولياء الله تعالى هم أشد عباد الله خوفا من التقصير في حق الله تعالى؛ ويسعون جاهدين إلى إخفاء أعمالهم الصالحة؛ ولهذا لم يقل الرجلان مع أنهما مخاطبان أيضا بالدخول؛ (لندخل عليهم الباب فإذا دخلناه فإننا غالبون وعلى الله فلنتوكل).

٤٨٨. تفيد أن المتفائلين بموعود الله والمحسنين الظن بالله تعالى في أوقات الأزمات قليل جدا.

٤٨٩. تفيد بإشارة لطيفة أنه ينبغي لمن يتصدى لكتابة التاريخ أن يذكر النماذج الطيبة في المجتمع الطالح؛ إذ لا تخلو المجتمعات البشرية من الناس الخيرين الصالحين ولو بصورة ضئيلة جدا.

٤٩٠. فيها إشارة إلى: أهمية الصحبة، وخطرها؛ في العون على الطاعة أو ضدها.

٤٩١. تفيد أن النصر مرتب على الشروع في فعل الأسباب المأمور بها. وهذا ظاهر في قولهم: ﴿ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ﴾.

٤٩٢. فيها أن تكوين وإعداد الجندي المقاتل يستلزم أمرين:

أ/ ناحية الإعداد المادي والجسدي.

ب/ ناحية الإعداد الإيماني.

٤٩٣. فيها التنبيه الى ما يجب على المؤمن من اتخاذ الأسباب الحسية والمعنوية. فالحسية ﴿ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ﴾، والمعنوية ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾ فلا يغني التوكل من غير اتخاذ الأسباب المادية، ولا يغني الاعتماد على الأسباب المادية من غير تحقيق التوكل على الله. وهذا معنى تحقيق العبودية الشاملة تحقيق عبودية الجوارح باتخاذ الأسباب المادية وعبودية القلب بالتوكل على الله تعالى.

٤٩٤. تفيد أن الأصل والمقصد الذي شرع الله لأجله القتال: طلب النصر وقهر الأعداء، وهزيمتهم، وليس طلب الشهادة. وهذا ظاهر في قول الرجلين: ﴿فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ﴾ أي: تتحقق لكم الغلبة والظهور على عدوكم، وهو المقصد الذي خرجوا لأجله. والشهادة وإن كانت محمودة، فليست هي المطلوبة في الأصل. ويؤكد ذلك تسمية الله جل ثناؤه لكثرة عدد الشهداء في أحد مصيبة، وذلك لأنها علامة الهزيمة في المعركة رغم أنها إحدى الحسنيين بالنسبة للشهيد،

كما في قول الله تعالى ذكرُهُ: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

٤٩٥. التعبير بـ ﴿ فَإِنَّكُمۡ ﴾ المفيدة للتوكيد، واسم الفاعل ﴿غَٰلِبُونَۚ﴾ إشارة إلى أن وعد الله في حكم المتحقق وكأنه ماثل وحاصل الآن. وهذا يختلف من عبارة: (إنكم ستغلبون) التي تفيد تحقق الأمر مستقبلا.

٤٩٦. فيها من أساليب الإقناع والتحفيز: قول الرجلين لعامة الجنود: ﴿فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ﴾، ولم يقولوا: (فإننا غالبون) فخاطبوهم بما يعلي هممهم، ويشعرهم بأنهم المرجو منهم تحقيق النصر، وأن عليهم المعول بعد الله تعالى.

٤٩٧. فيها من أساليب رفع الهمم: أهمية التبشير بحسن العاقبة، وتحقق موعود الله ﷻ ﴿فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ ﴾.

٤٩٨. فيها أهمية إحسان الظن بالله ﷻ، وأنه دافع للإقدام على الأعمال، ومحفز على الطاعات مهما كانت شاقة، فإن من يحسن الظن بالله يبصر حسن العاقبة في سعيه.

٤٩٩. وفيها أن القائد المحنك لا يخفي الحقائق عن جنوده بل يبين الواقع وطرق مجابهته. فإن الجنود لما خافوا من مقدرة العدو وقالوا: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ ﴾ [المائدة:٢٢]، لم يحمل ذلك موسى عليه السلام على تهوين الأمر والحط من مقدرات العدو، ولم يجادلهم فيما قالوه من حقائق، بل أقر ما جاء به الرجلان من الخطة الفاعلة لمواجهة هذه الأزمة، وهي: فعل الأسباب وحسن التوكل وحسن الظن بالله تعالى، واليقين في وعده بالنصر.

٥٠٠. فيها خطورة التخذيل والتحريض وأثره في تضعضع القوة وصعوبة النصر وقرب الهزيمة، وأن القضاء على تلك العناصر المحبطة أو بيان خطئهم يجب أن يسبق الجهد الحربي لضمان النصر بأذن الله.

٥٠١. فيها تقرير لمفهوم التوكل الشرعي، وهو فعل الأسباب المأمور بها، ثم التوكل والاعتماد على الله ﷻ في انجاحها.

٥٠٢. فيها أن من دلائل الإيمان: الوثوق بوعد الله تعالى، وهذا ظاهر في قول الرجلين المؤمنين: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾.

٥٠٣. فيها أن قوة الإيمان بوعد الله، قد تبلغ بالمرء مراتب من اليقين، وكأنه يرى تحقق الوعد رأي العين. وهذا ظاهر في قول الرجلين يقينا: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾

٥٠٤. أنَّه ينبغي ألَّا يَعتمِدَ الإنسانُ على نفْسِه وعلى السَّببِ الحسِّي فقط؛ لقولِهما بعدَ أنْ وجَّهَا قومَهما إلى أنْ يَدخُلوا عليهم البابَ: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾

٥٠٥. فيها أسلوب من أساليب الدعوة والحث على العمل الصالح، وهو ظاهر في التذكير بأن الإيمان له لوازم: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

٥٠٦. فيها أن التوكل الحق يستبين عند وقوع الابتلاءات والمحن والشدائد.

٥٠٧. فيها الإخلاص في التوكل على الله تعالى وهذا مستفاد من أسلوب الحصر والقصر، بتقديم ما حقة التأخير ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

٥٠٨. تفيد أنه لا تعارض بين الخوف والرجاء؛ وأن على العبد أن يجمع في عقيدته بين الخوف والرجاء؛ لقوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾.

٥٠٩. تفيد بيان استراتيجية مهمه في الحروب؛ وهي الإغارة على بلد العدو في حال غفلة أهلها ومن غير إعلامهم بهذه الحرب؛ لأن في ذلك تقليلا للكلفة المادية والخسائر البشرية؛ واستدعاء للنصر في أقل مدة زمنية؛ لقول الرجلين: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ وقد طبق النبي ﷺ

هذه الاستراتيجية المهمة في فتح مكة؛ حيث أغار على أهل مكة من غير إعلامهم بهذه الحرب؛ وسأل الله ﷻ أن يعمي الأخبار عن قريش حتى يبغتها في بلادها.

٥١٠. فيها إشارة إلى: حث المقاتلين على مواجهة العدو، وأهمية التذكير بالتوكل على الله، ولأن النصر من عند الله.

٥١١. فيها: أن التوكل علامة على الإيمان.

٥١٢. فيها جواز نسبة النصر والغلبة لمن باشر الأسباب ﴿فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَۚ﴾ مع اعتقاد أن توفيق الله تعالى، وإنجاحه للأسباب المبذولة من العباد، هو الأصل في حصول النصر.

٥١٣. تفيد أن نعم الدين والدنيا من الله جل وعلا فله الحمد والشكر.

٥١٤. قال السعدي: ثم أمَرَاهم بعدة هي أقوى العدد، فقالا: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ فإن في التوكل على الله -وخصوصا في هذا الموطن- تيسيرا للأمر، ونصرا على الأعداء. ودل هذا على وجوب التوكل، وعلى أنه بحسب إيمان العبد يكون توكله، فلم ينجع فيهم هذا الكلام، ولا نفع فيهم الملام.

٥١٥. فيها فائدة تاريخية وهي أن المدن كانت لها أبواب.

قال تعالى:﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤].

٥١٦. في قولهم ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ﴾ نداء لا يليق أن ينادى به كليم الله.

٥١٧. تفيد أن القلوب الجدباء ليس من طبعها الإدراك والوعي فهذه النصيحة الحكيمة من هذين الرجلين المؤمنين، لم تصادف من بنى إسرائيل قلوبا واعية، ولا آذانا صاغية بل قابلوها بالتمرد والعناد، بل أكدوا امتناعهم عن دخول هذه الأرض في هذه المرة بثلاثة مؤكدات، هي:

(إن)، و(لن)، وكلمة (أبدا).أى: لن ندخلها بأي حال من الأحوال مادام الجبارون على قيد الحياة ويسكنون فيها.

٥١٨. فيها أنهم أضافوا إلى هذا القول الذي يدل على جبنهم وخورهم، سلاطة في اللسان، وسوء أدب في التعبير، وتطاولا على نبيهم فقالوا: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾.

٥١٩. فيها أن من سنن الله في الخلق أن الكثرة لا يعتمد عليها في حسم المعارك.

٥٢٠. فيها أن الخصائص النفسية لكل شعب تختلف عن الآخر. قال السعدي: فما أشنع هذا الكلام منهم، ومواجهتهم لنبيهم في هذا المقام الحرج الضيق، الذي قد دعت الحاجة والضرورة إلى نصرة نبيهم، وإعزاز أنفسهم. وبهذا وأمثاله يظهر التفاوت بين سائر الأمم، وأمة محمد ﷺ حيث قال الصحابة لرسول الله ﷺ -حين شاورهم في القتال يوم "بدر" مع أنه لم يحتم عليهم: يا رسول الله، لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك، ولو بلغت بنا برك الغماد ما تخلف عنك أحد. ولا نقول كما قال قوم موسى لموسى: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، من بين يديك ومن خلفك، وعن يمينك وعن يسارك.

٥٢١. تفيد أن طول استمراء الذل والهوان يؤلف حتى يصير عادة.

٥٢٢. فيها أن انعدام يقين اليهود بالله تعالى كان سببا في خورهم وضعفهم.

٥٢٣. فيها أن من أعظم أسباب الوقوع في المعاصي الجهل بالله؛ لأن من جهل عظمة الله لم يوقر أوامره ولم ينزجر عن نواهيه.

٥٢٤. فيها أن من لم يعظم الله ويوقر رسوله ساء أدبه في الخطاب وربما أوقعه ذلك في الجرأة على الله وعلى رسوله وهو لا يشعر.

٥٢٥. فيها أن هذا الوصف الذي وصفوا به أنفسهم، ليدل على الخسة وسقوط الهمة، لأن القعود في وقت وجوب النشاط للعمل الصالح يؤدى بصاحبه إلى المذمة، والمذلة، قال- تعالى- ذمّا لأمثالهم: ﴿ وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾ [التوبة: ٤٦].

٥٢٦. تفيد بيان عظيم جهل بني إسرائيل بقدرة الله تعالى وشدة بأسه وسطوته.

٥٢٧. تفيد مع ما بعدها أن البلاء موكل بالمنطق؛ فهؤلاء عندما نطقوا بقولهم ﴿هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾؛ أقعدهم الله في هذا المكان الذي أشاروا به؛ وعندما نطقوا بقولهم: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ ذهب موسى وانتقل إلى جوار ربه؛ وهم في ذلك المكان قاعدون تائهون.

٥٢٨. فيها إشارة إلى أن الإنسان إذا نكل عن العمل، ووقع في المخالفة ألا يسرف ويمعن ويغالي فيها. فهؤلاء البعداء لو اكتفوا بمجرد القعود عن القتال لكانت مجرد مخالفة ومعصية، ولكنهم بالغوا وأوغلوا حتى وقعوا في الكفر والاستهزاء.

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة:٢٥].

٥٢٩. في الآية اللجوء إلى الله تعالى عند الشدائد وعظائم المواقف.

٥٣٠. فيها تقديم الثناء على الله تعالى في مقام الدعاء، فما دعي الله جل وعلا بـ﴿رَبِّ﴾ إلا أجاب.

٥٣١. فيها أن كليم الله -جلّ جلاله- بدأ دعاءه بإظهار العجز بين يديه -سبحانه- والافتقار إليه، لأن هذا من أسباب الإجابة.

٥٣٢. فيها جواز أن يدعو الصالح على مخالفيه، بعد استنفاذ كافة الوسائل واستعمال الأساليب في سبيل إرجاعهم إلى الصواب.

٥٣٣. فيها جواز أن يدعو الرجل ويرفع حاجته وحاجة أخيه.

٥٣٤. فيها أن الأخ يذكر أخاه، في مقام مناجاته ربه، بخير ما يعرفه عنه.

٥٣٥. تفيد رحمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بأقوامهم، فقد كان نبي الله موسى مجاباً لو دعا عليهم بسوء، ولكنه تحمل الأذى وصبر حبا في نجاتهم وهدايتهم وإتماما لرسالته على الوجه الذي يرضي ربه.

٥٣٦. فيها دلالة على كمال طاعة هارون عليه السلام لموسى عليه السلام من جهة، ومن جهة ثقة موسى عليه السلام بولاء وطاعة هارون عليه السلام، ومن هنا يستنبط أهمية طاعة القيادة، وكذلك أهمية ثقة القيادة بجنودها المخلصين. قال القرطبي: قوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ ﴾ لأنه كان يطيعه، وقيل المعنى: إني لا أملك إلا نفسي، ثم ابتدأ فقال: ﴿ وَأَخِيۖ ﴾ أي: وأخي أيضا لا يملك إلا نفسه.

٥٣٧. صرح موسى عليه السلام بأنه يملك أمر أخيه هارون كما يملك أمر نفسه، لمؤازرته التامة له في كفاحه ظلم فرعون، ولوقوفه إلى جانبه بعزيمة صادقة في كل موطن من مواطن الشدة وليقينه بأنه مؤيد بروح من الله- تعالى.

٥٣٨. تفيد أنه ينبغي مفارقة الفاسقين والظالمين وعدم مخالطتهم، والوجود بن ظهرانيهم.

٥٣٩. الفاء العاطفة للجمل في ﴿فَٱفۡرُقۡ﴾ فيها معنى السببية. ويستفاد من ذلك أن إظهار الافتقار إلى لله تعالى سبب من أسباب إجابة الدعاء.

٥٤٠. تفيد وصف هؤلاء بالفسق والعصيان، وقد قال الله عز وجل عن أهل الكتاب عموما ﴿وَأَنَّ أَكۡثَرَكُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة:٥٩]، قال السعدي: دل ذلك على أن قولهم وفعلهم من الكبائر العظيمة الموجبة للفسق.

٥٤١. تدل على ما لاقاه موسى عليه السلام من عناد وعصيان وإجرام من قومه.

٥٤٢. وفيها دليل كذلك على أن تركهم للجهاد وقعودهم وركونهم إلى الحياة الدنيا فسق.

٥٤٣. فيها دليل على هجر الظالم العاصي، ومفارقته تأديبا له.

٥٤٤. فيها أن انقطاع الإنسان عن حياة المجتمعات البشرية يعد نوعا من البؤس والعنت والمشقة. ولذا كان دعاء موسى هنا من باب ايقاع العقوبة.

٥٤٥. فيها تناسب بين معصية بني إسرائيل والعقوبة التي دعا بها موسى عليه الصلاة والسلام، فإن بني إسرائيل قد زاغوا وتاهوا وضلوا عن الطريق القويم، فدعا عليهم موسى أن يذيقهم الله شيئا محسوسا من ذلك.

٥٤٦. فيها حلم وصبر وفقه موسى عليه السلام، فلم يفارق ويتخذ قرار هجرهم من نفسه. بل سأل الله أن يحقق له ذلك، وهذا أدعى للاطمئنان على سلامة موقفه.

قال تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٦].

٥٤٧. فيها التحذير من مخالفة أمر الله، وأذية أولياء الرحمن، فقد يناله منهم دعاء يصيبه، فيسمع الله فيكون بسببه عطبه.

٥٤٨. فيها إشارة إلى أن الجزاء من جنس العمل. ووجه ذلك: أنهم لما تركوا أمر الله وقعدوا عنه، تركهم في التيه يعمهون.

٥٤٩. تفيد: أن مخالفة النبي سبب للشقاء.

٥٥٠. فيها: أن دعاء الرسل مستجاب.

٥٥١. فيها تسلية لنبي الله موسى عليه السلام حيث لم يستجب له قومه.

٥٥٢. فيها أن القعود عن الجهاد يورث الذل.

٥٥٣. في اختيار الله تعالى للفظة ﴿سَنَةً﴾ دون (عام). إشارة إلى صعوبة وشدة هذه السنوات الأربعين التي ستمر عليهم والتي سيجهزون فيها نفسيا ومعنويا وماديا. والله أعلم.

٥٥٤. فيها دليل على أن العقوبة على الذنب قد تكون بزوال نعمة موجودة، أو دفع نقمة قد انعقد سبب وجودها أو تأخرها إلى وقت آخر.

٥٥٥. قوله ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ قال السعدي: ولعل الحكمة في هذه المدة أن يموت أكثر هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة، الصادرة عن قلوب لا صبر فيها ولا ثبات، بل قد ألفت الاستعباد لعدوها، ولم تكن لها همم ترقيها إلى ما فيه ارتقاؤها وعلوها، ولتظهر ناشئة جديدة تتربى عقولهم على طلب قهر الأعداء، وعدم الاستعباد، والذل المانع من السعادة.

٥٥٦. تفيد أن التحريم يكون شرعيا وقدريا؛ وفي هذه الآية دلالة على التحريم القدري؛ لقوله تعالى: ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾.

٥٥٧. فيها دلالة على شؤم المعاصي والآثام؛ فإن الله ﷻ قد يحرم على عباده قدرا وكونا بعض ما أحل لهم شرعا بسبب المعاصي.

٥٥٨. تفيد أن العقوبة إذا وقعت فإنها تعم؛ لقوله تعالى: ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ ومعلوم أن هناك من كان يريد من بني إسرائيل الدخول إلى تلك الأرض؛ ولكن بشؤم معصية هؤلاء تم حرمانهم من دخول تلك الأرض؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].

٥٥٩. تفيد أن على العبد الصالح ألا يحزن على الفسقة إذا ما بذل جهده واستطاعته في إصلاحهم، قال تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٩]، ومفهومه: أنها تحزن لأهل الطاعة.

٥٦٠. في هذه القصة تقريع لليهود، وبيان فضائحهم، ومخالفتهم لله ولرسوله، ونكولهم عن طاعتهما فيما أمرهم به من الجهاد، فضعفت أنفسهم عن مصابرة الأعداء ومجالدتهم ومقاتلتهم، مع أن بين أظهرهم كليم الله وصفيه من خلقه في ذلك الزمان. وهو يعدهم بالنصر والظفر بأعدائهم. هذا مع ما شاهدوا من فعل الله بعدوهم فرعون من الغرق له ولجنوده في اليَّم وهم ينظرون. لتقر به أعينهم- وما بالعهد من قدم- ثم ينكلون عن مقاتلة أهل بلد هي بالنسبة إلى ديار مصر لا توازن عشر المعشار في عدة أهلها وعددهم. وظهرت قبائح صنيعهم للخاص والعام وافتضحوا فضيحة لا يغطيها الليل، ولا يسترها الذيل.

٥٦١. تفيد بيان عظمة الخالق ﷻ وقدرته الباهرة؛ قال البغوي: فلبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ وهم ستمائة ألف مقاتل، وكانوا يسيرون كل يوم جادين فإذا أمسوا كانوا في الموضع الذي ارتحلوا عنه. [معالم التنزيل ٢/٣٥].

قال تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة:٢٧].

٥٦٢. في مناسبة هذه الآية لما قبلها: قال ابن عاشور: والمناسبة بينها وبين القصة التي قبلها مناسبة تماثل ومناسبة تضاد. فأما التماثل فإن في كلتيهما عدم الرضا بما حكم الله تعالى. فإن بني إسرائيل عصوا أمر رسولهم إياهم بالدخول إلى الأرض المقدسة. وأحد ابني آدم عصى حكم الله تعالى بعدم قبول قربانه؛ لأنه لم يكن من المتقين. وفي كلتيهما جرأة على الله بعد المعصية، فبنو إسرائيل قالوا: اذهب أنت وربك، وابن آدم قال: لأقتلن الذي تقبل الله منه.

وأما التضاد فإن في إحداهما إقداما مذموما من ابن آدم، وإحجاما مذموما من بني إسرائيل، وإن في إحداهما اتفاق أخوين هما موسى وأخوه على امتثال أمر الله تعالى، وفي الأخرى اختلاف أخوين بالصلاح والفساد".

*وقال القرطبي: وجه اتصـــال هذه الآية بما قبلها التنبيه من الله تعالى على أن ظلم اليهود، ونقضهم المواثيق والعهود كظلم ابن آدم لأخيه. المعنى: إن همَّ هؤلاء اليهود بالفتك بك يا محمد فقد قتلوا قبلك الأنبياء، وقتل قابيل هابيل، والشـر قديم. أي: ذكرهم هذه القصـة فهي قصة صدق، لا كالأحاديث الموضوعة؛ وفي ذلك تبكيت لمن خالف الإسلام، وتسلية للنبي ﷺ.

* وقيل مناســبتهما أن الأصــل في الأخ مع أخيه هو محبته والحرص على حياته والدعاء له؛ ومؤازرته في شــؤون حياته الدينية والدنيوية؛ كما هو الحال في نبي الله موســى مع أخيه هارون عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم؛ لقول موسى عليه السلام في الآيات السابقة؛ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾[المائدة:٢٥]، لا ما فعله قابيل مع هابيل من الحرص على قتل أخيه وقطع رحمه؛ ومحبته وسعيه الاستيلاء على ممتلكات أخيه حبا للدنيا؛ وعملا بالهوى؛ ومجانبة للتقوى.

٥٦٣. أمر النبي ﷺ بتلاوة الأمر على أمته يشـعر بخطر الأعمال السـيئة على قبول الأعمال الصالحة.

٥٦٤. في قوله ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ والقرآن كله حق هو من باب الاهتمام به وجذب الأسماع إليه.

٥٦٥. فيها أن أهل الفسق يحسدون أهل التقوى على مالهم من القبول عند الله وخلقه.

٥٦٦. في الآية تخويف شديد من عدم قبول الأعمال.

٥٦٧. فيها أن سـنن الله ﷻ لا تتبدل ولا تتغير، فإن هذه القصـة إنما سـيقت لبني إسـرائيل ليقيسوا ويعرضوا حالهم عليها.

٥٦٨. فيها أسـلوب من أسـاليب التربية والإقناع، وهو سـرد القصـص الحق، التي فيها وضوح العبرة.

٥٦٩. فيها أن من معايير القصص التي يتم سردها، أن تكون فائدتها متحققة، بأن تكون فيها مواطن عبرة يعرض فيها المستمع أحواله عليها للاعتبار.

٥٧٠. فيها مشروعية القرابين في الأمم السابقة.

٥٧١. تفيد وتبين خطورة الحسد وأنه ربما أوقع صاحبه في أكبر الكبائر. ولذلك لم يأت التعوذ من شر الحاسد لذات نفسه، بل جاء التعوذ منه في حال عمله بمقتضى حسده: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق:٥]، أي: عمل بحسده، فأحاله إلى عمل يضر المحسود.

٥٧٢. في إبهام سبب عدم القبول من أحدهما ما يشعر بكثرة أسباب عدم القبول للأعمال ليتم الحذر منها، كما تفيد الحرص على تحصيل أسباب قبول الأعمال

٥٧٣. فيها تفاضل الناس بالأعمال.

٥٧٤. أسلوب الحصر والقصر يفيد أن تقوى الله شرط لازم لقبول العمل.

٥٧٥. الإبهام في (القربان) يدل على كثرة الأعمال الصالحة التي يمكن أن يتقرب بها العبد إلى الله تعالى.

٥٧٦. فيها أن آدم وبنيه، كانوا على العقيدة الصحيحة، والتوحيد الخالص، ولذلك كان قربانهم لله عَزَّوَجَلَّ.

٥٧٧. فيها أن الموحد قد يقع في الذنوب والكبائر.

٥٧٨. فيها إشارة إلى شروط قبول العمل، وهو أن يكون العمل أجود ويكون صاحبه قد أخلص. فإن الآية تحتمل: إنما يتقبل الله من المتقين المخلصين، وتحتمل: من المتقين الذين اتقوا الله في إيقاع الأعمال على الوجه الذي يحبه الله تعالى. وهذا على قول من قال: إن أحد الرجلين قدم كبشا، والآخر قدم طعاما. ولا ريب أن إهراق الدم، أجود وأعظم عند الله تعالى.

٥٧٩. بناء الفعل ﴿فَتُقُبِّلَ﴾ و ﴿وَلَمْ يُتَقَبَّلْ﴾ للمفعول وذلك لوجود القبول وعدمه والتسوية بينهما في الذكر، لأنها جرت سنة الله في كتابه إبراز لفظ الجلالة فيما هو خير وسهل بالنسبة للعباد وإضماره فيما فيه شر أو مشقة بالنسبة لهم.

٥٨٠. فيها أن العبرة بالقبول والرد وليس بكثرة العمل وقلته.

٥٨١. فيها أن من كان أتقى لله كان أقرب لإجابة دعائه وقبول عمله.

٥٨٢. فيها: الترغيب والحث على التقوى ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

٥٨٣. فيها أنه لا مانع أن يخبر الانسان بوصف محمود بلا مفاخرة وإنما لمصلحة الغير، لقول الذي تقبل منه ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

٥٨٤. فيها أن الاختلاف بين بني آدم سنة كونية لله تعالى فيها من الحكم ما هو أعلم به. ولذا ذم الله تعالى البغي عند الاختلاف.

٥٨٥. تفيد أهمية معرفة التاريخ البشري؛ وقصص السابقين لأخذ العبر والدروس؛ وهو من أقوى وأفضل العلوم الاجتماعية.

٥٨٦. تفيد أن الهداية بيد الله تعالى؛ وأنه قد يكون بعض بني آدم مشتركين في الأبوة والأمومة وفي التربية والبيئة؛ إلا أن ما بينهما من الاختلاف والفروق في الهدى والضلال كما بين السماء والأرض.

٥٨٧. فيها أن المشتركين في عمل واحد قد يقع بينهما الحسد والبغي، ولذلك أمر بالإحسان إلى الصاحب بالجنب ليدفع شره بالإحسان إليه.

٥٨٨. تفيد مع ما قبلها أن شؤم المعاصي والآثام والبعد عن الله تعالى والخوف منه، إما أن تحرم العبد من خير دنيوي كالقصة السابقة ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [المائدة:٢٦]، أو تحرمه من خير أخروي وإن حصل له ما أراده في الدنيا كهذه القصة قال تعالى: ﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٢٩].

٥٨٩. تفيد هذه القصة مع ما قبلها أن الخوف من الله تعالى من أعظم ما يعين العبد على طاعة الله تعالى وامتثال أوامره واجتناب نواهيه؛ حيث قال تعالى في القصة السابقة ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ [المائدة:٢٣]. وقال في هذه القصة: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

٥٩٠. فيها أن قتل النفس من الكبائر الموجبة لدخول النار.

٥٩١. فيها البحث عن موجبات الصلاح والتقوى بإخراج الصدقات أيًّا كان نوعها مع السؤال بالقبول.

٥٩٢. تبين خطورة أن يكون الإنسان رأساً في الشر؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ: "ما من نفس تقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول من سن القتل". متفق عليه..

٥٩٣. تفيد ضرورة السيطرة على النفس حتى في أقصى درجات الاستفزاز واستحضار أن الخضوع لتحريض الشيطان يورث الندم.

٥٩٤. فيها أن الله ﷻ موصوف بصفات الأفعال؛ لقوله: ﴿فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا﴾ ولقوله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ وهذا ما عليه أهل السنة والجماعة؛ أن الله تعالى موصوف بصفات الأفعال كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا.

قال تعالى: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٢٨ – ٢٩].

٥٩٥. فيها أن الخوف من الله سبب رئيس في البعد عن معصية الله تعالى.

٥٩٦. قوله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ جملة تعليلية مسوقة لبيان سبب امتناع هابيل عن بسط يده إلى أخيه قابيل. أي: إني أخاف الله رب العالمين أن يراني باسطا يدي إليك بالقتل. وقد أكد خوفه من الله – تعالى- بـ(إن) المؤكدة للقول، وبذكره له – سبحانه- بلفظ الجلالة، المشعر بأنه هو وحده صاحب السلطان، وبوصفه له ﷻ بأنه رب العالمين، أي: منشئ الكون ومن وما فيه، وصاحب النعم التي لا تحصى على خلقه. وفي هذه الجملة الكريمة إرشاد لقابيل لخشية الله على أتم وجه، وتعريض بأن القاتل لا يخاف الله. [الوسيط].

٥٩٧. في الآية بلاغة التقديم والتأخير ففي خطاب المقتول للقاتل قُدمت الغاية على الوسيلة: ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ﴾، وفِي تكلم المقتول عن نفسه: ﴿ مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ﴾ قدمت الوسيلة على الغاية. فدلَّ التقديم والتأخير على بلاغة القرآن في الكشف عن نفسية المتكلم والمخاطب، وفِي ذلك من براعة الخطاب القرآني ما لا يخفى على متأمل.

٥٩٨. تفيد الآية أن من واجبات المسلم تجنب الفتن وتجنب المشاركة أو الانخراط في أي شيء منها لاسيما القتل.

٥٩٩. تفيد الآية أنه لا يجوز الابتداء بالقتل ولا تدل على عدم الدفاع عن النفس كما يتوهم البعض لأن الدفاع عن النفس إن أمكنه واجب.

٦٠٠. تفيد أن مدار الأعمال على النيَّات. فهذا لم يرد قتل أخيه ﴿ مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ﴾ خوفا من الله. وإلا كان ممن قال فيهم ﷺ: (إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل: هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصا على قتل صاحبه) رواه البخاري.

٦٠١. تفيد أن القتل من كبائر الذنوب، وأنه موجب لدخول النار.

٦٠٢. تفيد أن بعض النفوس الضعيفة والدنيئة من البشر تحسدك على بعض الهبات والمكرمات الربانية التي ليس لك فيها دخل، مثل قبول الله لأعمالك الصالحة، فيا ترى كيف يكون حالها في الأمور الأخرى التي يظهر فيها سعيك ومثابرتك وطموحك في تحقيقها؛ نعوذ بالله من الحسد والحاسدين.

٦٠٣. فيها استعمل هابيل في صرف أخيه عن جريمة القتل وسائل متنوعة؛ فهو أولا أرشده إلى أن الله – تعالى– إنما يتقبل الأعمال من المتقين، فإذا أراد أن يتقبل قربانه فعليه أن يكون منهم. وأرشده ثانيا إلى حقوق الأخوة وما تقتضيه من محبة ومودة وتسامح. وأرشده ثالثا إلى أنه

لا يمنعه من بسط يده إليه إلا الخوف من الله رب العالمين. وأرشده رابعاً إلى أن ارتكابه لجريمة القتل سيؤدي به إلى عذاب النار يوم القيامة، بسبب قتله لأخيه ظلما وحسدا.

٦٠٤. تفيد أنه ينبغي للعبد أن يذكر لخصمه أنه إنما امتنع عن الاستمرار في مخاصمته والتعدي عليه لا عجزا ولا جبنا ولا خوفا منه؛ ولكن خوفا من التعدي على حرمات الله تعالى لقوله: ﴿مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ومثله قول الصائم لشاتمه: (إني صائم).

٦٠٥. تفيد عموم ربوبية الله تعالي؛ لقوله: ﴿رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

٦٠٦. تفيد إثبات الإرادة للعبد؛ لقوله: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ﴾ وفي هذا رد على الجبرية.

٦٠٧. تفيد أن من أريد قتله ولم يدافع عن نفسه خوفا من إثم التعجل في قتل الآخر فإنه لا حرج عليه.

٦٠٨. تفيد أن قتل النفس بغير حق سبب لدخول النار.

٦٠٩. تفيد تحريم الظلم، وسوء عاقبة وجزاء الظالمين.. فالظلم ظلمات يوم القيامة كما قال النبي ﷺ.

٦١٠. تفيد أهمية التخويف بالنار في الدعوة إلى الله ﷻ، وأثر ذلك في ترك الذنوب.

٦١١. تفيد إثبات النار، وأن لها أصحابا ملازمين لها ملازمة الصاحب لصاحبه.

٦١٢. قال القرطبي: قوله: ﴿فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ﴾ دليل على أنهم كانوا في ذلك الوقت مكلفين قد لحقهم الوعد والوعيد.

٦١٣. فيها نصرة المظلوم فقد أراد المقتول أن يبوأ قاتله بإثمه وإثم أخيه واقتضت حكمة الله أن يبوأ بآثام البشرية جمعاء.

قال تعالى: ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[المائدة:٣٠].

٦١٤. فيها: التحذير من النفس؛ فالنفس تطوع لك فعل الشــــر وتزينه لتقع فيه، ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

٦١٥. تفيد أن ربوبية الله تعالى للعالمين تستلزم خوفهم منه، لأنه ربهم وخالقهم ورازقهم والمنعم عليهم.

٦١٦. تفيد أن الإنســـان قد يبوء بإثمه وإثم غيره؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ﴾ [العنكبوت: ١٣].

٦١٧. تفيد أن النفس تزين الشر، وكان النبي ﷺ يقول: "ونعوذ بالله من شرور أنفسنا"

٦١٨. تفيد أن الذنوب خسران مبين، خصوصا قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق.

٦١٩. التأمل في معنى الفاءات الثلاث المتتابعات:

-﴿ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ﴾ تزيين المعصية وتحسينها.

- ﴿ فَقَتَلَهُۥ﴾ تنفيذ المعصية.

-﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ نتيجة المعصية.

٦٢٠. ففيها: تزيين فتنفيذ فنتيجة. وكلها متعاقبة ومباشـــرة ومترتب بعضـــها على بعض ولذا تسمى فاء العاطفة المفيدة للتعقيب وهي أيضا بمعنى السببية فسبب الخسران هو فعل المعصية الذي هو بسبب تزيين النفس وتسويلها. فجمعت بين معنى التعقيب والتسبيب.

٦٢١. النفس أمارة بالســوء فمن طاوعها ولم يكبح جماحها فعل كل منكر وانحرف عن الطريق المستقيم وهذا هو الخسران المبين.

٦٢٢. فيها - كذلك -: رد على الجبرية، لقوله: ﴿ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ﴾.

٦٢٣. ففيها إشارة إلى أن العبد إذا قادته نفسه إلى القبيح، بإمكانه أن يحجم ويمتنع ولا ريب؛ لقوله: ﴿فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ يريد: طوعت له فقتله، وكان بإمكانه ألا يفعل.

٦٢٤. فيها أن المعاصي سبب للخسارة، وأشدها الكبائر.

٦٢٥. فيها: أنه ينبغي عدم الإسراع في فعل المعصية، وأن المرء وإن كان لا بد فاعلا، فليتباطأ ويؤخر عسى أن ينصرف عنها، لقوله:{فقتله}: والفاء للتعقيب والسرعة. وفي الحديث في قبره -: "ما علمتك إلا سريعا في طاعة الله، بطيئا عن معصيته". يقول ابن الجوزي، ما معناه: سارع بالطاعة فلا أدري لعله يحال بينك وبينها، وأخّر المعصية لعله يحال بينك وبينها.

٦٢٦. فيها إشارة إلى: أن النفس تقود الإنسان إلى الشر وتأمر به، فلا يستجاب لها إن دعت إليه. ولذا كان النبي ﷺ يقول: "ونعوذ بالله من شرور أنفسنا".

٦٢٧. تفيد أن الذنوب والمعاصي سبب لخسارة الدنيا والآخرة؛ فهو أصبح من الخاسرين في دنياه لأنه قتل أخاه، والأخ سند لأخيه وعون له، لما بينهما من رحم قوية ورابطة متينة. وأصبح من الخاسرين في آخرته، لأنه ارتكب جريمة من أكبر الجرائم وأشنعها وقد توعد الله مرتكبها بالغضب واللعنة والعذاب العظيم.

٦٢٨. التعبير بقوله تعالى: ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ﴾، تعبير دقيق بليغ، فإن هذه الصيغة - صيغة التفعيل- تشير إلى أنه كانت هناك بواعث متعددة تتجاذب نفسه، كانت هناك بواعث الشر التي تدعوه إلى الاقدام على قتله، ودوافع الخير التي تمنعه من الإقدام على قتل أخيه، وأخيرا تغلبت دوافع الشر على دوافع الخير فقتل أخاه. وقد صور الرازي هذا المعنى تصويرا حسنا فقال: قال المفسرون: ﴿فَطَوَّعَتۡ﴾، أي: سهلت له نفسه قتل أخيه، وتحقيق الكلام أن الإنسان إذا تصور القتل العمد العدوان وكونه من أعظم الكبائر فهذا الاعتقاد يصير صارفا له عن فعله فيكون هذا الفعل كالشيء العاصي المتمرد عليه الذي لا يطيعه بوجه البتة. فإذا أوردت النفس أنواع وساوسها، صار هذا الفعل سهلا عليه، فكأن النفس جعلت بوساوسها العجيبة هذا الفعل كالمطيع له، بعد أن كان كالعاصي المتمرد عليه، فهذا هو المراد بقوله: ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ﴾. (الوسيط).

٦٢٩. تفيد أن بعض النفوس البشرية تنشط وتنبعث للأفعال القبيحة والأعمال السيئة أكثر من تنشطها وانبعاثها للأفعال الحسنة والأعمال الصالحة.

٦٣٠. تدل على شناعة هذه الجريمة في ذاتها من حيث الباعث عليها، إذ الباعث عليها هو الحسد ومن حيث الصلة بين القاتل والمقتول إذ هي صلة أخوة تقتضي المحبة والمودة والتراحم، ومن حيث ذات الفعل فإنه أكبر جريمة بعد الإشراك بالله- تعالى-. أخرج الشيخان وغيرهما عن ابن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها. لأنه أول من سن القتل» وأخرج ابن جرير والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر﵁ قال: «إنا لنجد ابن آدم القاتل يقاسم أهل النار العذاب. عليه شطر عذابهم».

٦٣١. تضمنت هذه الآية البيان عن حال الحاسد، حتى إنه قد يحمله حسده على إهلاك نفسه بقتل أقرب الناس إليه قرابة، وأمسه به رحماً، وأولاهم بالحنو عليه ودفع الأذية عنه.

٦٣٢. فيها عدم ذكر المعاصي المتعدية بالتفصيل كما ينشر في الصحف وعلى وسائل الإعلام اليوم؛ وذلك حتى لا ينتبه ضعاف الناس إلى الطرق المؤدية إليها فيفعلوها.

٦٣٣. فيها التحذير من الكبائر؛ وخاصة كبيرة القتل، وأن صاحبها سيعيش بقية عمره من الخاسرين النادمين، ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

٦٣٤. تبين الآية الكريمة عظم أجر من بسط يده إلى أخيه ليحيي بغذاء أو دواء.

٦٣٥. تفيد أن هذا الرجل الذي قتل أخاه وظن أنه ربح الميدان بحيث لم يكن له منافس صار من الخاسرين؛ فيستفاد منها: أن كل إنسان حسد أخاه وحاول أن يحول بينه وبين التوفيق فإن الخسارة ستعود على هذا الحاسد. [أفاده ابن عثيمين].

قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [المائدة:٣١].

٦٣٦. تدل على تعليم الله جل وعلا للحيوانات مهارات وقدرات يمكن للإنسان اقتباسها.

٦٣٧. فيها أن الحكمة في بعث الغراب دون غيره من كرام الطير أن ما قام به ابن ادم نوع من الفسوق. والغراب من الفواسق، كما الحديث: "خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم..." رواه البخاري.

* وقيل الحكمة من بعث الغراب دون سواه من المخلوقات لمزيد من بيان حقارة خلقه وخُلُقه، وأن المستقذر من الخلق أعلم منه وأحكم، فاختير الغراب لانتفاء الفائدة منه لابن آدم وحقارته في عين ابن آدم فأراد الله أن يهون من شأنه في عينيه مقارنة بالغراب فإن بقي في نفسه شيء من الكبر والبغي والاعتداد بالنفس والطغيان على الغير فإنه يعيد تدبر أمره حين يرى أنه عجز عن العلم بما علمه المستحقر من الخلق.

٦٣٨. قوله ﴿يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ فيه إشارة لطيفة إلى: أن الأصل في الطائر إعمال منقاره في الأرض، وهذا فطرة علمها الله هذه الطيور، فمن أول خروجه من البيض ينقر في الأرض، بخلاف الثديات فتراها تذهب إلى ثدي أمها.

٦٣٩. التعبير بالمضارع في قوله ﴿ يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ للإشارة إلى أن البحث قد مكث وقتا، وكان مجال استمرار.

٦٤٠. فيها دليل على: جواز تعلم الفاضل من المفضول، فمهما بلغ العبد في العلم فهو بحاجة إلى العلم، فليأخذه ممن هو دونه. وقد يفتح عليه من خلال ضعيف مفضول ما لا يفتح عليه من كافة الأبواب الأخرى.

٦٤١. فيها أن من أبلغ أساليب التعليم حرص المعلم على التدريبات والتطبيقات العملية. فإن المعاينة أبلغ من الخبر. قال ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا المشهد العظيم هو مشهد أوّل حضارة في البشر، وهي من قبيل طلب سَتر المشاهد المكروهة. وهو أيضاً مشهد أوّلِ علمٍ اكتسبه البشر بالتّقليد وبالتَّجربة، وهو أيضاً مشهد أوّل مظاهر تَلقّي البشر معارفه من عوالم أضعفَ منه كما

تَشَبَّه النَّاس بالحيوان في الزينة، فلبسوا الجُلُود الحسنة الملوّنة وتكلّلوا بالريش الملوّن وبالزهور والحجارة الكريمة، فكم في هذه الآية من عبرة للتَّاريخ والدّين والخُلُق.

٦٤٢. تفيد أن بدن الميت عورة لذلك سماه «سوءة».

٦٤٣. فيها إشارة إلى استحباب حفر القبور، وقد قال رسول الله ﷺ: "من غسل مسلما فكتم عليه غفر له الله أربعين مرة، ومن حفر له فأجنه أجري عليه كأجر مسكن أسكنه إياه إلى يوم القيامة ومن كفنه كساه الله يوم القيامة من سندس وإستبرق الجنة". صححه الألباني في أحكام الجنائز.

٦٤٤. فيها أن الدفن وتورية الميت في التراب من الفطرة السليمة ولأن إكرام الميت دفنه.

٦٤٥. تفيد أن المعاصي تورث الندم الذي يدخل على صاحبه الكآبة والحزن وضيق الصدر وعدم السعادة.

٦٤٦. فيها خطورة سن المعاصي وأن يكون الانسان قدوة فيها، وهذا بضميمة ما جاء في الحديث: "لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه كان أول من سن القتل". متفق عليه.

٦٤٧. فيها أن الذي يفعل المعصيه ويندم بعد فعلها لغرض في نفسه أو لفوات حظ دنيوي منه أو خوفا من التعيير لا يكون ندمه توبة، لأن الندم يكون توبة إذا كان سببه الخوف من الله، والتألم من تعدي حدوده، وهذا هو المراد بحديث «الندم توبة» رواه أحمد والبخاري في تاريخه والحاكم والبيهقي.

٦٤٨. تفيد ما لحقه من جراء معصيته، قال الطبري: ﴿ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ على ما فرط منه من معصية الله عز ذكره في قتله أخاه".

٦٤٩. تفيد: أن قتل النفس ظلما، لا يحقق مصلحة ولا ربحاً للقاتل بحال، يجلب ضد ذلك في الدنيا والآخرة، ولذا قال: ﴿ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾.

٦٥٠. تفيد أن العبد إذا أصاب دما حراما؛ أصابه الله بالعجز والضيق في دينه ودنياه؛ لقوله تعالى حكاية عن قاتل أخيه: ﴿ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ ﴾ وقال ﷺ: "لا يزال العبد في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما". أخرجه البخاري (٦٨٦٢).

٦٥١. تفيد أن أقوى القوى الدافعة للتعلم والتطور سواء في الأفراد والشعوب والأمم هي الحاجة؛ ولهذا فإن أي فرد أو مجتمع لا يرى أنه بحاجة إلى التعلم والتطور فإنه لا يتعلم ولا يتطور؛ فالحاجة هي أول خطوة من خطوات التعلم والتطور والنجاح؛ وصدق من قال (الحاجة هي أم الاختراع).

٦٥٢. تفيد أن عاقبة المعاصي الندامة والخسارة.

٦٥٣. تفيد التحذير من البغي وقطيعة الرحم؛ وقد ورد في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: "ما من ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة، من البغي وقطيعة الرحم"أخرجه أبو داود (٤٩٠٢)، والترمذي (٢٦٧٩) وصححه من طريق ابن عُلية، بهذا الإسناد.. وقد اجتمع في فعل قابيل هذا وهذا.

قال تعالى: ﴿ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ﴾ [المائدة: ٣٢].

٦٥٤. تفيد أن شأن النفس عظيم، وأن قتلها ظلما كقتل الناس جميعا، لأن القتل ظلما يجر إلى الثارات التي تقضي على الناس والمجتمعات كلها.

٦٥٥. فيها تعظيم حرمة الدماء، بدلالة قوله تعالى: ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ فقد نسب ﷻ الأمر لنفسه، للدلالة على تهويل وخطورة الدماء عنده.

٦٥٦. فيها إشـــارة إلى لترغيب في العفو عن القاتل، وفكاك المرتهن بالدية. وذلك على تأويل من قـال: ﴿ وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ ﴾ أي عفى عمن وجـب عليه القصاص له فلم يقتله.

٦٥٧. خَصَّ بَنِي إِسْـــرَائِيلَ بِالذِّكْرِ- وَقَدْ تَقَدَّمَتْهُمْ أُمَمٌ قَبْلَهُمْ كَانَ قَتْلُ النَّفْسِ فِيهِمْ مَحْظُورًا- لِأَنَّهُمْ أَوَّلُ أُمَّةٍ نَزَلَ الْوَعِيدُ عَلَيْهِمْ فِي قَتْلِ الْأَنْفُسِ مَكْتُوبًا، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ قَوْلًا مُطْلَقًا، فَغُلِّظَ الْأَمْرُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالْكِتَابِ بِحَسَبِ طُغْيَانِهِمْ وَسَفْكِهِمُ الدِّمَاءَ". (القرطبي:).

٦٥٨. فيها عظيم أجر من سعى لإنقاذ نفس شـارفت على الهلاك بمداواة أو إسعاف أو درء خطر أو دفع دية أو إصـــلاح بين متقاتلين أو غير ذلك ﴿ وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ ﴾.

٦٥٩. فيها عظيم أجر الطبيب المحتسب.

٦٦٠. فيها جواز إضافة الفعل إلى سببه. فالله تعالى وحده هو المحيي المميت. ولكن قد يكون الإنسان سببا في الإحياء ﴿ وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ ﴾ كما هو سبب في الإزهاق.

٦٦١. فيها عظيم جرم الفســاد في الأرض ولذا شـرع إزهاق بعض النفوس المفســدة لمنع هذا الفســاد ،ولأجل ذلك شـرع حد الحرابة المذكور في الآية التالية فكأن هذه الآية توطئة لما بعدها من الحديث عن حد الحرابة.

٦٦٢. في قولـه: ﴿ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ حـثّ جميع الأمّة على تعقّب قـاتل النّفس، وأخذه أينما ثقف والامتناع من إيوائِه أو الستر عليه.

٦٦٣. تفيد إثبات الرسل، وشرفهم وفضلهم؛ لأن الله ﷻ أضافهم إليه.

٦٦٤. تفيد وضوح وبيان وكمال حجة الرسل عليهم السلام.

٦٦٥. حذف متعلّق «مسرفون» لقصد التّعميم.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣].

٦٦٦. تصدير الآية بقوله: ﴿إِنَّمَا﴾ الدالة على الحصر، يفيد: أن القوانين الوضعية لن تقضي على الجريمة، ولا حل للقضاء عليها إلا بهذه الشريعة. فانظر إلى أهل الكفر كيف يتعاملون مع أخطر المجرمين وكيف وهم أهل الحديد والنار يخشون سطوة هؤلاء المفسدين في الأرض؛ مما هو مشاهد معروف. وكأنه يقول: لا جزاء لأهل الحرابة إلا أن تفعلوا بهم هذا، وإلا لن يتوقفوا ولن تقدروا عليهم.

٦٦٧. وأيضا: صدَّر- سبحانه- الآية بلفظ ﴿إِنَّمَا﴾ المفيد للقصر، لتأكيد العقاب، ولبيان أنه عقاب لا هوادة فيه، لأنه حد من حدود الله – تعالى- على تلك الجريمة النكراء التي تقوض بنيان الجماعة، وتهدم أمنها، وتزلزل كيانها، وتبعث الرعب والخوف في نفوس أفرادها.

٦٦٨. قوله: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فيها أن القطع من خلاف جزاء من جنس عملهم ولمخالفتهم لله ورسوله.

٦٦٩. التعبير عن قطاع الطرق بقوله: ﴿يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فيه من التبشيع والتشنيع والتخويف والزجر ما لا يوجد في غيره إلا في الربا.

٦٧٠. فيها أن السعي بالفساد في الأرض هو محاربة لله ورسوله.

٦٧١. تفيد عظم مقام النبي ﷺ والمؤمنين عند الله تعالى؛ وذلك لأنه تعالى جعل إيذاءهم إيذاء له، وحربهم حربا له، مع أنه تعالى لا يقدر أحد على حربه.

٦٧٢. فيها أن المحاربين لله ولرسوله، هم الذين بارزوه بالعداوة، وأفسدوا في الأرض بالكفر والقتل، وأخذ الأموال، وإخافة السبل.

٦٧٣. تفيد أن كل من يهدد أمن المسلمين ويعتدى عليهم يكون محاربا لله ولرسوله ومستحقا لغضبه – سبحانه- وعقوبته.

٦٧٤. تفيد أن الحرابة لا يشترط في حدها بلوغ نصاب السرقة؛ لعموم الآية.

٦٧٥. تفيد شناعة المحاربة وعظم ضررها، وإنما كانت المحاربة عظيمة الضرر؛ لأن فيها سد سبيل الكسب على الناس، لأن أكثر المكاسب وأعظمها التجارات، وركنها وعمادها الضرب في الأرض؛ كما قال ﷻ: ﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ [المزمل:٢٠]، فإذا أخيف الطريق انقطع الناس عن السفر، واحتاجوا إلى لزوم البيوت، فانسد باب التجارة عليهم، وانقطعت أكسابهم؛ فشرع الله على قطاع الطريق الحدود المغلظة.

٦٧٦. تفيد أن بعض البشر يصل إلى هذا الدرك السحيق وهو محاربة الله ﷻ مع أن محارب الله ﷻ مهزوم مدحور هالك مأزور..

٦٧٧. ظاهر اللفظ أن عقوبة هؤلاء المفسدين تكون بحسب جرائمهم، فكل جريمة لها قسط يقابلها، كما تدل عليه الآية بحكمتها وموافقتها لحكمة الله تعالى. وأنهم إن قتلوا وأخذوا مالًا تحتم قتلُهم وصلبهم، حتى يشتهروا ويختزوا ويرتدع غيرهم. وإن قتلوا ولم يأخذوا مالاً تحتَّم قتلهم فقط. وإن أخذوا مالاً ولم يقتلوا تحتَّم أن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، اليد اليمنى والرجل اليسرى. وإن أخافوا الناس ولم يقتلوا، ولا أخذوا مالاً، نفوا من الأرض، فلا يتركون يأوون في بلد حتى تظهر توبتهم. وهذا قول ابن عباس رضي الله عنه وكثير من الأئمة، على اختلاف في بعض التفاصيل. (أفاده السعدي).

٦٧٨. ذكر القتل بصيغة التضعيف لإفادة الشدة في القتل وعدم التهاون في إيقاعه عليهم لكونه حق الشرع وللإشارة إلى الاستمرار في قتلهم ماداموا مستمرين في الجريمة فكلما كان منهم قتل قتلوا.

٦٧٩. تفيد مع ما قبلها أن المقصد من هذه العقوبات الشديدة، أن يكف المعتدون عن عدوانهم، وأن يحس الناس في حياتهم بالأمان والاطمئنان على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، فإن الأمة التي ترتكب فيها الجرائم بدون خوف أو وجل، ويفتقد أبناؤها الأمان والاطمئنان، هذه الأمة التي هذا شأنها، لا بد أن تضطرب كلمتها، ويهون أمرها، وتنتزع الثقة بين الحاكمين والمحكومين فيها.

٦٨٠. تفيد كمال الشريعة، وإحاطتها بالأحكام التي يحتاجها الناس، ففيها حفظ أصلين عظيمين هما النفس، والمال.

٦٨١. فيها إشارة إلى: قوة الإسلام وسلطانه وحزمه مع مخالفيه، وأن الإسلام دين دولة، لا دين (دروشة) كما يزعم المنافقون.

٦٨٢. فيها إشارة إلى: أهمية الإصلاح في الأرض وحرص الإسلام على نشره، وخطر الإفساد؛ ولما رتب على الإفساد من هذا الحد المرعب.

٦٨٣. فيها إشارة إلى: حرص الإسلام على الأمن وانتشاره في الأرض؛ بخلاف ما يشنع عليه أعداؤه.

٦٨٤. فيها أن التعدي على النفوس المعصومة يورث الخزي والفضيحة والعار.

٦٨٥. فيها إشارة إلى: تأثير السجن على النفس، من ناحية إذلالها، فعلى العبد أن يسأل ربه العافية والسلامة؛ لأن السجن من معاني النفي. ووجهه: أنه قال بعد النفي (الذي من صوره الحبس) ﴿ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

٦٨٦. تفيد: أن أهل الحرابة مهما تمكنوا في الأرض وكانت لهم صولة وجولة، فهم في ذل، ومصيرهم إلى التمكين منهم؛ إلا أن يتوبوا.

٦٨٧. تفيد أن قطع الطريق من أعظم الذنوب، وهو موجب لفضيحة الدنيا وعذاب الآخرة، وإذا كان هذا شأن عظم هذه الجريمة، عُلم أن تطهير الأرض من المفسدين، وتأمين السبل

والطرق عن القتل، وأخذ الأموال، وإخافة الناس، من أعظم الحسنات وأجل الطاعات، وأنه إصلاح في الأرض، كما أن ضده إفساد في الأرض.

٦٨٨. تفيد أن بعض الذنوب والكبائر لها عقوبة معجلة في الدنيا، وعقوبة في الآخرة.

٦٨٩. تفيد إثبات الآخرة، وشدة وعظم عذاب هؤلاء المحاربين لله ورسوله.

قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة: ٣٤].

٦٩٠. تبين أن في دين الله فسحة للتوبة حتى للمحاربين المفسدين ما لم يتمكن منهم وأمرهم إلى الله.

٦٩١. فيها أهمية التوبة وحب الله سبحانه لها ولأهلها وأنها منجاة من المآثم والمهلكات.

٦٩٢. مفهوم الآية أن توبة المحارب - بعد القدرة عليه - لا تسقط عنه شيئا، والحكمة في ذلك ظاهرة.

٦٩٣. يشير دخول حرف الجر ﴿مِن﴾ على الظرف (قبل) إلى أن توبة المحاربين قبل القدرة عليهم معتبرة ومقبولة ولو طالت مدة الحرابة ثم تابوا قبل القدرة عليهم بزمن يسير. (أفاده البقاعي).

٦٩٤. فيها الحث على العفو عن الحدود ما لم تصل إلى الحاكم وفي الحديث "تعافوا الحدود فيما بينكم وما وصلني من حد فقد وجب" صحيح لغيره، أخرجه النسائي في "الكبرى" (٧٣٣١).

٦٩٥. تفيد عدم اليأس من رحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء حتى المحاربين في الارض.

٦٩٦. تفيد أنه يسقط عن المحارب ما كان لله، من تحتم القتل والصلب والقطع والنفي، ومن حق الآدمي أيضا؛ إن كان المحارب كافراً ثم أسلم، فإن كان المحارب مسلما فإن حق الآدمي، لا يسقط عنه من القتل وأخذ المال. قال الآلوسي: قوله: « ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ استثناء مخصوص بما هو من حقوق الله - تعالى- كما ينبئ عنه قوله: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ

﴿أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وأما ما هو من حقوق العباد – كحقوق الأولياء من القصاص ونحوه- فيسقط بالتوبة وجوبه على الإمام من حيث كونه حداً، ولا يسقط جوازه بالنظر إلى الأولياء من حيث كونه قصاصاً فإنهم إن شاءوا عفوا، وإن أحبوا استوفوا».ويرى ابن جرير وابن كثير أن توبة المحاربين قبل القدرة عليهم تسقط عنهم جميع الحدود. قال ابن جرير- بعد أن ساق الأقوال في ذلك-: «وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي، قول من قال: توبة المحارب الممتنع بنفسه، أو بجماعة معه، قبل القدرة عليه، تضع عنه تبعات الدنيا التي كانت لزمته أيام حربه وحرابته، من حدود الله، وغرم لازم، وقود وقصاص، إلا ما كان قائما في يده من أموال المسلمين والمعاهدين فيرد على أهله» وظاهر الآية يقتضى سقوط الجميع، وعليه عمل الصحابة.

٦٩٧. تفيد الحث على تعلم الأسماء الحسنى والتفقه في هذا الباب العظيم؛ لقوله﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

٦٩٨. تفيد إثبات اسم الغفور واسم الرحيم لله ﷻ، وإثبات صفة المغفرة والرحمة لله ﷻ.

٦٩٩. تفيد أثر معرفة هذين الاسمين في حث الناس على التوبة والإنابة إلى الله ﷻ.

٧٠٠. فيها إشارة إلى الاتصاف بمقتضى صفات الله وأسمائه لقوله: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ولم يقل –مثلا –: "اغفروا لهم، وارفعوا عنهم الحد"، فكأنه يقول: فإن تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاقبلوا منهم وتجاوزا عنهم، ولم لا فها أنا غفور رحيم أغفر ألا تغفرون أنتم؟!، وجميعكم وارد منه الزلل. وهذا من أعظم صور أبواب القضاء على الجريمة؛ فإن هؤلاء المحاربين إن علموا أن توبتهم مقبولة أقبلوا عليها، ولم يقنطوا..

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥].

٧٠١. ناداهم – سبحانه – بصفة الإيمان، لتحريك حرارة العقيدة في قلوبهم وتوجيه عقولهم إلى ما يستدعيه الإيمان من طاعة وإخلاص.

٧٠٢. هذه الآية جامعة لمراد الله تعالى من الخلق، مبينة لمآل من يأتيه وهو الفلاح والنجاح نجاةً من النار وفوزاً بالجنان. ووجه ذلك أن:

* التقوى هي الفعل والترك بما يقي من غضب الله وعذابه.

* وابتغاء الوسيلة: هي الفعل والترك بما يوجب رضاه ومحبته.

* والجهاد: اقتحام موانع طاعة الله ومقاومة الدوافع لمعصية الله ومخالفة أمره. فهو كل تفاعل ضد الباطل سواء بالرفض والنبذ أو بالقتال والصراع، وهو داخلي لمقاومة النفس الأمارة وخارجي لمقاومة كل مؤثر يحرف عن الصراط المستقيم.

٧٠٣. قوله: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ أي: القرب منه، والحظوة لديه، والحب له، وذلك بأداء فرائضه القلبية، كالحب، والخوف والرجاء، والإنابة والتوكل. والبدنية: كالزكاة والحج. والمركَّبة من ذلك كالصلاة ونحوها، من أنواع القراءة والذكر، ومن أنواع الإحسان إلى الخلق بالمال والعلم والجاه، والبدن، والنصح لعباد الله، ثم خصَّ تبارك وتعالى من العبادات المقربة إليه، الجهاد في سبيله، لأنه من أجلّ الطاعات وأفضل القربات. ولأن من قام به، فهو على القيام بغيره أحرى وأولى. وفي هذا إشارة إلى أن القرآن مشتمل على جوامع الكلم؛ لأنه اشتمل على طلب التقرب بجميع العبادات القلبية والفعلية والقولية. قال شيخ الإسلام ابن تيمية:: قال عامة المفسرين: كابن عباس ومجاهد وعطاء والفراء: الوسيلة: القربة، والتحبب والتقرب إليه إنما هو بطاعة رسوله ﷺ. فالإيمان بالرسول وطاعته هو وسيلة الخلق إلى الله ليس لهم وسيلة يتوسلون بها البتة إلا الإيمان برسوله وطاعته. مجموع الفتاوى(٢٧/٤٣٣).

٧٠٤. تقديم ما حقه التأخير في قوله: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ يفيد الحصر، ففيها إشارة إلى خطر الشرك بالله، وعدم صرف شيء من تلك القرب إلى غيره سبحانه. وتفيد – بمفهوم المخالفة –: أن المشرك يشقى ولا يفلح أبداً.

٧٠٥. تفيد الآية مشروعية التوسل إلى الله تعالى بالأعمال والأقوال الصالحة التي جاءت بها الشريعة الإسلامية؛ ولا تفيد بحال من الأحوال ما ذهب إليه غلاة التصوف من التوسلات الشرعية المحرمة والمبتدعة التي لم تأت بها الشريعة الإسلامية.

٧٠٦. هذه الآية أرشدت المؤمنين إلى كل ما يسعدهم في الدارين فقد ذكرت لهم ثلاث وسائل وغاية. أما الوسائل الثلاث فهي: تقوى الله، والتقرب إليه بما يرضيه، والجهاد في سبيله. وأما الغاية فهي الفلاح والفوز والنجاح.

٧٠٧. قوله: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ﴾ تخصيص بعد تعميم؛ لأن الجهاد داخل في عموم ابتغاء الوسيلة إلى الله، وهذا يفيد: أن الجهاد من أحب الأعمال التي يتقرب بها إلى الله. وقد جاء في الحديث "أي العمل أحب إلى الله قال: الصلاة على وقتها. قال: ثم أي؟ قال: ثم بر الوالدين. قال: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله". البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥).

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٣٦ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾ [المائدة: ٣٦-٣٧].

٧٠٨. صدرت الآية الكريمة بأداة التوكيد «إن» للرد على ما ينكره الكافرون من وقوع عذاب عليهم يوم القيامة فقد حكى القرآن عنهم أنهم قالوا: ﴿نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ: ٣٥].

٧٠٩. تفيد أن الدنيا بكامل زينتها وأموالها وخزائنها ومثلها معها لن تنفع يوم القيامة فداء لمن لقي الله تعالى كافرا. وهذا يبين حقارة الدنيا وهوانها على الله وفي حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ» رواه الترمذي، وقال: هذا صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ» وصححه الألباني.

٧١٠. فيها أن الكفر لا ينفع معه أي شيء.

٧١١. تفيد أن نجاة الإنسان من العذاب يوم القيامة متوقفة على الإيمان والعمل الصالح، لا على الأموال وما يشبهها من حطام الدنيا مهما عظم شأنها وكثر عددها.

٧١٢. تفيد أن الإنسان لو ملك كل ما في الأرض مجتمعا له بين يديه ومثله معه لا يجلب له نعيما ولا يدفع عنه عذابا.

٧١٣. تفيد، وبضميمة ما قبلها: أن ابتغاء الوسيلة إلى الله خير من الدنيا وما فيها. وفي حديث أنس يرفعه: "لأن اجلس مع قوم يذكرون الله من صلاة الغداة إلى أن تطلع الشمس أحب إلى مما طلعت عليه الشمس، ولأن أجلس مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى صلاة المغرب أحب إلى من أن أعتق ثمانية من ولد إسماعيل، دية كل رجل منهم اثنا عشر ألفاً" أخرجه البيهقي في "السنن الكبرى" ٨/ ٧٩، وفي "شعب الإيمان" (٥٦٢).

٧١٤. تفيد: أن الوسيلة نجاة من عذاب ذلك اليوم.

٧١٥. تفيد الحث على اغتنام الدنيا في العمل الصالح وابتغاء الوسيلة الى الله جل وعلا، فاليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل، وليفتدي من العذاب الآن قبل أن لا يقبل منه غدا في الآخرة.

٧١٦. تفيد أن يوم القيامة لا تقبل فيه الفدية وإن كانت ضعفي الدنيا ﴿ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ ﴾.

٧١٧. نفى- سبحانه- قبول الفدية منهم بقوله: ﴿ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ﴾ لإفادة تأكيد هذا النفي واستبعاده، إذ أن صيغة «التقبل» تدل على تكلف القبول أي: أنه لا يمكن قبول الفداء منهم مهما قدّموا من أموال ومهما بذلوا من محاولات في سبيل الوصول لغرضهم.

٧١٨. تفيد الحرص على الإتيان بما يكون سببا لقبول الأعمال؛ لقوله: ﴿مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ﴾ والقبول يكون بالإخلاص والمتابعة.

٧١٩. قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ﴾ دليل بيّن على شدة تألمهم بالعذاب المسلط عليهم؛ فلفح النار وحريقها – عياذا بالله – يضطرهم لمحاولة الخروج، ولكن هيهات.

٧٢٠. تفيد أن عذاب الله ﷻ مؤلم موجع للأبدان والقلوب والأرواح، وفي ضمن ذلك التخويف منه والتحذير مما يوصل إليه.

٧٢١. فيها رد على الخوارج الذين يقولون بتخليد أهل الكبائر في النار وقد جاء عن عكرمة: أن نافع بن الأزرق قال لابن عباس رضي الله عنهما: أعمى البصر أعمى القلب، يزْعُم أن قومًا يخرجون من النار، وقد قال الله جل وعز: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾ فقال ابن عباس: ويحك، اقرأ ما فوقها! هذه للكفّار.

٧٢٢. فيها رد على اليهود الذين قالوا: لن تمسنا النار إلا أياما معدودة.

٧٢٣. تفيد أن عذاب الكافر يوم القيامة مؤلم ودائم وأن ابتلاء المؤمن في الدنيا هين وزائل.

٧٢٤. تفيد الآية أن النار باقية خلافاً للقائلين أنها تفنى، لقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾.

٧٢٥. فيها بمفهوم المخالفة أن المسلم لا يخلد في النار وتشمله الشفاعة.

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [المائدة: ٣٨].

٧٢٦. فيها أن السرقة في الرجال أكثر من النساء لأنهم أجرأ عليها منهن بدلالة تقديم ذكرهم. وقيل: لأن حب المال على الرجال أغلب.

٧٢٧. تفيد وجوب إقامة الحدود عموماً، وحد السرقة خصوصاً، وقد قال رسول الله ﷺ: حد يقام في الأرض خير من أن تمطروا أربعين صباحا. رواه النسائي وغيره وصححه الألباني.

٧٢٨. الأمر للجماعة مع أن الفاعل حقيقة هو الحاكم، وقد يشير ذلك إلى أمرين:

أ/ استمرار الحكم وتفويض الحكام لتنفيذه إلى قيام الساعة، إذ لو كان بضمير المفرد لادعى قوم أنه حق للنبي ﷺ فقط.

ب/ أهمية قناعة الأمة أو الرعية بأهمية تطبيق الشريعة والأحكام، فالحاكم مباشر الفعل، والرعية داعية وراضية ومؤمِّنة على أهمية التطبيق.

٧٢٩. تفيد أن السرقة من الكبائر؛ لأن من علامة الكبيرة أن يكون فيها حد في الدنيا.

٧٣٠. فيها حرمة الأموال والمحافظة عليها ومن تعدى على المال بالسرقة يعاقب بقطع اليد.

٧٣١. جمع – سبحانه- اليد فقال: ﴿ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا ﴾ ولم يقل يديهما بالتثنية، لأن فصحاء العرب يستثقلون إضافة المثنى إلى ضمير التثنية.

٧٣٢. قوله: ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا﴾ فيها إشارة إلى عدل الله تعالى إذ لم يعاقب إلا بعد وقوع المجني عليه وله ما يشاء، وفيها مسؤولية الفرد تجاه أعماله في الدنيا كما في الآخرة.

٧٣٣. الفعل ﴿ كَسَبَا ﴾ فيه إشارة التنكيل الذي ورد لفظاً بعدها، قال شيخ الإسلام ابن تيميةرَحِمَهُ ٱللَّهُ: فأمر بالقطع جزاء على ما كسباه، فلو لم يكن الجزاء المشروع المحدود من العقوبات واجباً لم يعلل وجوب القطع به، إذ العلة المطلوبة يجب أن تكون أبلغ من الحكم وأقوى منه... (الصارم المسلول ص:٣٨٠).

٧٣٤. الباء في ﴿ بِمَا كَسَبَا ﴾ هي للسببية والمقابلة، وتدل على تمام العدل وأن القطع ليس أعظم من السرقة كما يدعي الطاعنون في الحدود.

٧٣٥. تفيد: أن الأصل براءة الذمة، وأنه لا يجوز أخذ الناس إلا بجريرة، لا أن يتهموا بالباطل وينكل بهم وهم أبرياء؛ لقوله: ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا ﴾.

٧٣٦. فيها رد على الجبرية؛ لقوله:﴿ بِمَا كَسَبَا ﴾ فنسب الكسب إليهما.

٧٣٧. قوله: ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا ﴾ فيه أن الحدود تطهير للعبد من معصيته، وأن من حد في الدنيا فقد تمت عقوبته.

٧٣٨. تفيد أن من حكمة الحدود تخويف الناس من الوقوع في الجرائم؛ لقوله:﴿نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ وسميت هذه العقوبة نكالاً، لأنها تجعل غير من نزلت به يخاف من ارتكابها حتى لا ينزل به ما نزل بمرتكبها من قطع ليده، وفضيحة لأمره.

٧٣٩. تفيد أن السرقة تتسبب في الخزي والإهانة للعبد بأن تقطع يده فيكون عبرة.

٧٤٠. ختم سبحانه الآية بقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ فكما قال الأعرابي (عز فحكم فقطع).

٧٤١. اقتران صفة الحكمة مع صفة العزة، لبيان أن ما شرعه عن حكمة وعزة، وفي هذا إشارة إلى: أن القوانين الوضعية لن تقضي على السرقة. فكأنه يقول: إن لم تفعلوا بالسارق ما آمرتكم فلن يتوقف شرهم. ولِمَ لا تفعلوا وأنا الحكيم أشرع لكم ما فيه مصلحتكم في الدارين.

٧٤٢. فيها حكمة الله تعالى وعزته في قطع يد السارق فإن العقوبة تتناسب مع الجريمة.

٧٤٣. إظهار اسم الجلالة في مقام الإضمار لتربية المهابة وبيان العظمة.

٧٤٤. تفيد إثبات اسم العزيز واسم الحكيم لله عَزَّوَجَلَّ.

٧٤٥. تفيد إثبات صفة العزة لله العزيز الحكيم، وفي الحديث:" أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر". رواه مسلم.

قال تعالى:﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٩].

٧٤٦. الفاء في ﴿فَمَن﴾ وليس واواً تشير إلى أهمية تعقب الذنب بالتوبة دون تراخ ولذلك من أذنب وتأخرت توبته عن ذنبه لزمه توبتان: توبة عن الذنب وتوبة عن تأخير التوبة.

٧٤٧. استعمال الماضي في ﴿ فَمَن تَابَ﴾ بدلاً عن المضارع فيه إشارة إلى أهمية الثبات على التوبة، ووقوعها حتى يحصل على المغفرة.

٧٤٨. قد يشير الماضي والمضارع في ﴿ فَمَن تَابَ ﴾ و ﴿ يَتُوبُ ﴾ إلى أن التوبة مقبولة وإن كانت من آحاد الذنوب فمن تاب عن الخمر وهو يصافح النساء تقبل توبته فإن ترك المصافحة قبلت وهكذا فيكون الماضي يشير إلى أهمية الثبات والمضارع يشير إلى قبول التوبة من المعاصي المختلفة.

٧٤٩. قوله ﴿مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ﴾ فيها إشارة إلى قبول التوبة بعد تمام الذنب وكماله فتشير إلى أن قبول التوبة بعد الشروع في الذنب وقبل اكتماله من باب أولى.

٧٥٠. قوله: ﴿ظُلۡمِهِۦ﴾ حذف متعلق الظلم توسيعا للمعنى وإدخالا لكل مراتب الظلم، ظلم لنفس وظلم الغير.

٧٥١. تفيد أن السرقة ظلم؛ لقوله: ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ﴾ وهي ظلم باعتبارين: الأول: أنها معصية وكبيرة من الكبائر، والمعاصي كلها ظلم للنفس. والنفس عند الإنسان أمانة يجب أن يسعى لها ما هو الأصلح والأنفع، فإذا خالف فهو ظالم خائن للأمانة. والثاني: ظلم للمسروق منه بأخذ ماله بغير حق.

٧٥٢. وفيها أنه يشترط لصحة التوبة إصلاح ما أفسده. والإصلاح يكون بالندم على ما فعل، والعزم على عدم العودة مع إرجاع ما بحوزته ما سرق ما أمكن ذلك. وقد قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠].

٧٥٣. كذلك قوله: ﴿ وَأَصۡلَحَ ﴾ قد تعني أصلح حاله ونفسه المريضة التي دعته لأخذ حق غيره، وتعني إرجاع حقوق الآخرين. وتعني إصلاح ما أفسده في صلته بربه عند عصيانه له وتمرده عليه. وبذلك تكون الآية قد أكّدت على أهمية علاج سبب المرض من جذوره.

٧٥٤. ولكن هل الإصلاح شرط للتوبة في جميع الأعمال أو شرط للتوبة في ذلك العمل الذي وقع فيه الظلم؟ الثاني؛ ولهذا نقول: الصحيح أنه يجوز أن يتوب من ذنبٍ مع الإصرار على غيره، ولكنه لا يستحق أن يسمى تائبًا على وجه الإطلاق، بل يقيد أنه تائب من كذا، إذن ﴿وَأَصۡلَحَ﴾أي: ما فسد بظلمه وإن لم يكن أصلح جميع أحواله. (أفاده ابن عثيمين).

٧٥٥. في الآية دلالة على سعة رحمة الله بعباده.

٧٥٦. وفيها دعوة إلى الإقلاع عن الذنوب وعلى رأسها الظلم الذي هو الشرك فما دونه

٧٥٧. وفيها أن التوبة تجُبُّ ما قبلها.

٧٥٨. تفيد وجوب رعاية حقوق العباد وإنها مبنية على المشاحة.

٧٥٩. تفيد كثرة واستمرار توبة الله ﷻ على عباده كما يفيده الفعل المضارع في قوله: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ﴾ ومن أسمائه تعالى: التوَّاب.

٧٦٠. ذكر في خاتمتها صفتان لله وهما كونه غفور ورحيم، وهما سبب توبته على العبد فالتوبة لها شروط ولكن قبولها محض رحمة من الله تعالى وفضل.

٧٦١. فيها إثبات صفات ذاتية ﴿ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ وصفات فعلية ﴿ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ﴾ ففيها رد على الأشاعرة والماتريدية.

قال تعالى:﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [المائدة:٤٠].

٧٦٢. مناسبة هذه الآية لما قبلها أنها مسوقة لتقرير حق الله تعالى في أن يشرع ما تقدم من عقاب قاطع الطريق، والسارق، والعفو عن التائب منهما. والخطاب لكل من يصلح له. قال ابن حيان: "لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى تَصَرُّفَهُ فِي أَحْكَامِ الْمُحَارِبِينَ وَأَحْكَامِ السُّرَّاقِ، وَلَمْ يُحَابِ مَا ذَكَرَ مِنَ

الْعُقُوبَاتِ عَلَيْهِمْ، نَبَّهَ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ هُوَ تَصَـــرُّفٌ فِي مُلْكِهِ، وَمِلْكِهِ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، فَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ عَذَابَهُ وَهُمُ الْمُخَالِفُونَ لِأَمْرِهِ، وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَهُمُ التَّائِبُونَ" (البحر المحيط).

٧٦٣. صدرت الآية بالاستفهام الإنكاري لتقرير العلم والمراد بذلك الاستشهاد على قدرته تعالى على ما سيأتي من التعذيب والمغفرة على أبلغ وجه وأتمه، أي: ألم تعلم أن الله له السلطان القادر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلى فيهما، وفيما فيهما إيجاداً وإعداماً وإحياء وإماتة إلى غير ذلك حسبما تقتضيه مشيئته.

قال الزمخشري: ((الآية توقيف وتنبيه على العلة الموجبة لإنفاذ هذه الأوامر في المحاربين والسـرقة والإخبار بهذا التعذيب لقوم، والتوبة على آخرين وهي ملكه تعالى لجميع الأشياء، فهو بحق الملك لا معقب لحكمه ولا معترض عليه)) (الكشاف).

٧٦٤. فيها زيادة التشويق للعلم والتنبيه عليه وذلك بذكره في مفتتح الاستفهام التقريري.

٧٦٥. تفيد أنه ينبغي الحرص على تعلم صفات الله تعالى حتى تعين المكلف على القيام بحقوقه جل وعلا.

٧٦٦. فيها أن الذي لا يعلم معذور ولو كان ذلك فيما يتعلق بالله تعالى لكن قد يلحقه إثم ترك التعلم مع القدرة عليه.

٧٦٧. تفيد أنه ينبغي أن يكون العلم دافعا إلى العمل بما يوجبه العلم.

٧٦٨. تبين سعة ملك الله تعالى وعظمته وتصرفه فيه بما شاء؛ لأن المُلك يدل على احتواء الشيء والقدرة على الاستبداد به.

٧٦٩. تفيد شمولية ملكه ﷻ لكل شيء فملكه شامل لملك السموات والأرض وما بينهما. ومن كان كذلك، فإن له كامل الحق في أن يعذب من شاءَ من المعتدين، ويغفر لمن شاءَ من التائبين.

٧٧٠. تبين أن الله تعالى فعال لما يريد يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ.

٧٧١. قَدَّمَ التَّعْذِيبَ عَلَى الْمَغْفِرَةِ لِأَنَّهُ فِي مُقَابَلَةِ تَقَدُّمِ السَّرِقَةِ عَلَى التَّوْبَةِ.

٧٧٢. قَالَ الْوَاحِدِيُّ: ((الْآيَةُ وَاضِحَةٌ لِلْقَدَرِيَّةِ فِي التَّعْدِيلِ وَالتَّجْوِيزِ، وَقَوْلُهُمْ بِوُجُوبِ الرَّحْمَةِ لِلْمُطِيعِ، وَوُجُوبِ الْعَذَابِ لِلْعَاصِي عَلَى اللهِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْآيَةَ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ الرَّحْمَةَ مُفَوَّضَةٌ إِلَى الْمَشِيئَةِ وَالْوُجُوبُ يُنَافِي ذَلِكَ)).

٧٧٣. تفيد كمال قدرة الله تعالى فلا يمنعه عن تشريعه الحكيم مانع، ولا يدفعه عن جزائه لهم في الدنيا والآخرة دافع.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [المائدة: ٤١].

٧٧٤. فيها مناجاة الله ﷻ لرسوله الكريم ونهيه عن الحزن لما له من أضرار نفسيه وبدنيه.

٧٧٥. فيها تسلية للدعاة والمصلحين؛ لما يلقونه من تكذيب، وكيد، وإيذاء من أعداء الملة والدين.

٧٧٦. في التعبير بقوله: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ ذم لهم على انحدارهم في دركات الكفر بسرعة من غير موناة ولا تدبر ولا تفكير. فهم يتنقلون بحركات سريعة في ثنايا الكفر ومداخله دون أن يزعهم وازع من خلق أو دين. قال صاحب الكشاف: ((مسارعتهم في الكفر عبارة عن إلقائهم أنفسهم فيه على أسرع الوجوه، بحيث إذا وجدوا فرصة لم يخطئوها)).

٧٧٧. إيثار كلمة ﴿فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ على كلمة (إلى) للإيماء إلى أنهم مستقرون في الكفر لا يبرحونه. وإنما ينتقلون بالمسارعة عن بعض فنونه وأحكامه إلى بعض آخر منها، كإظهار موالاة المشركين، وإبراز آثار الكيد للإسلام ونحو ذلك.

٧٧٨. فيها أن أظهر صفات أهل النفاق؛ أن حالهم يكذب مقالهم.

٧٧٩. فيها بيان خبث اليهود وتحريفهم لكتاب الله جل وعلا، وبيان تلاعبهم في الدين واتباعهم للأهواء، وفي ضمن ذلك التحذير من التشبه بهم.

٧٨٠. تفيد ذم الكذب قولاً واستماعاً.

٧٨١. عبر هنا بقوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ وفي مواطن أخرى بقوله (عَنْ مَواضِعِهِ) لأن المقام هنا للحديث عن الأحكام المستقرة الثابتة التي حاول أولئك المسارعون في الكفر تغييرها، وإحلال أحكام أخرى محلها تبعا لأهوائهم كما حدث في قضية الزنا وفي غيرها من القضايا التي تحاكموا فيها إلى رسول الله ﷺ فكان من المناسب هنا التعبير بقوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ أي: من بعد استقرار مواضعه وثبوتها ثبوتا لا يقبل التحريف أو التغيير أو الإهمال.

٧٨٢. في ترتيب الأمر بالحذر على مجرد عدم إيتاء المحرف، إشارة إلى تخوفهم الشديد من ميل أتباعهم إلى حكم رسول الله ﷺ فهم يحذرونهم بشدة من الاستماع إلى ما يقوله لهم مما يخالف ما تواضعوا عليه من أباطيل.

٧٨٣. تفيد النهي عن الاستشراف للفتن، وسؤال الله تعالى الإعاذة منها، لقوله: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ﴾ كما قال النبي ﷺ: استعيذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن. رواه مسلم.

٧٨٤. تفيد أن ما ذكر في الآية من ذنوب هو من أعظم أسباب فتنة القلوب وعدم طهارته جزاء وفاقا..

٧٨٥. تبين أن النبي ﷺ لا يملك لنفسه فضلا عن غيره نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، لقوله: ﴿فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ﴾.

٧٨٦. تفيد عظمة الخالق ﷻ وسعة ملكه؛ لقوله: ﴿فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ﴾

٧٨٧. أهمية القلب والسعي لتطهيره فإن لم يكن فيه خير لا فائدة في اللسان لأن كل إناء بما فيه ينضح، لقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ﴾.

٧٨٨. تفيد أن الذنوب والمعاصي من أسباب الخزي والعار في الدنيا، والعذاب العظيم في الآخرة.

٧٨٩. تفيد أن الضلال بمشيئة الله تعالى ردّاً على من قال خلاف ذلك.

٧٩٠. تفيد إثبات الآخرة وما فيها من عذاب عظيم لمن اتصف بما ذكر في الآية.. وفي ضمن ذلك التخويف من أسباب هذا العذاب والحث على البعد عنها..

قال تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢].

٧٩١. استعمال القرآن لصيغة المبالغة﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ﴾ دليل على كثرة سماعهم للكذب، وكثرة أكلهم للسحت.

٧٩٢. تكرار قوله: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ﴾ في هذه الآية والآية السابقة دليل على خطورة الكذب والاستماع إليه، وفي الحديث:" لا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا". متفق عليه.

٧٩٣. فيها أن كثرة سماعهم للكذب وأكلهم للسحت جعلهم يألفونه ويصدقونه بعد ما عرفوه.

٧٩٤. تفيد تحريم أكل الحرام وأن الإكثار من ذلك من صفات اليهود؛ والسحت: هو كل ما خبث كسبه وقبح مصدره، كالتعامل بالربا وأخذ الرشوة وما إلى ذلك من وجوه الكسب الحرام.

٧٩٥. تبين أن الله جل وعلا يخبر نبيه والمؤمنين بخلق أولئك القوم وأنهم فعّالون لكل خلق ذميم فإن حكمت بينهم بالحق ولم يقبلوا به فلا تبتئس فقد رضوا على أنفسهم بالسحت وقبلوا الكذب فهم أحرى برفض الحكم الحق.

٧٩٦. فيها أنه ينبغي للحاكم أن يكون عدلا حتى مع من كان ظالما جائرا كأهل الكذب والسحت فإذا حكم فليكن حكم عدل يتجرد فيه من العلم المسبق بسوء حالهم وفساد منهجهم وتعطي المظلوم منهم حقه وتقيم الحجة على الظالم.

٧٩٧. فيها أن كل مستفت ومتحاكم إلى عالم، يعلم من حاله أنه إن حكم عليه لم يرض، لم يجب الحكم ولا الإفتاء لهم، فإن حكم بينهم وجب أن يحكم بالقسط. (أفاده السعدي:).

٧٩٨. تفيد أنه لا ينبغي أن نخشى ضررا من أحد فلله الأمر من قبل ومن بعد.

٧٩٩. جاء التعبير بـــ (إن) المفيدة للشك في قوله: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ﴾ مع أنهم قد جاءوا إليه– للإيذان بأنهم كانوا مترددين في التحاكم إليه ﷺ وأنهم ما ذهبوا إليه إلا ظنا منهم بأنه سيحكم فيهم بما يتفق مع أهوائهم، فلما حكم فيهم بما هو الحق كبتوا وندموا على مجيئهم إليه.

٨٠٠. تقديم حال الإعراض، للمسارعة إلى بيان أنه لا ضرر فيه، حيث كان مظنة الضرر، لأنهم لما كانوا لا يتحاكمون إليه إلا لطلب الأيسر والأهون عليهم، فإذا أعرض عنهم وأبى الحكومة بينهم شقَّ ذلك عليهم فتشتد عداوتهم ومضارتهم له، فأمّنه الله بقوله: ﴿فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ﴾ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً من الضر. (أفاده أبو السعود).

٨٠١. وقيل: عبر بـ(إن) للإشارة إلى أنه ﷺ ليس حريصا على الحكم بينهم بل هو زاهد فيه، لأنهم ليسوا طلاب حق وانصاف بل هم يريدون الحكم كما يهوون ويشتهون، والدليل على ذلك أن التوراة التي بين أيديهم فيها حكم الله، إلا أنهم جاءوا إلى رسول الله ﷺ مؤملين أن

يقضـــي بينهم بغير ما أنزل الله، فيشـــيعوا ذلك بين الناس، ويعلنوا عدم صـــدقه في نبوته، فلما حكم بما أنزل الله خاب أملهم وانقلبوا صاغرين.

٨٠٢. فيها بيان فضيلة العدل والقسط في الحكم بين الناس، وأن الله تعالى يحبه.

قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٤٣].

٨٠٣. قال الفخر الرازي: ((قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ﴾ هذا تعجيب من الله لنبيه ﷺ بتحكيم اليهود إياه بعد علمهم بما في التوراة من حد الزاني، ثم تركهم قبول ذلك الحكم فعدلوا عما يعتقدونه حكما حقا إلى ما يعتقدونه باطلا طلبا للرخصـــة. فلا جرم ظهر جهلهم وعنادهم في هذه الواقعة من وجوه:

أحدها: عدولهم عن حكم كتابهم.

والثاني: رجوعهم إلى حكم من كانوا يعتقدون فيه أنه مبطل.

والثالث: إعراضـــهم عن حكمه بعد أن حكموه. فبين الله حال جهلهم وعنادهم لئلا يغترّ بهم مغتر أنهم أهل كتاب الله، ومن المحافظين على أمر الله)).

٨٠٤. تفيد أن اليهود يعلمون أن النبي ﷺ حق وإلا لما تحاكموا إليه، فالأمر كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

٨٠٥. تبين أن اليهود أهل تحايل وتبديل وتحريف حتى عند التحاكم في أصول المسائل. ولهذا نفى عنهم سبحانه صفة الإيمان.

٨٠٦. تفيد أن من اســتفتى عالما طلبًا للرخصـة ففيه شـبه من اليهود؛ ولهذا قال العلماء: يحرم الاستفتاء طلبًا للرخصة، وقالوا: من تتبع الرخص فقد تزندق، وصفة تتبع الرخص أنه إذا أفتاك عالم ولم تُرِد فتواه ذهبت إلى عالم آخر ليفتيك بما يناسـبك، وهذا لا شـك أن المسـتفتي إنما أراد اتباع الهوى دون الهدى. (أفاده ابن عثيمين).

٨٠٧. فيها أن شريعة موسى عليه السلام كانت هي المهيمنة على الناس حتى نزلت الشريعة البديلة لها على النبي ﷺ لقوله: ﴿وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ﴾.

٨٠٨. تفيد فضل التوراة وأنها من أعظم كتب الله عز وجل، وقد وصفها الله تعالى بأنها ضياء وأنها نور، وأنها فرقان.

٨٠٩. وجوب تحاكم كل أمة إلى كتابها؛ لأن الله عز وجل أنزلها لتحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وبعد نزول القرآن الكريم لا يجوز التحاكم إلى غيره؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ [المائدة: ٤٨].

٨١٠. فيها: أن دين الله واحد وإن اختلفت بعض الأحكام.

٨١١. فيها اتساق شريعة الإسلام مع ما قبلها من الشرائع

٨١٢. قوله ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ﴾ معطوف على ﴿يُحَكِّمُونَكَ﴾ وجاء العطف بـ (ثم) المفيدة للتراخي للإشارة إلى التفاوت الكبير بين ما في التوراة من حق وبين ما هم عليه من باطل ومخادعة. أي: وما أولئك الذين جاءوا يتحاكمون إليك من اليهود بالمؤمنين لا بكتابهم التوراة -لأنهم لو كانوا مؤمنين به لنفذوا أحكامه-، ولا بك يا محمد لأنهم لو كانوا مؤمنين بك لاستجابوا لك فيما تأمرهم به وتنهاهم عنه.

٨١٣. قال ابن عاشور: وجملة: ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ في موضع الحال من ضمير الرفع في ﴿يُحَكِّمُونَكَ﴾. ونفي الإيمان عنهم مع حذف متعلّقه للإشارة إلى أنّهم ما آمنوا بالتّوراة ولا بالإسلام فكيف يكون تحكيمهم صادقاً.

٨١٤. تدل على نزع صفة الإيمان لمن ردَّ أحكام الله وتولى عنها. قال الطبري: ((﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ يقول: ليس من فعل هذا الفعل- أي: من تولّى عن حكم الله، الذي حكم به

في كتابه الذي أنــزله على نبيه، في خلقه بالذي صدّق الله ورسوله فأقرّ بتوحيده ونبوّة نبيه ﷺ، لأن ذلك ليس من فِعل أهل الإيمان.

٨١٥. أتى باسم الإشارة الدال على البعد لبيان بعدهم في الضلال يعني: ما هؤلاء المنحطون الذين نزلوا إلى أسفل السافلين بالمؤمنين.

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

٨١٦. تفيد إثبات صــــفة العلو للعلي الغفار؛ لقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾ لأن النزول لا يكون إلا من علو.

٨١٧. تفيد أن التوراة منزلة من عند الله سبحانه وتعالى ﴿أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾.

٨١٨. تبين فضل التوراة، وأن فيها هدى ونوراً لمن أنزلت عليهم. والمراد بالهدى، ما اشتملت عليه من بيان للأحكام والتكاليف والشرائع التي تهدي الناس إلى طريق السعادة. والمراد بالنور: ما اشتملت عليه من بيان للعقائد السليمة، والمواعظ الحكيمة، والأخلاق القويمة.

٨١٩. فيها الحث على اســتخراج هدايات القرآن الكريم، ووجهه: أن الله عز وجل وصــف التوراة بأن فيها هدى ونور، فالقرآن الكريم فيه ذلك وأعظم.

٨٢٠. فيها أن التوراة – وكذلك القرآن – أنزلها الله ليحكم الناس بها وليس لمجرد التلاوة فقط.

٨٢١. تفيد أن الإســـلام هو دين الأنبياء والرســـل جميعا؛ لقوله: ﴿ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾.

٨٢٢. تبين أن مما يعين على تطبيق أحكام الشرع الاستسلام لها والانقياد لأوامرها لقوله ﴿ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾ أي انقادوا وخضعوا لأوامر الله الواردة فيها بإجراء أَحكامها على اليهود.

٨٢٣. تفيد أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ؛ لقوله تعالى: ﴿يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾ والمراد بهم في ذلك النبي ﷺ ومن قبله من أنبياء بني إسرائيل.

٨٢٤. تفيد أن أولى الناس بالحكم بما أنزل الله والحرص عليه أهل العلم؛ لقوله: ﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَ﴾.

٨٢٥. فيها مدح العلماء الربانيين والأحبار في جميع الأمم. يقول ابن جرير- العلماء والحكماء البصراء بسياسة الناس وتدبير أمورهم، والقيام بمصالحهم.

٨٢٦. تبين أن وظيفة العلماء التي ينبغي عليهم العناية بها، تعليم العلم، وتربية الناس بأحسن تربية لقوله: ﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾.

٨٢٧. فيها أنه على العالم أن يعتني بتحبير كلامه، وتزيينه، وتقريبه للناس في أحسن قالب، وأبهى صورة كي يكون أدعى إلى القبول، لقوله ﴿وَٱلۡأَحۡبَارُ﴾ لأن الحبر بالفتح والكسر- الرجل العالم وهو مأخوذ من التحبير بمعنى التحسين والتزيين، فهم يحبرون العلم. أي: يبينونه، وهو محبر في صدورهم.

٨٢٨. تفيد أن العلم زين لأهله؛ لما قيل في أصل كلمة الحبر؛ قال البغوي في معالم التنزيل: سمي العالم حبرا لما عليه من جمال العلم وبهائه.

٨٢٩. تقديم الربانيين على الأحبار، يقتضي كون الربانيين أعلى حالاً من الأحبار، فثبت أن يكون الربانيون كالمجتهدين. والأحبار كآحاد العلماء، قال مجاهد: "الربانيون": العلماء الفقهاء، وهم فوق "الأحبار".

٨٣٠. قوله ﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ تبين أن الله جل وعلا جعل شريعته أمانة عند أهل العلم فالواجب عليهم حفظها وكمال العناية بها.

٨٣١. تفيد وجوب النصيحة لكتاب الله من أهل العلم.

٨٣٢. تدلُّ على عظمة القرآن الكريم حيث تولى جل وعلا حفظه بخلاف غيره من الكتب المنزلة ﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أيْ: بِسَببِ الَّذِي اسْتُودِعُوهُ مِن كِتابِ اللَّهِ أنْ يَحْفَظُوهُ مِنَ التَّغْيِيرِ والتَّبْدِيل.

٨٣٣. تفيد أهمية حفظ الكتاب وأثر ذلك في فهمه واستخراج هداياته؛ لأن قوله ﴿ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ من الاستحفاظ بمعنى طلب الحفظ بعناية وفهم.

٨٣٤. تفيد أهمية العمل على حفظ كتاب الله، قال الفخر الرازي: ((قوله: ﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ حفظ كتاب الله على وجهين:

الأول: أن يحفظ فلا ينسى.

الثاني: أن يحفظ فلا يضيع.

٨٣٥. تفيد الحفظ العام لكتاب الله، فقد أخذ الله على العلماء حفظ كتابه من وجهين:

أحدهما: أن يحفظوه في صدورهم ويدرسوه بألسنتهم.

والثاني: ألا يضيعوا أحكامه ولا يهملوا شرائعه.

٨٣٦. فيها أن عدم العناية بحفظ الشريعة وتبديلها يعرضها للضياع والتحريف والتبديل فهنا التوراة لما كان أمرها موكولاً إلى أحبار اليهود وعلمائهم أنفسهم، وتهاونوا بحفظها والمحافظة عليها، وقع ما وقع من التحريف والتبديل.

٨٣٧. قوله: ﴿مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ التّعريف بالإضافة المفيدة لتشريف التّوراة وتمجيدها بإضافتها إلى اسم الله تعالى.

٨٣٨. تبين أن الواجب على أهل العلم حراسة الشريعة، والدفاع عنها، وصونها وحمايتها من كل مؤامرة تغيير وتحريف لقوله ﴿ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ﴾ أي وكانوا – جميعًا – رقباءَ على كتاب الله – التوراة – يحمونه من محاولات التغيير والتبديل، بأي وجه من الوجوه.

٨٣٩. تفيد الأمر بخشية الله ﷻ وحده، والنهي عن خشية الناس، وأن الخشية عبادة لأمر الله تعالى بها، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾.

٨٤٠. استدل العلماء بهذه الآية على أن الواجب على الحاكم أن ينفذ أحكام الله دون أن يخشى أحداً سواه، وأن عليه كذلك أن يبتعد عن أكل المحرم بكل صوره وأشكاله، وألا يغير حكم الله في نظير أي عرض من أعراض الدنيا، لقوله تعالى- ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ قال الحسن: أخذ الله ﷻ على الحكام ثلاثة أشياء: ألا يتبعوا الهوى، وألا يخشوا الناس ويخشوه، وألا يشتروا بآياته ثمنا قليلا.

٨٤١. تفيد أن الانحراف عن الدين والتحريف والتهاون في نشر العلم الصحيح يرجع لسببين رئيسين: (خشية الناس). و(الطمع في الدنيا)؛ لهذا قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾.

٨٤٢. هذا النهي الذي اشتملت عليه هاتان الجملتان الكريمتان: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ وإن كان موجها في الأصل إلى رؤساء اليهود وأحبارهم. إلا أنه يتناول الناس جميعا في كل زمان ومكان، لأنه نهى عن رذائل يجب أن يبتعد عنها كل إنسان يتأتى له الخطاب.

٨٤٣. تفيد أن من أخطر أسباب انحراف العلماء وعدم صدعهم بالحق: خشية الناس، والاطماع الدنيوية؛ ولذلك قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾.

٨٤٤. تفيد تعظيم آيات الله تعالى فهي أغلى ما يملك المرء، فلا يشتري بها ثمنا قليلا ولو كانت الدنيا وما فيها فهي ثمن قليل.

٨٤٥. فيها أن وصف الثمن بالقلة في قوله ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ ليس من الأوصاف المخصصة للنكرات، بل هو من الأوصاف اللازمة للثمن المحصل في مقابل استبدال

الآيات لأنه لا يكون إلا قليلا- وإن بلغ ما بلغ من أعراض الدنيا- بالنسبة لطاعة الله، والرجاء في رحمته ورضاه.

٨٤٦. تفيد أن الحكم بغير ما أنزل الله من أعمال أهل الكفر، فالذين يبدلون حكم الله الذي أنزله في كتابه، فيكتمونه ويجحدونه ويحكمون بغيره معتقدين حله وجوازه فأولئك هم الكافرون. قال عكرمة معناه: ومن لم يحكم بما أنزل الله جاحدا به فقد كفر، ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق.

قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

٨٤٧. مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه تعالى سبق أن بين أنه أنزل التوراة؛ لاتباع ما جاء فيها والاحتكام إليها، وبيَّن الوعيد الشديد للمعرض عن الحكم بما أنزل الله فيها جاء في هذه الآية بيان ما بدّل يهود وغيروا من الأحكام التي أوجبها الله عليهم.

٨٤٨. تفيد تعظيم الله ﷻ، وعظمة أحكامه وحكمتها؛ لقوله: ﴿وَكَتَبْنَا﴾ بصيغة الجمع.

٨٤٩. قوله ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ فيها فرضية القصاص على اليهود، بينما أمة الإسلام رخص لها في القصاص والعفو وهذا من سعة الشريعة.

٨٥٠. عبر- سبحانه- عما فرض عليهم من عقوبات في التوراة بقوله: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ﴾ للإشارة إلى أن هذه العقوبات وتلك الأحكام لا يمكن جحدها أو محوها، لأنها مكتوبة والكتابة تزيد الكلام توثيقا وقوة.

٨٥١. استُدلَّ بهذه الآية على أنَّ شَرْعَ مَن قَبْلَنا شرْعٌ لنا، إذا حُكي مُقرَّرًا ولم يُنسَخْ؛ حيث كان الحُكمُ عندنا على وَفقِها في الجناياتِ عندَ جميعِ الأئمَّة.

٨٥٢. فيها أن القصاص ثابت دون النظر لاختلاف الناس لعموم قوله: ﴿ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾ فالنفس بالنفس وإن كان القاتل رئيسا مطاعا من قبيلة شريفة، والمقتول سوقيا طارفا، وكذلك إن كان كبيرا، وهذا صغيرا، أو هذا غنيا، وهذا فقيرا، وهذا عربيا، وهذا عجميا، أو هذا هاشميا وهذا قرشيا. وهذا رد لما كان عليه أهل الجاهلية، ولقوله ﷺ: "المسلمون تتكافأ دماؤهم". أخرجه ابن ماجة في السنن برقم (٢٦٨٣) وقال البوصيري في الزوائد (٣٥٣/٢): "هذا إسناد ضعيف لضعف حنش واسمه حسين بن قيس.

٨٥٣. هذه الآية الكريمة تنعي على بني إسرائيل إهمالهم لأحكام الله – تعالى– وتهافتهم على ما يتفق مع أهوائهم. قال ابن كثير: هذه الآية مما وبخت به اليهود أيضا وقرعت عليه، فإن عندهم في نص التوراة أن النفس بالنفس. وقد خالفوا حكم ذلك عمدا وعنادا فأقادوا النضري من القرظي، ولم يقيدوا القرظي من النضري وعدلوا إلى الدية، كما خالفوا حكم التوراة في رجم الزاني المحصن، وعدلوا إلى ما اصطلحوا عليه من الجلد والتحميم والإشهار. (ابن كثير:١٢٠/٣).

٨٥٤. فيها أن القصاص يقع في استدل جمهور الفقهاء بعموم هذه الآية على أن الرجل يقتل بالمرأة. ويؤيد ذلك ما رواه النسائي وغيره أن رسول الله ﷺ كتب في كتاب عمرو بن حزم: أن الرجل يقتل بالمرأة".

٨٥٥. العين والأنف والأذن والسن، وقياسا عليها: اليدان والرجلان واللسان وغيرها.

٨٥٦. الاقتصارُ على ذِكر هذه الأعضاءِ دونَ غيرِها مِن أعضاءِ الجسدِ؛ كاليدِ والرِّجلِ والإصبَع؛ لأنَّ القطعَ يكونُ غالبًا عندَ المضاربةِ بقصدِ قطْعِ الرَّقبةِ، فقد ينبو السيفُ عن قطعِ الرَّأس، فيُصيب بعضَ الأعضاءِ المتَّصلةِ به مِن عينٍ أو أنفٍ أو أُذُن أو سِنٍّ، وكذلك عندَ المصاولةِ؛ لأنَّ الوجهَ يُقابِلُ الصائلَ.

٨٥٧. تدل هذه الآية على أهمية الأعضاء المذكورة، وكلها في الوجه، وكان النبي ﷺ يقول: "إذا قاتل أحدكم أخاه فليتق الوجه". رواه مسلم.

٨٥٨. فيها أنه لا بدَّ من المماثَلَة في القِصاص؛ فاليُمنى باليُمنى، واليُسْرى باليُسرى؛ لأنَّ التعريفَ في قوله: ﴿وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ﴾ يدلُّ على أنَّ الثانيَ هو الأوَّل، وهذا يَقتضي المماثلةَ، ولأنَّه جاء بالباءِ الدالَّة على البَدَل، والبَدل لا بدَّ أن يكون مُساويًا للمُبْدَل منه.

٨٥٩. تفيد أن من مقاصد الشريعة حفظ النفس، ومعاقبة من يعتدي عليها، كلها أو بعضها.

٨٦٠. فيها فضل العفو والمسامحة والتنازل عن بعض الحقوق لقوله ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾.

٨٦١. التعبير عن العفو عن القصاص بالتصدق للمبالغة في الحث عليه فإنه أدعى إلى صفاء النفوس، وإلى فتح باب التسامح بين الناس.

٨٦٢. تفيد أن الله- تعالى- رغب في العفو، وحض عليه، وأجزل المثوبة لمن يقوم به فقد قال تعالى﴿ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ﴾ أي: فمن تصدق بما ثبت له من حق القصاص فتصدقه كفارة لذنوبه. روى الإمام أحمد عن الشعبي أن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من رجل يجرح في جسده جراحة فيتصدق بها إلا كفر الله عنه مثل ما تصدق به". وصححه الألباني.

٨٦٣. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((فجعل الصدقة بالقصاص الواجب على الظالم وهو العفو عن القصاص كفارة للعافي، والاقتصاص ليس بكفارة له، فعلم أن العفو خير له من الاقتصاص. وهذا لأن ما أصابه من المصائب مكفر للذنوب، ويؤجر العبد على صبره عليها، ويرفع درجته برضاه بما يقضيه الله عليه منها)) (مجموع الفتاوي٣٠/ ٣٢٦).

٨٦٤. فيها: سعة القرآن وبلاغة ألفاظه، ودقة أحكامه وكثرة هداياته؛ فإن قوله: ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ أي: كفارة للجاني، لأن الآدمي عفا عن حقه، والله تعالى أحق وأولى بالعفو

عن حقه، وكفارة أيضـــا عن العافي، فإنه كما عفا عمن جنى عليه، أو على من يتعلق به، فإن الله يعفو عن زلاته وجناياته.

٨٦٥. من هذه الآية وغيرها نرى أن الإســـلام قد جمع فيما شـــرع من عقوبات بين العدل والرحمة فقد شـرع القصـاص زجرا للمعتدى. وإشـعارا له بأن سـوط العقاب مسـلط عليه إذا ما تجاوز حده، جبرا لخاطر المعتدى عليه، وتمكينا له من أخذ حقه ممن اعتدى عليه.

٨٦٦. تفيد إثبات علو الله ﷻ على خلقه لقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ والنزول لا يكون إلا من علو.

٨٦٧. تفيد أن ترك الحكم بما أنزل الله من أعظم الظلم، قال الســـعدي: فهو ظلم أكبر عند استحلاله، وعظيمة كبيرة عند فعله غير مستحل له.

قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦].

٨٦٨. تفيد رحمة الله ﷻ بعباده، وعنايته بهم، فيرسل الرسل تباعا؛ لقوله﴿وَقَفَّيْنَا﴾.

٨٦٩. في التعبير بقوله: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ إشارة إلى أن عيسى عليه السلام لم يكن بدعاً من الرسـل، وإنما هو واحد منهم، جاء على آثار من سـبقوه، سـالكاً مسـلكهم في الدعوة إلى عبادة الله وحده، وإلى التحلي بمكارم الأخلاق.

٨٧٠. فيها فضـل اتباع آثار الأنبياء والرسـل؛ لقوله: ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ ومن أسماء أهل السـنة: أهل الأثر.

٨٧١. تفيد جواز نسبة الرجل إلى أمه إذا لم يعلم له أب؛ لقوله: ﴿بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾.

٨٧٢. في التعبير بقوله ﴿بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ إيذان بأنه محدث كجميع المحدثات، وأنه قد ولد من أمه كما يولد سائر البشر من أمهاتهم، وأنه لا نسب له إلا من جهتها.

٨٧٣. تفيد أن الرسل والكتب يصدق بعضها بعضا؛ لقوله: ﴿مُصَدِّقًا﴾ في موضعين من الآية الكريمة.

٨٧٤. قوله ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ تعبير قرآني، للدلالة على أن التوراة كانت حاضرة قائمة وقت مجيء عيسى عليه السلام وعلماً عنده، وهو علم خالٍ من التحريف والتبديل، أوحى الله به إليه.

٨٧٥. فيها التنويه بعظمة التوراة وفضلها وشرفها؛ لأنه ذكر في هذه الآية أن عيسى مصدق لما بين يديه من التوراة، وأن الإنجيل أيضًا مصدق لما بين يديه من التوراة.

٨٧٦. قوله ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ تفيد أن ايتاء الكتاب من أعظم نعم الله عز وجل على رسله خاصة وعلى الناس عامة لذا جعلها الله تعالى من مننه عليه.

٨٧٧. قوله ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ تفيد فضل الإنجيل، وما فيه من الهدى والنور.

٨٧٨. فيها وصف الله- تعالى- الإنجيل الذي أعطاه لعيسى بخمس صفات:

أولها: بقوله: ﴿فِيهِ هُدًى﴾ أي: فيه هداية للناس إلى الحق الذي متى اتبعوه سعدوا في دنياهم وآخرتهم.

وثانيها: ﴿وَنُورٌ﴾ أن فيه نُورا أي: ضياء يكشف لهم ما التبس عليهم من أمور دينية ودنيوية.

وثالثها: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ أي أن الإنجيل مؤيد ومقرر لما جاءت به التوراة من أحكام وآداب وشرائع أنزلها الله فيها.

ورابعها: ﴿وَهُدًى﴾ أي: هو بذاته هدى فضلا على اشتماله عليه.

وخامسها: ﴿وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ أي: تذكيرا لهم بما يرق له القلب، وتصفو به النفس، وتنزجر به القلوب عن غشيان المحرمات.

٨٧٩. قوله أولا: ﴿فِيهِ هُدٗى﴾، وثانيا: ﴿وَهُدٗى﴾ لزيادة المبالغة في التنويه بشأن الإنجيل، فهو مشتمل على ما يهدي الناس إلى الحق والخير، وهو في ذاته هدى. قال الفخر الرازي: ((وأما كونه هُدىً مرة أخرى، فلأن اشتمال الإنجيل على البشارة بمجيء محمد ﷺ سبب لاهتداء الناس إلى نبوته. ولما كان أشد وجوه الاختلاف والمنازعة بين المسلمين وبين اليهود، والنصارى في ذلك، لا جرم أعاده الله- تعالى- مرة أخرى تنبيها على أن الإنجيل يدل دلالة ظاهرة على نبوة محمد ﷺ فكان هدى في هذه المسألة التي هي أشد المسائل احتياجاً إلى البيان والتقرير.

٨٨٠. ومن هدايات مثل هذه الآية أن تتخذ مرتكزا وسندا عند محاورة النصارى ودعوتهم للإسلام لما فيها من ذكر عيسى بن مريم، ووصف الإنجيل بأحسن الأوصاف.

٨٨١. قوله: ﴿ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ﴾ تفيد ارتباط التوراة بالإنجيل، لأنه جاء متمما لها، وناسخا لبعض أحكامها، ولكن العمدة في الأحكام على التوراة. قال العلامة ابن عثيمين: أعطيناه الإنجيل زائدًا على تصديق ما بين يديه من التوراة، فتكون شريعة عيسى مكوَّنة من شريعة التوراة وشريعة الإنجيل، ولهذا لا يعتبر الإنجيل كتابًا مستقلًّا، بل هو تابع للتوراة، ليس فيه من الأحكام إلا شيء قليل، لكن غالبه مواعظ وقصص وعِبَر.

٨٨٢. لا تكرار بين ﴿مُصَدِّقٗا﴾ الأولى والثانية، لأن الأولى لبيان حال عيسى عليه السلام وأنه جاء يدعو الناس إلى التصديق بالتوراة، وإلى تنفيذ أحكامها، والثانية لبيان حال الإنجيل وأنه جاء مقررا لما اشتملت عليه التوراة من أحكام أنزلها الله تعالى.

٨٨٣. تفيد أثر التقوى في فهم هدايات الكتب الإلهية؛ لقوله: ﴿ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ وقد قال الله عز وجل في القرآن: ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾.

٨٨٤. فيها الحث على التقوى، وأنها سبب لكل خير ولكل علم؛ لقوله: ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

٨٨٥. تفيد فضل المتقين فإنهم الذين ينتفعون بالهدى، ويتعظون بالمواعظ، ويرتدعون عما لا يليق لقوله: ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

٨٨٦. فيها الترغيب في الدعوة بالموعظة وأنها طريقة الرسل المأخوذة من الكتب، لقوله: ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

قال تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ﴾ فيها قراءتان:

الأولى: "وَلْيَحْكُمْ" بتسكين"اللام"، على وجه الأمر من الله لأهل الإنجيل: أن يحكموا بما أنزل الله فيه من أحكامه. وكأنّ من قرأ ذلك كذلك، أراد: وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونورٌ ومصدقًا لما بين يديه من التوراة، وأمرنا أهْلَه أن يحكموا بما أنزل الله فيه= فيكون في الكلام محذوف، ترك استغناءً بما ذكر عما حُذِف.

الثانية: ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ﴾ بكسر "اللام"، من "ليحكم"، بمعنى: كي يحكم أهل الإنجيل. وكأنّ معنى من قرأ ذلك كذلك: وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونورٌ ومصدقًا لما بين يديه من التوراة، كي يحكم أهله بما فيه من حكم الله. أفاده الطبري.

٨٨٧. تبين أن الشرائع أنزلها الله تعالى لتكون حاكمة بين البشر فلا يجوز التحاكم لغيرها ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾.

٨٨٨. التعبير بـ ﴿أَهْلُ الْإِنجِيلِ﴾ فيه تسجيل عليهم بما كان ينبغي عليهم القيام به.

٨٨٩. قوله ﴿ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ ﴾ تفيد أن على كل من أنزل الله تعالى عليهم كتابا أن يحتفوا به ويحرصوا عليه كأنهم أهله، وجه ذلك أن الله ﷻ قال ﴿ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ ﴾، ولذا قال رسول الله ﷺ: "أهل القرآن هم أهل الله وخاصته". أخرجه الإمام أحمد، وحسنه شعيب الأرنؤوط.

٨٩٠. تفيد أن الإنجيل منزل من عند الله؛ لقوله: ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ ﴾.

٨٩١. تفيد إثبات علو الله ﷻ على خلقه لقوله تعالى: ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ ﴾ والنزول لا يكون إلا من علو.

٨٩٢. تفيد أنه يجب على أهل الإنجيل أن يؤمنوا بمحمد ﷺ، وجه ذلك؟ أن مما أنزل في الإنجيل صفة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وقد بشّر عيسى به فقال: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾ [الصف: ٦].

٨٩٣. تفيد وقوع التحريف في الإنجيل لذلك جاء الأمر بالحكم به مقيدا بما أنزل الله فيه حيث يخرج ما فيه مما لم ينزله الله.

٨٩٤. تفيد خطورة التحاكم لغير ما شرعه الله تعالى وأنزله لعباده لأن الله رتب الفسق والكفر والظلم على ذلك.

٨٩٥. قوله: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ تذييل مقرر ومؤكد لوجوب الامتثال لأحكام الله- تعالى-. أي: ومن لم يحكم بما أنزل الله، فأولئك هم المتمردون الخارجون عن جادة الحق. قال أبو حيان: قوله ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ ناسب هنا ذكر الفسق، لأنه خرج عن أمر الله- تعالى.

٨٩٦. قال صاحب المنار ما ملخصه: وأنت إذا تأملت الآيات السابقة ظهر لك نكتة التعبير بالكفر في الأولى وبوصف الظلم في الثانية، وبوصف الفسوق في الثالثة.

ففي الآية الأولى كان الكلام في التشريع، وإنزال الكتاب مشتملا على الهدى والنور، والتزام الأنبياء وحكماء العلماء بالعمل والحكم به. فكان من المناسب أن يختم الكلام ببيان أن كل

معرض عن الحكم به لعدم الإذعان له، مؤثرا لغيره عليه يكون كافرا به. وأما الآية الثانية فلم يكن الكلام فيها في أصل الكتاب الذي هو ركن الإيمان، بل في عقاب المعتدين على الأنفس أو الأعضاء. فمن لم يحكم بحكم الله في ذلك يكون ظالما في حكمه. وأما الآية الثالثة فهي في بيان هداية الإنجيل وأكثرها مواعظ وآداب وترغيب في إقامة الشريعة على الوجه الذي يطابق مراد الشارع وحكمته، فمن لم يحكم بهذه الهداية ممن خوطبوا فهم الفاسقون بالمعصية، والخارجون عن محيط الشريعة.

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: هذه آخر الآيات الثلاثة: أولاها: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، وثانيها: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، وثالثها هذه الآية: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، فهل هذه الأوصاف صفات لموصوف واحد؟ فيه خلاف: منهم من قال: إنها لموصوف واحد؛ لأن الكافر يصدق عليه أنه ظالم، والظالم يصدق عليه أنه فاسق، فالكافر نسميه ظالمًا، فاسقًا، كافرًا.

ومنهم من يقول: إن كل وصف يتنزل على حال من الأحوال: فمن حكم بغير ما أنزل الله على أن ما حكم به هو السنة والطريق التي يمشي عليها نابذًا حكم الله وراء ظهره، فهذا كافر. ومن حكم بغير ما أنزل الله لعدوان على المحكوم عليه أو على غيره، فهو ظالم. ومن حكم بغير ما أنزل الله لهوى في نفسه ليتوصل إلى غرض يرى أنه مطلوب، فهذا فاسق. فتكون الآيات منزلة على اختلاف الأحوال.

٨٩٧. عبر باسم الإشارة الدال على البعد لبيان بعدهم في الضلال والفسق ﴿فَأُولَئِكَ﴾؛ أيْ: البُعَداءُ عَنْ كُلِّ خَيْرٍ؛ البُغَضاءُ.

٨٩٨. أتى بضمير الفصل ﴿هُمُ الفاسِقُونَ﴾؛ لحصر الفسق فيهم دون غيرهم أي هم: المخْتَصُّونَ بِكَمالِ الفِسْقِ؛ فَإنْ كانَ تَدَيُّنًا كانَ كُفْرًا؛ وإنْ كانَ لِاتِّباعِ الشَّهَواتِ كانَ مُجَرَّدَ مَعْصِيَةٍ.

٨٩٩. التَّعْبِيرُ بِالوَصْـفِ المؤْذِنِ بِالعَرَاقَةِ فِي مَأْخَذِ الِاشْـتِقاقِ؛ مُعْلِمٌ بِأَنَّ المرادَ بِكُلِّ واحِدٍ مِنها الكُفْرُ؛ فَحَقَّ أَنَّ المرادَ مِنهُ الشَّرْعِيَّ – لا مُطْلَقُ السَّتْرِ – غايَةُ التَّحْقِيقِ؛ فَبَيَّنَ بِوَصْفِهِ بِالظُّلْمِ أَنَّهُ سَتْرٌ لِما يَنْبَغِي إِظْهارُهُ؛ وبِالفِسْقِ أَنَّهُ بَلَغَ فِي كَوْنِهِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ النِّهايَةَ؛ حَتّى خَرَقَ جَمِيعَ دائِرَةِ المأْذُونِ فِيهِ؛ فَخَرَجَ مِنها.

٩٠٠. فيها الإِشـــارَةُ إِلى ذُنُوبِ أَهْلِ الإِنْجِيلِ؛ لِيُنْتِجَ نَقْضَ دَعْواهُمُ البُنُوَّةَ والمحَبَّةَ؛ لِأَنَّ المعْنى: ومِنَ الواضِـــحِ بِكِتابِكَ الَّذِي جُعِلَ مُهَيْمِنًا عَلى جَمِيعِ الكُتُبِ؛ أَنَّهُم خالَفُوا أَحْكامَهُ؛ فَهم فاسِقُونَ؛ أَيْ: خارِجُونَ عَمّا مِن شَأْنِهِ الِاسْتِقْرارُ فِيهِ؛ لِنَفْعِهِ؛ فَواقِعُونَ فِي الظُّلْمَةِ الموجِبَةِ لِوَضْعِ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ؛ المقْتَضِيَةِ لِلتَّغْطِيَةِ والسَّتْرِ.

٩٠١. قَدَّمَ الوَصْـفَ بِالكُفْرِ؛ لِأَنَّ السِّـياقَ لِمَن حَرَّفَ الكَلِمَ عَنْ مَوْضِعِهِ؛ وغَيَّرَ ما كُتِبَ مِن مُحْكَمِ أَحْكامِ التَّوْراةِ مِنَ الحُدُودِ؛ وذَلِكَ هو التَّغْطِيَةُ الَّتِي هي مَعْنى الكُفْرِ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الظَّلامِ؛ كَما أَنَّ الفِسْـقَ سَـبَبُ الظُّلْمِ؛ لِأَنَّهُ الخُرُوجُ عَمّا مِن شَـأْنِهِ النَّفْعُ؛ فَكانَ الآخِرُ أَوَّلًا فِي المعْنى؛ والأَوَّلُ نِهايَةً فِي الحَقِيقَةِ.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨].

٩٠٢. مناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر ﷻ التوراة والإنجيل، وما فيهما من الشرائع، ووصفهما بالهدى والنور، وذكر أن الإنجيل مصـــدق لما في التوراة جاء الحديث هنا عن الكتاب الخاتم، والمهيمن على ما قبله، المصدق لما بين يديه من الكتب وهو القرآن الكريم.

٩٠٣. فيها: إثبات أن القرآن منزل من عند الله، لقوله: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾.

٩٠٤. أشار ﷻ فيها إلى سمو مكانة القرآن من بين الكتب السماوية بإشارات من أهمها:

أ/ أنه – سبحانه– لم يقل: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:٤٦]، أي على آثار الأنبياء السابقين– بمحمد ﷺ وآتيناه القرآن، كما قال في شأن عيسى عليه السلام، وإنما قال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ للإشارة إلى معنى استقلاله وعدم تبعيته لغيره من الكتب التي سبقته، وللإيذان بأن الشريعة التي هذا كتابها هي الشريعة الباقية الخالدة التي لا تقبل النسخ أو التغيير.

ب/ أنه – سبحانه– لم يزد في تعريف الكتاب الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ على تعريفه بلام العهد فقال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ للإشارة إلى كماله وتفوقه على سائر الكتب، أي: أنه الكتاب الذي هو جدير بهذا الاسم، بحيث إذا أطلق اسم الكتاب لا ينصرف إلا إليه لأنه الفرد الكامل من بين الكتب في هذا الوجود.

ج/ أنه – سبحانه– وصفه بأنه قد أنزله ملتبسا بالحق والصدق، وأنه مؤيد ومقرر لما اشتملت عليه الكتب السماوية من الدعوة إلى الحق والخير، وأنه– فضلا عن كل ذلك– أمين على تلك الكتب، وحاكم عليها، فما أيّده من أحكامها وأقوالها فهو حق، وما لم يؤيده منها فهو باطل.

٩٠٥. فيها إثبات علو الله على خلقه لقوله ﴿وَأَنزَلْنَآ﴾ والنزول من أعلى إلى أسفل.

٩٠٦. فيها إثبات العظمة لله ﷻ حيث عبر عن ذلك بضمير الجمع في قوله ﴿وَأَنزَلْنَآ﴾.

٩٠٧. تفيد أن القرآن الكريم منزل بالحق، ومشتمل على الحق في أخباره، وأوامره ونواهيه لقوله ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾.

٩٠٨. فيها أن القرآن ناسخ للكتب السماوية السابقة لقوله ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾.

٩٠٩. فيها إيجاب الحكم بما أنزل الله على عباده من الشرع لقوله ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾.

٩١٠. فيها أن ترك الحكم بالشريعة اتباع للهوى، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ وقد قال الله ﷻ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

٩١١. فيها التحذير من اتباع أهواء أهل الباطل عموما لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾.

٩١٢. في الآية تسلية للنبي ﷺ فقد بين له أن اختلافهم وتنوعهم سنة واقعة فيها اختبار وتمحيص ليتميز الخبيث من الطيب فيحاسبون حين يرجعون إليه لا محالة لقوله ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾.

٩١٣. فيها بيان علم الله تعالى، وعظيم حكمته في تنويع الشرائع للأمم حسب مصلحتهم وزمانهم وواقعهم لقوله: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾.

٩١٤. فيها بيان قدرة الله تعالى المطلقة ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾.

٩١٥. تفيد إثبات المشيئة لله ﷻ لقوله ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾.

٩١٦. تفيد إثبات الجعل لله ﷻ؛ لقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ والجعل إما كوني وإما شرعي.

٩١٧. فيها أن العطاء نوع من الابتلاء كالمنع وهو شامل للعلم، والمال، والحكم والصحة لقوله: ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾.

٩١٨. فيها أن الابتلاء والاختبار سنة من سنن الله الكونية للعباد ليتبين المؤمن من غيره؛ لقوله: ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ فتفيد الخوف والحذر.

٩١٩. فيها الحث على استباق الخيرات، والتنافس في الطاعات، لقوله ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾.

٩٢٠. تفيد أن الأمم السابقة واللاحقة كلهم سيجمعهم الله ليوم لا ريب فيه؛ لقوله:﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٩].

٩٢١. تفيد وجوب الحكم بما أنزل الله في كل القضايا والأحوال، وبجميع ما أنزله من الشرع، ولا يجوز ترك الحكم ببعض ما أنزل الله، والحكم ببعضه لقوله:﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ وقد ذم الله تعالى أهل الكتاب بذلك.

٩٢٢. فيها كرر- سبحانه- على نبيه ﷺ وجوب التزامه في أحكامه بما أنزل الله، لتأكيد هذا الأمر في مقام يستدعي التأكيد، لأن اليهود كانوا لا يكفون عن محاولتهم فتنته ﷺ، وإغراءه بالميل إلى الأحكام التي تتفق مع أهوائهم، ولأنه قد جاء في الآية السابقة ما قد يوهم بأن لكل قوم شريعة خاصة بهم كما قال: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ﴾ [المائدة: ٤٨].

٩٢٣. وأن حكم القرآن ليس له صفة العموم فأراد- سبحانه- أن ينفي هذا الوهم نفيا واضحا، وأن يؤكد أن شريعة القرآن هي الشريعة العامة الخالدة التي يجب أن يتحاكم إليها الناس في كل زمان ومكان، لأنها نسخت ما سبقها من شرائع.

٩٢٤. قوله: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ يدل عَلَى وُجُوبِ الحُكْمِ بَيْنَ أهْلِ الكِتابِ إذا تَحاكَمُوا إلَيْنا، وألّا نَحْكُمَ بَيْنَهم بِتَوْراتِهِمْ ولا بِإنْجِيلِهِمْ، وإنما نحكم بينهم بما أنزل الله من الكتاب والحكمة.

٩٢٥. تفيد تفرد الله تعالى بالتشريع ولا يحق لأحد أن يشرع للناس حكما ليعملوا به، أما النبي ﷺ فتشريعه بأمر الله تعالى كما قال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٤].

٩٢٦. تفيد أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة، لأن الله تعالى أمر النبي ﷺ أن يحكم فيهم ما أنزله عليه إذا جاءوا يتحاكمون إليه.

٩٢٧. تفيد حرص الكفار على تنحية الشريعة عن الحكم؛ لقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾.

٩٢٨. تفيد أن كل ما خالف الحق فهو هوى، وأن أهواء البشر متعددة لا تنتهي إلى نهاية.

٩٢٩. تفيد أن الهوى هو أحد أسباب ترك الحكم بما أنزل الله، وهذا يوجب العقوبة ويدخل صاحبة في دائرة الفسق.

٩٣٠. في قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ كرر النهي عن اتباع أهوائهم لشدة التحذير منها، ولأن ذلك في مقام الحكم والفتوى، وهو أوسع، وهذا في مقام الحكم وحده، وكلاهما يلزم فيه أن لا يتبع أهواءهم المخالفة للحق، ولهذا قال: ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾.

٩٣١. تفيد بشرية الرسول ﷺ، وأنه عبد مأمور، وأن عناية الله تحيط به وهو يواجه كيد الكافرين.

٩٣٢. فيها التحذير من الوسائل التي تقنعك بقيم اليهود والنصارى وأفكارهم؛ فإن الله ﷻ قد حذَّر نبيه من أن يفتنوه، فكيف بمن هو دونه؟ ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾.

٩٣٣. قوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ تبين أن التَّوَلِّي عن حُكْمِ اللَّهِ مِنَ التَّمَرُّدِ الكبير، والذنب العظيم الذي يستوجب العقوبة.

٩٣٤. تبين خطورة الذنوب، وأن التسارع فيها تسارع نحو الهلاك، لقوله: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ ﴾.

٩٣٥. تفيد أهمية معرفة طبيعة البشر، وميلهم وتسارعهم نحو الباطل، بما يستلزم الصبر والثبات على الحق.

٩٣٦. تفيد أن للذنوب عقوبات عاجلة وآجلة، ومن أعظم العقوبات أن يبتلى العبد، ويزين له ترك اتباع الرسول، وذلك لفسقه.

٩٣٧. تدل على كرم الله تعالى وعظيم لطفه حيث قال: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ ﴾ فكيف يكون عقاب الله لو آخذنا بكل ذنوبنا؟

٩٣٨. فيها: عبر - سبحانه- عما يصيبهم من عقاب بأنه بسبب ارتكابهم لبعض الذنوب، للإشارة بأن لهم ذنوبا كثيرة بعضها كاف لإنزال العقوبة الشديدة بهم.

٩٣٩. تخصيص إصابتهم ببعض ذنوبهم دون كلِّها لأن هذا الوعيد إنما هو في الدنيا، وإنما يعذَّبون بالكُلِّ في الآخرة.

٩٤٠. قوله: ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾ تفيد كثرة الفسق في البشر، فعلى الموفق أن لا يغتر بكثرة الهالكين.

٩٤١. قوله: ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾ اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله، ومتضمن تسلية الرسول ﷺ عما لقيه من مخالفيه ولا سيما اليهود.

قال تعالى: ﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة:٥٠].

٩٤٢. صدر الآية بسؤال استنكاري، وعزز نكارته تسمية الحكم بحكم الجاهلية، فكيف للجهل أن ينتج حكما عادلاً؟ وهذا يدل على بلاغة الاستفهام، وأثره في المعاني وإيصالها في أبهى صورة.

٩٤٣. وفيها سؤال استنكاري ثانٍ إجابته نافية بألا يوجد من هو أحسن من الله حكما، وهو الذي خلق كافة المخلوقات، وأعلم بما يصلح حياتها.

٩٤٤. فيها وجوب الإنكار على من ترك حكم الله ﷻ لحكم الجاهلية، لقوله: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ وقد جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: "أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه". رواه البخاري.

٩٤٥. فيها أن الحكم بغير ما أنزل الله نوع من الجهل، لقوله: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ فمن حكم به فقد حكم بجهل فيستحق العقوبة كما جاء في حديث بُرَيْدَةَ أن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ، اثْنَانِ فِي النَّارِ، وَوَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ، رَجُلٌ عَلِمَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ، وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ جَارَ فِي الْحُكْمِ فَهُوَ فِي النَّارِ». حديث صحيح بطرقه وشواهده، أخرجه أبو داود (٣٥٧٣)، والنسائي في "الكبرى" (٥٨٩١).

٩٤٦. تفيد النهي عن حكم الجاهلية لقبحه، وبعده عن القيم، وإيصال الحقوق إلى أهلها، لهذا عبر عنه بالاستفهام الدال على الإنكار، ويدخل فيه كل حكم خالف ما أنزل الله على رسوله ﷺ. فلا ثم إلا حكم الله ورسوله أو حكم الجاهلية. فمن أعرض عن الأول، ابتلي بالثاني المبني على الجهل، والظلم والبغي.

٩٤٧. تفيد تحريم معارضة حكم الله تعالى بعقل أو رأي مهما يكن لأن إنكاره يدل على تحريمه له ﷻ.

٩٤٨. تفيد حرص هؤلاء الضالين على حكم الجاهلية؛ لقوله: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ وقدَّم المعمول لإفادة الحصر؛ يعني كأن هؤلاء لا يريدون إلا الحكم الجاهلي المبني على الجهل أو الجهالة.

٩٤٩. فيها رد على الجبرية؛ لقوله: ﴿يَبْغُونَ﴾ فلهم إرادة يبغون بها الباطل.

٩٥٠. فيها أن الحكم على الأفعال والأوصاف خلاف الحكم على المعين.

٩٥١. تفيد أن حكم الله تعالى حسن، لا أحسن منه، لقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ومفهومه: أن الحكم الذي يخالفه سيئ لا أسوأ منه.

٩٥٢. معرفة حسن حكم الشرع، والإيمان بذلك يقود إلى الاستسلام والرضا سواء علم المكلف الحكمة أم لم يعلمها.

٩٥٣. وفيها أن حسن الحكم بما أنزل الله لا يعرفه إلا من تعمق اليقين في قلبه، لذا فالعلمانيون الذين يرون أن حكم البشر خير من حكم الله سبب ذلك أنهم مبتلون بمرض الشك في الدين. أما أهل اليقين والمعرفة بالله تعالى فهم الذين يقبلون حكم الله وشرعه، وإن غابت عنهم بعض الحكم في ذلك لأنه لا يصدر عن الله تعالى إلا ما هو حسن وما فيه الخير.

٩٥٤. تفيد أن كل ما زاد إيمان العبد بربه وبأحكامه زاد يقينه، وكان سببا لرفعة منزلته ونفعه لخلقه.

٩٥٥. تفيد الثناء على الموقنين الراسخين الثابتين على حكم الله ﷻ وأحكامه، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

٩٥٦. فيها أن اليقين في أحكام الدين هو الذي يعرف به الفرق بين الحكمين، ويميز به القبيح من الحسن، وأنه يتعين – عقلا وشرعا – اتباعه.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٥١].

٩٥٧. يرشد تعالى عباده المؤمنين حين بيّن لهم أحوال اليهود والنصارى وصفاتهم غير الحسنة، أن لا يتخذوهم أولياء، فإن بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يتناصرون فيما بينهم ويكونون يداً على من سواهم.

٩٥٨. تصدير الخِطاب بالنِّداء، في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ فيه بيانُ أهميَّة تجنُّبِ اتِّخاذِ الأولياءِ من اليهودِ والنَّصارى، وأنَّ تجنبَ ذلك مِن مقتضَياتِ الإيمان، وأن اتِّخاذَهم أولياءَ يُوجِبُ نقصَ الإيمان، وربَّما يُوجِبُ محوَ الإيمانِ وزوالَه كلِّه؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾.

٩٥٩. قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ﴾ الآية، فيه انقطاعُ الموالاةِ بينَ المسلمينَ والكفَّار، فلا توارُثَ بينهم ولا عَقل، ولا ولاية نكاحٍ، ولا يؤتمنون على أسرار الأمة الإسلامية روي عن أبي موسى الأشعري أنه قال: قلت لعمر بن الخطاب ﷺ إن لي كاتباً نصرانياً فقال: مالك؟ قاتلك الله، ألا اتخذت حنيفياً أما سمعت قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ قلت: له دينه ولي كتابته. فقال: لا أكرمهم إذ أهانهم الله، ولا أعزهم إذ أذلهم الله، ولا أدنيهم إذ أبعدهم الله. قلت: لا يتم أمر البصرة إلا به. فقال: مات النصراني والسلام. يعني: هب أنه مات فما تصنع بعده فما تعمله بعد موته فاعمله الآن واستغن عنه بغيره من المسلمين.

٩٦٠. تقديم اليهود على النصارى يدل على شدة عداوتهم، وتأكيد البراءة منهم، وقد قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ﴾ [المائدة: ٨٢].

٩٦١. ذكر اليهود والنصارى دون غيرهم من الكفار مع النهي عن موالاة جميع الكفار دليلا على شدة عداوتهم للإسلام وأهله، وهذا هو الواقع تاريخيا عبر الإجرام اليهودي والنصراني في حق أمتنا.

٩٦٢. تفيد بمفهوم المخالفة وجوب الولاء للمؤمنين، وأثر ذلك في الإيمان، فقد قال رسول الله ﷺ: "أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله" رواه أبو داود، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٨٠) ولأن التحاب يوجب التقارب والاتفاق، وبه تجتمع الكلمة، وتقوى الشوكة.

٩٦٣. تفيد بمفهوم المخالفة أن من أسباب الهداية والثبات على الحق موالاة المؤمنين.

٩٦٤. يفيد قوله: ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾ أن كل فريق من هذين الفريقين، نصراءُ لبعضهم الآخر، ثم إن الفريقين - جميعًا مجمعون على كل مخالفتكم وعداوتكم، فكيف تكون بينكم وبينهم موالاة؟ ففي الإتيان بهذه الجملة، تأكيد لوجوب الابتعاد عن مودتهم، وتعليل للنهي عن موالاتهم.

٩٦٥. تبين أن من تولى اليهود والنصارى، ونصرهم فهو منهم، لأنه قد خالف الله ورسوله مثل ما خالفوا هم، ووجبت معاداته كما وجبت معاداتهم، واستحق عذاب النار كما استحقوه، لأَنه أَضعف الإِسلام بهذه الولاية، قال تعالى: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾[هود: ١١٣].

٩٦٦. قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ تعليل لكون من يواليهم منهم، وتأكيد للنهي عن موالاتهم، وبيانٌ لسببه؛ وهو أنَّ مَن يُوالي أعداءَ المؤمنين الذين نَصَبوا لهم الحربَ، وينصرُهم أو يستنصرُ بهم فهو ظالمٌ لنفسه ولأمته.

٩٦٧. تدل على خذلان الله تعالى لمن تولى اليهود والنصارى، فسيحرمه الهداية إلى الطريق المستقيم، ويخليه وشأنه لوضعه الولاية في غير موضعها الحق، وسيره في طريق أعداء الله.

٩٦٨. تفيد التحذير من الظلم؛ لكون الله تعالى لا يهدي الظالم؛ لقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

٩٦٩. فيها الرد على القدرية، من قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فإن في ذلك دلالة واضحة على أن أمر العباد بيد الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٥٢].

٩٧٠. مناسبة الآية لما قبلها: أنه لما سبق النهي عن موالاة اليهود والنصارى، جاء في هذه الآية بيان كيفية توليهم، وما الذي يحتج به من يتولوهم.

٩٧١. التعبير بقوله – سبحانه-: ﴿فَتَرَى﴾ تصوير للحال الواقعة منهم بأنها كالمرئية المكشوفة التي لا تخفى على العقلاء البصراء. وفي ذلك تسلية للرسول ﷺ وتحذير له ولأصحابه من مكر أولئك الذين في قلوبهم مرض.

٩٧٢. فيها سعة علم الله تعالى واطلاعه على ما تخفيه القلوب، وتسره النفوس؛ فالغيب لديه مكشوف.

٩٧٣. قوله: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ تعبير قوى رائع، وصف القرآن به المنافقين وأشباههم في الكفر والضلال في مواطن كثيرة، لأنه لما كانت قوة القلب تضرب مثلا للثبات والتماسك، كان ضعف القلب الذي عبر عنه بالمرض يضرب مثلا للخور، والتردد والتزلزل، وانهيار النفس. وهذه طبيعة المنافقين ومن على شاكلتهم في كل زمان ومكان. إنهم لا يمكن أن يكونوا صرحاء في انحيازهم إلى ناحية معينة. وإنما هم يترددون بين الناحيتين، ويلتمسون الحظوة في الجانبين، وأبلغ من كل ذلك وصف الله لهم بقوله: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ﴾[النساء: ١٤٣]. (الوسيط).

٩٧٤. تفيد أن النفاق من أخطر أمراض القلوب وهو المقصود في الآية.

٩٧٥. تفيد أن من أعراض النفاق موالاة أهل الكتاب ربطا بالآية السابقة.

٩٧٦. تفيد أن من أعراض مرض النفاق ما يظهر على اللسان كما قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۚ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٠].

٩٧٧. تفيد أن المنافق يعطي الكفار أكثر مما ينتظرونه منه لقوله: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾.

٩٧٨. في الآية تشنيع على المنافقين الذين يسرعون نحو الباطل وأهله.

٩٧٩. تفيد علامة يعرف بها أهل العلم والإيمان المنافقين في كل عصر ومصر، وإن أخفوا نفاقهم، وذلك بمسارعتهم إلى الكفار، وخوفهم منهم، وتخويفهم للمسلمين وإرجافهم فيهم، وبهذه العلامة الفارقة يظهر لك نفاق كثير من العلمانيين والليبراليين ونحوهم من منافقي عصرنا الكثر لا كثرهم الله.

٩٨٠. فيها أن النفاق دائما يجر أصحابه إلى موالاة الكفار.

٩٨١. فيها أن الخوف من الكفار هو الذي يجعل الناس يسارعون في إرضائهم، ويرتمون في أحضانهم.

٩٨٢. دل ورود حرف الجر (في) في قوله: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ﴾ على أنهم غارقون في الموالاة منغمسون فيها.

٩٨٣. التعبير بقوله: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ﴾ يشير إلى أنهم لا يدخلون ابتداء في صفوف الأعداء، وإنما هم منغمرون فيهم دائما، ولا يخرجون عن دائرتهم بل ينتقلون في صفوفهم بسرعة ونشاط من دركة إلى دركة، ومن إثم إلى آثام.

٩٨٤. تفيد أن المنافقين مستمرون في موالاة الكفار، بكل جد واجتهاد، لقوله: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ﴾ بصيغة المضارع التي تدل على الاستمرار.

٩٨٥. فيها إشارة إلى أن الصاحب ساحب، وأن القرين بالمقارن يقتدي، فلما كان ديدن يهود التلاعب بالكلام وكثرة القول بالحجج الواهية، شابههم من سارع فيهم باختراع الحجج الواهية لقوله: ﴿يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ﴾.

٩٨٦. فيها تأكيد على أن من صفات المنافقين ضعف اليقين، وعدم الثقة بموعود الله.

٩٨٧. فيها أن الارتماء في أحضان الكفار، وفرط الثقة بهم علامة على ضعف الإيمان.

٩٨٨. خاف هؤلاء من الدائرة ولم يخافوا من رب الدائرة؛ هكذا هم أصحاب القلوب المريضة في كل زمان ومكان؛ يخشون الخلق ولا يخشون رب الخلق.

٩٨٩. فيها أن المنافقينَ يتوكَّلون على الأمورِ المادِّيَّة التي يظنُّون فيها النصـــرَ؛ ولا يلتفتون إلى قوة الله تعالى المطلقة لقوله: ﴿ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾.

٩٩٠. فيها أن أمراض القلوب تظهر على الجوارح وعاقبتها الندم.

٩٩١. فيها بشـارةُ المؤمنينَ بأنَّ الفتحَ والنَّصـر سـيكونُ لهم؛ لقوله تعالى: ﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ ﴾ وعَســـى مِن الله واجبةٌ؛ لأنَّ الكريم إذا أطْمَعَ في خيرٍ فَعَلَه، فهو بمنزلةِ الوعدِ؛ لتعلُّقِ النَّفسِ به ورَجائِها له.

٩٩٢. فيها أن الفرج ربما يأتي بفتح يبذل فيه جهد وجهاد، وربما يكون بأمر قدري من الله لا يخطر على بال، فسبحانه ما أعظمه.

٩٩٣. الفتح يطلق بمعنى التوسـعة بعد الضـيق كما في قوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف:٩٦]، ويطلق بمعنى الفصل بين الحق والباطل. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ ﴾[الأعراف: ٨٩].

ويطلق بمعنى الظفر والنصر كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [الفتح:١]، ولفظ الفتح هنا يشـمل هذه الأمور الثلاثة فهو سعة بعد ضيق، وفصـل بين حق وباطل، ونصـر بعد جهاد طويل. ولقد صـــدق الله وعده، ففضـــح المنافقين وأذلهم، وأنزل الهزيمة باليهود، وأورث المؤمنين أرضهم وديارهم وأموالهم.

٩٩٤. جاء التعبير في قوله تعالى: ﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ ﴾ بصيغة الرجاء، لتعليم المؤمنين عدم اليأس من رحمة الله، ومن مجيء نصره، ولتعويدهم على أن يتوجهوا إليه– سبحانه– في مطالبهم بالرجاء الصادق، والأمل الخالص.

٩٩٥. فيها أنَّ المنافِقَ لا بدَّ أن يَفضحَه اللهُ؛ لقوله: ﴿ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ ﴾.

٩٩٦. فيها تحذيرُ المنافقين ممَّا ســيقعُ بهم مِن النَّدمِ على ما أســرُّوا في أنفسِــهم؛ لقوله: ﴿ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴾.

٩٩٧. لَمَّا كان الإسرارُ لا يكون إلَّا لِمَا يُخشَى من إظهارِهِ فسادٌ، وكان يُطلَقُ على ما دار بين جماعةٍ خاصَّة على وجهِ الكِتمانِ عن غيرهم- بيَّن أنَّه أدقُّ من ذلك، وأنَّه على الحقيقةِ مَنَعَهم خوفُهم من غائلتِهِ وغِرَّته عندهم أن يُبرزوه إلى الخارجِ، فقال: ﴿فِىٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ﴾.

٩٩٨. عبر- سبحانه- عن ندمهم بالوصف ﴿فِىٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ﴾ لا بالفعل، للإيذان بأنه ندم دائم تصحبه الحسرات والآلام المستمرة، بسبب ما وقعوا فيه من ظن فاسد، وأمل خائب.

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٣].

٩٩٩. مناسبة الآية لما قبلها أنه لما سبق بيان كيفية موالاة المنافقين لأهل الباطل، وما ادعوه واحتجوا به في موالاتهم لهم، جاء في هذه الآية بيان كمال سوء حالهم، وبطلان ادعائهم بتفويت مقصودهم، وتحقق خيبتهم وخسارتهم.

١٠٠٠. قال أبو جعفر: اختلفت القرأة في قراءة قوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فقرأتها قرأة أهل المدينة (فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين يقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله) بغير"واو". وتأويل الكلام على هذه القراءة: فيصبح المنافقون، إذا أتى الله بالفتح أو أمرٍ من عنده، على ما أسروا في أنفسهم نادمين، يقول المؤمنون تعجُّبًا منهم ومن نفاقهم وكذبهم واجترائهم على الله في أيمانهم الكاذبة بالله: أهؤلاء الذين أقسمُوا لنا بالله إنهم لمعنا، وهم كاذبون في أيمانهم لنا؟

وقرأ ذلك بعض البصريين: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ بالواو، ونصب "يقول" عطفًا به على "فعسى الله أن يأتي بالفتح". وذكر قارئ ذلك أنه كان يقول: إنما أريد بذلك: فعسى الله أن يأتي بالفتح، وعسى أن يقولَ الذين آمنوا ومحالٌ غير ذلك، لأنه لا يجوز أن يقال: "وعسى الله أن يقول الذين آمنوا"، وكان يقول: ذلك نحو قولهم: "أكلت خبزًا ولبنًا"، كقول الشاعر:

وَرَأَيْتِ زَوْجَكِ فِي الوَغَى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا

فتأويل الكلام على هذه القراءة: فعسى الله أن يأتي بالفتح المؤمنين، أو أمر من عنده يُديلهم به على أهل الكفر من أعدائهم، فيصبح المنافقون على ما أسرُّوا في أنفسهم نادمين= وعسى أن يقول الذين آمنوا حينئذ: أهؤلاء الذين أقسموا بالله كذبًا جهدَ أيمانهم إنهم لمعكم؟

١٠٠١. فيها تقريع لليهود، واستهزاء بالمنافقين، ولهذا خاطب المؤمنون اليهود على سبيل التقريع والتوبيخ بعد ما هزموا ودارت الدائرة عليهم، مشيرين إلى المنافقين بهذا الاستفهام: استهزاءً بهم وإنكارا لصنيعهم واستبعادا له.

١٠٠٢. عبر باسم الإشارة الدال على البعد ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْۚ ﴾ لبيان بُعد المنافقين في الضلال، والكذب، وسوء الطوية. والمعنى: أَهؤُلاءِ البعداء البغضاء هم الذين حلفوا لكم باللهِ مغلظين الأَيمان، مجتهدين فيها؛ إنهم ليكونون معكم بالعون والنصر على محمَّد إذا قاتلتموه؟

١٠٠٣. الْفَائِدَةُ فِي أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُونَ هَذَا الْقَوْلَ؛ هُوَ أَنَّهُمْ يتعجبون من حال المنافقين عند ما أَظْهَرُوا الْمَيْلَ إِلَى مُوَالَاةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَقَالُوا: إِنَّهُمْ يُقْسِمُونَ بالله جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ أَنَّهُمْ مَعَنَا وَمِنْ أَنْصَارِنَا، فَالْآنَ كَيْفَ صَارُوا مُوَالِينَ لِأَعْدَائِنَا مُحِبِّينَ لِلِاخْتِلَاطِ بِهِمْ وَالِاعْتِضَادِ بِهِمْ؟ (أفاده الرازي).

١٠٠٤. تفيد أن من صفات المنافقين كثرة الحلف الكاذب، حتى إنهم يفعلون ذلك يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ [المجادلة: ١٨].

١٠٠٥. تفيد أن القسم يكون بالله جل وعلا وحده، ولذلك قال رسول الله ﷺ: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) صحيح، رواه أحمد والحاكم وصححه. "الإرواء: (٢٥٦١)".

١٠٠٦. قوله: ﴿أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ يدل على أن المنافقين يظهرون أنهم يعظمون اليمين ويأتون بأبلغها وأشدها ويكثرون منها ولكن دون جدوى لأنهم يحلفون بألسنتهم فقط، نعوذ بالله من ذلك.

١٠٠٧. تفيد أن سبب أيمان المنافقين وبيان أنهم مع المؤمنين هو خَوْفَهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، ورَغْبَتهمْ فِي إِرْضَائِهِمْ، وَإِعْرَاضِهِمْ عَنْهُمْ بِأَنْ لَا يُؤْذُوهُمْ، وَلِذَا حَلَفُوا لَهُمْ، لِيُرْضُوهُمْ، وَلِيُعْرِضُوا عَنْهُمْ، خَوْفًا مِنْ أَذَاهُمْ".(أفاده الشنقيطي).

١٠٠٨. تفيد أن المنافقين يحاولون دائما إظهار أنهم من المسلمين وأنهم معهم قلبا وقالبا بالاجتهاد في الحلف الكاذب وغيره من أساليب المراوغة والمكر.

١٠٠٩. الآية الكريمة تنعى على المنافقين كذبهم وجبنهم، وتعجب الناس من طباعهم الذميمة، وأخلاقهم المرذولة.

١٠١٠. فيها تشنيع على أهل النفاق وتبكيت لهم بتفويت الخير الزائف الذي كانوا يرجونه من الكافرين لقوله: ﴿حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ﴾.

١٠١١. فيها تأكيد على أن معية الباطل التي يختارها المنافقون، لن تنفعهم، ولن تعود عليهم بخير، وأن مآلهم إلى شقاء وعذاب.

١٠١٢. عَبَّرَ بِالإِصْبَاحِ؛ فِي قوله: ﴿فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ﴾ لِأَنَّهُ لا أَقْبَحَ مِن مُصابَحَةِ السُّوءِ؛ لِما فِي ذَلِكَ مِنَ البَغْتَةِ؛ بِخِلافِ ما يُنْتَظَرُ ويُؤَمَّلُ.

١٠١٣. تفيد أن النفاق محبط للعمل، ومن حبط عمله كان من الخاسرين في الدارين خسروا الدنيا بافتضاحهم، والآخرة بالعذاب، وفوات الثواب لقوله: ﴿حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ﴾.

١٠١٤. تفيد التخويف من الذنوب التي تحبط الأعمال ومنها النفاق.

١٠١٥. تفيد أن المؤمنين في الآخرة يجتمعون على المنافقين وإن كانوا ربما اختلفوا فيهم في الدنيا فئتين وربما كان بعضهم مغرورا بهم وبأيمانهم الباطلة.

١٠١٦. فيها إرشاد وتبصير لأهل الإيمان أن يتبصروا في أمرهم وأن يتحدوا ولا يغتروا بالمنافقين وأيمانهم، وأن لا يكونوا فيهم فئتين، لأن خطورة المنافقين إنما تبرز إذا اختلف المؤمنون فيهم وفي شأنهم.

١٠١٧. اشتملت هذه الآية وما قبلها على ضروب من توكيد النهي عن موالاة أعداء الله – تعالى– بأساليب متعددة:

منها: النهي الصريح كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾.

ومنها: بيان علة النهي كما في قوله: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾.

ومنها: التصريح بأن من يواليهم فهو منهم وذلك في قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ﴾.

ومنها: تسجيل الظلم على من يواليهم كما في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

ومنها: الإخبار بأن موالاتهم من طبيعة الذين في قلوبهم مرض قال تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾.

ومنها: قطع أطماع الموالين لهم وتبشير المؤمنين بالفوز قال تعالى: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾.

ومنها: الإخبار عن حال الموالين لهم بقوله: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ﴾.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

١٠١٨. مناسبة الآية لما قبلها: لما سبق النهي عن موالاة اليهود والنصارى، والتأكيد على أن موالاتهم ردة محبطة للعمل، جاء في هذه الآية بيان حال المرتدين، وتشنيع جرمهم، والتأكيد على بغض الله لهم.

١٠١٩. وصـــفهم بالإيمان في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ لبيان أهمية الإيمان ومنزلته، وأهمية زيادته، وتعميقه في النفوس؛ لأنه من أهم الأسباب التي به تنال محبة الله تعالى.

١٠٢٠. تفيد: أنه يجب إيثار الإيمان بالله عن غيره، ولو كان ملء الأرض ذهبا؛ لقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ﴾ يريد: لا ترتدوا بعد وصف الإيمان، فلا شيء يساوي الإيمان بالله فيحملكم على تركه والارتداد.

١٠٢١. تفيد بدلالة السياق أنَّ اتِّخاذَ اليَهُودِ والنَّصارى أوْلِياءَ ذَرِيعَةٌ لِلارْتِدادِ، لِأنَّ اسْتِمْرارَ فَرِيقٍ عَلى مُوالاةِ اليَهُودِ والنَّصارى مِنَ المنافِقِينَ وضُعَفاءِ الإيمانِ يُخْشى مِنهُ أنْ يَنْسَلَّ عَنِ الإيمانِ فَرِيقٌ.

١٠٢٢. تفيد التنفير من الكفر والردة إليه بعد الإيمان، فهو من أعظم الأســـباب الجالبة لغضبه تعالى وكان النبي ﷺ يقول: "اللهم إني أعوذ بك من الحور بعد الكور". رواه مسلم.

١٠٢٣. قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ﴾ فيها إشـــارة إلى أن من الذين دخلوا في الإسلام من سيرتد عنه إلى غيره من الكفر والضلال، وقد كان الأمر كما أشارت الآية الكريمة فقد ارتد عن الإســـلام بعض القبائل، قال الآلوســـى: هذه الآية من الكائنات التي أخبر عنها القرآن قبل وقوعها- وقد وقع المخبر به على وفقها فيكون معجزا.

١٠٢٤. تفيد أن القلوب الخاوية من الإيمان، المريضة بالكفر سرعان ما تتعلق بالباطل وتهوى الانحراف عن الحق.

١٠٢٥. فيها أن الردة هي الخروج عن دين الإســـلام إلى غيره من الأديان الباطلة، ولا يعد مرتدا من خرج من اليهودية إلى النصرانية أو العكس، أو من دين غير الإسلام إلى غيره بدلالة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

١٠٢٦. تفيد قوة ارتباط المسلم بالدين وتمسكه به؛ لقوله ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ فأضافه إليه ليزداد تمسكا به، ولم يقل مثلا عن الإسلام أو عن الدين.

١٠٢٧. في الآية تهديد لكل من يرتد عن الدين بأي طريقة كانت سواء بالإنقاص من الدين، أو بقبول العلمانية، وتغيير أحكام الشريعة. لأن الردة قد تكون عن أصل الإسلام، كالغالية من النصيرية والإسماعيلية فهؤلاء مرتدون باتفاق أهل السنة والشيعة، وقد تكون عن بعض الدين، كحال أهل البدع، الرافضة وغيرهم.

١٠٢٨. قوله ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ يفيد أنه لا يرتد أحد عن الدين إلى يوم القيامة إلا أقام الله قوما يحبهم ويحبونه، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، يجاهدون هؤلاء المرتدين.

١٠٢٩. تفيد: أن دين الله منصور ومؤيد بك أو بغيرك، وأنه سَيَكُون لَهَ أتْباعٌ وأنْصارٌ وإنْ صَدَّ عَنْهُ مَن صَدَّ فالله حافظه، ورافع ومعز من ينصره.

١٠٣٠. لفظ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ﴾ جيء به هنا لتأكيد وقوع الأمر في المستقبل، إذا ما ارتد بعض الناس على أدبارهم.

١٠٣١. تفيد بيان قدرة الله تعالى في إهلاك، وإذهاب الأمم المخالفة والمبدلة لدينه.

١٠٣٢. تفيد أن الله تعالى غني عن العالمين، وأنه من يرتد عن دينه فلن يضر الله شيئا، وإنما يضر نفسه.

١٠٣٣. تفيد أن لله عبادا مخلصين، ورجالا صادقين، قد تكفل الرحمن الرحيم بهدايتهم، ووعد بالإتيان بهم، وأنهم أكمل الخلق أوصافا، وأقواهم نفوسا، وأحسنهم أخلاقا، أجلُّ صفاتهم أن الله يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ.

١٠٣٤. قوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ﴾ لفظ مطلق، ليس فيه تعيين، وهو متناول لمن قام بهذه الصفات كائنا ما كان.

١٠٣٥. تفيد إثبات الأفعال الاختيارية لله تعالى، وفي هذا رد على متكلمي الأشاعرة وغيرهم الذين ينكرون أن تكون لله أفعالا اختيارية، فأثبت هنا بـــــ ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي﴾ المســـتقبلية أفعاله الاختيارية.

١٠٣٦. تفيد إثبات المحبة من الله؛ ولله، فالله يحب المؤمنين ويبغض المرتدين ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ﴾ ومَذْهَبُ السَّـــلَفِ في المَحبَّةِ المسْـــنَدَةِ لَهُ تَعالى أنَّها ثابِتَةٌ لَهُ تَعالى بِلا كَيْفٍ ولا تَأْوِيلٍ، ولا مُشارَكَةٍ لِلْمَخْلُوقِ في شَيْءٍ مِن خَصائِصِها.

١٠٣٧. قوله ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ قدم- ســـبحانه- محبته لهم على محبتهم له، لشرفها وسبقها، إذ لولا محبته لهم لما وصلوا إلى طاعته.

١٠٣٨. تفيد أن محبة الله للعبد هي أجل نعمة أنعم بها عليه، وأفضل فضيلة، تفضل الله بها عليه، فإذا أحب الله عبدا يسر له الأسباب، وهون عليه كل عسير، ووفقه لفعل الخيرات، وترك المنكرات، وأقبل بقلوب عباده إليه بالمحبة والوداد.

١٠٣٩. فيها أن محبة الله تعالى، والرحمة بعباده، والعزة على أعدائه، والجهاد في ســـبيله، والصدع بالحق من أعظم أسباب الثبات على دين الله تعالى.

١٠٤٠. تفيد أن محبة الله تقوي قلب العبد، وبها يقدم على الأمور العظام، كالجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١٠٤١. فيها أن القلوب بيد الله تعالى يقلبها كيف يشاء، فينتج عن ذلك المحبة والبغض.

١٠٤٢. قوله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ﴾ فيها نعت المحبين المحبوبين بوصـــف الكمال، الذي نعت الله به رســـوله الجامع بين معنى الجلال والجمال، المفرق في الملتين قبلنا: وهو الشـــدة والعزة على أعداء الله، والذلة والرحمة لأولياء الله ورسوله. (مجموع الفتاوى ٢/٤٥٤).

١٠٤٣. في الآية أن محبة الله للعبد، وحب العبد لله علامتها الذلة على المؤمنين، والعزة على الكافرين والجهاد في سبيل الله.

١٠٤٤. فيها إيماء إلى أن صفاتهم تُسيِّرُها آراؤهم الحصيفة فليسوا مندفعين إلى فعل مّا إلاّ عن بصيرة، وليسوا ممّن تنبعث أخلاقه عن سجية واحدة بأن يكون ليّناً في كلّ حال، وهذا هو معنى الخلق الأقوم، وهو الّذي يكون في كلّ حال بما يلائم ذلك الحال.

١٠٤٥. تفيد أن من صِفَات الْمُؤْمِنِين الكُمَّل أَنْ يَكُونَ أَحدُهُمْ مُتَوَاضِعًا لِأَخِيهِ وَوَلِيِّهِ، مُتَعَزِّزًا عَلَى خَصْمِهِ وَعَدُوِّهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [الفتح: ٢٩].

١٠٤٦. فيها أن الغلظة والشدة على أعداء الله مما يقرب العبد إلى الله، ويوافق العبد ربه في سخطه عليهم، ولا تمنع الغلظة عليهم والشدة دعوتهم إلى الدين الإسلامي بالتي هي أحسن، فتجتمع الغلظة عليهم، واللين في دعوتهم، وكلا الأمرين من مصلحتهم ونفعه عائد إليهم.

١٠٤٧. تفيد أنَّ المؤمِنَ يَجِبُ عَلَيْهِ أنْ لا يَلِينَ إلّا في الوَقْتِ المناسِبِ لِلّينِ، وألّا يَشْتَدَّ إلّا في الوَقْتِ المناسِبِ لِلشّدَّةِ، لِأنَّ اللِّينَ في مَحَلِّ الشِّدَّةِ ضَعْفٌ، وخَوَرٌ، والشِّدَّةَ في مَحَلِّ اللِّينِ حُمْقٌ، وخَرَقٌ، وقَدْ قالَ أبُو الطَّيِّبِ المتَنَبِّي:

إذا قِيلَ حِلْمٌ قُلْ فَلِلْحِلْمِ مَوْضِعٌ *** وحِلْمُ الفَتى في غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَهْلُ

١٠٤٨. قال الطيبي: إن قوله تعالى: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ جيء به للتكميل، لأنه لما وصفهم قبل ذلك بالتذلل، ربما يتوهم أحد أنهم أذلاء محقرون في أنفسهم فدفع ذلك الوهم بأنهم مع ذلتهم على المؤمنين، أعزة على الكافرين على حد قول القائل:

جلوس في مجالسهم رزان وإن ضيم ألم بهم خفاف

١٠٤٩. وفيها أن القوة والعزة بالدّين وليس بالذوات أو الألوان والأجسام.

١٠٥٠. تفيد أن المنافقين يكرهون الله؛ لأنهم أعزة أشداء على المؤمنين، أذلة على الكافرين.

١٠٥١. تفيد مدح التواضع، وخفض الجناح للمؤمنين.

١٠٥٢. قوله ﴿ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ فيها بيان فضيلة الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله عن طريق قتال أعدائه- سبحانه- أو عن طريق الجهر بكلمة الحق، أو عن طريق إحقاق الحق وإبطال الباطل- دون أن يخاف المجاهد لومة لائم.

١٠٥٣. فيها: أهمية الإخلاص في الأعمال والأقوال كلها ﴿ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾.

١٠٥٤. فيها أن الحق أبلج، فما دام الانسان عليه فلا تأخذه في الله لومة لائم لقوله ﴿ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ﴾.

١٠٥٥. تفيد أن من صفات المؤمن الحق أنه لا يخاف فِي اللَّهِ لَوْمَ النَّاسِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ كَانُوا يُرَاقِبُونَ الْكُفَّارَ وَيَخَافُونَ لَوْمَهُمْ، وَرُوِّينَا عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: "بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَأَنْ نَقُومَ أَوْ نَقُولَ بِالْحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ" أخرجه البخاري ومسلم.

١٠٥٦. تفيد أنَّ خَوفَ المِلامَةِ لَيسَ عُذْرًا في تَرْكِ أمْرٍ شَرْعِيٍّ.

١٠٥٧. تفيد أن أهل الإيمان يقدمون رضا ربهم، والخوف من لومه على لوم المخلوقين، وهذا يدل على قوة هممهم وعزائمهم، فإن ضعيف القلب ضعيف الهمة، تنتقض عزيمته عند لوم اللائمين، وتفتر قوته عند عذل العاذلين.

١٠٥٨. تفيد الثناء على المعتزين بدينهم؛ الأقوياء بشخصياتهم أمام أعداء الملة والدين.

١٠٥٩. عبر- سبحانه- بـ ﴿ لَوۡمَةَ ﴾ بصيغة الإفراد والتنكير، للمبالغة في نفي الخوف عنهم سواء أصدر اللوم لهم من كبير أم من صغير. وسواء أكانت اللومة شديدة أم رفيقة، فهم صلاب في دينهم، إذا شرعوا في أمر من أمور الدين لإنكار منكر أو أمر بمعروف- مضوا فيه كالمسامير المحماة، لا يرعبهم قول قائل، ولا اعتراض معترض، ولا لومة لائم.

١٠٦٠. قوله ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ تفيد أنه لما مدحهم تعالى بما منَّ به عليهم من الصفات الجليلة والمناقب العالية، المستلزمة لما لم يذكر من أفعال الخير -أخبر أن هذا من فضله عليهم، وإحسانه لئلا يعجبوا بأنفسهم، وليشكروا الذي مَنَّ عليهم بذلك ليزيدهم من فضله، وليعلم غيرُهم أن فضل الله تعالى ليس عليه حجاب.

١٠٦١. فيها أن من سعى في الخير فليبشر بالخلف والجود من أجود الأجودين سبحانه.

١٠٦٢. فيها حث على سؤال الله من فضله.

١٠٦٣. فيها أن فضل الله أعم وأشمل من أن يكون في مادة، بل إن فعل الأمر واجتناب النهي من أعظم ما يتفضل الله به على العبد.

١٠٦٤. تفيد أن فضل الله تعالى على عباده كبير، ومنه الاصطفاء بهذه الخصال الجميلة والنعوت الجليلة، والله ذو الفضل العظيم.

١٠٦٥. قوله ﴿يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ تفيد إثبات المشيئة لله ﷻ؛ فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

١٠٦٦. تفيد أن الله ﷻ واسع الفضل والإحسان، جزيل المنن، قد عمت رحمته كل شيء، ويوسع على أوليائه من فضله، ما لا يكون لغيرهم، ولكنه عليم بمن يستحق الفضل فيعطيه، فالله أعلم حيث يجعل رسالته أصلا وفرعا.

١٠٦٧. التذييل في الآية لافت بديع إذ ينسحب على كل الصفات السابقة يحبهم- يحبونه- أذلة على المؤمنين- أعزة على الكافرين- يجاهدون - لا يخافون في الله، فمن استجمع هذه الصفات جميعها فذلك فضل واسع ورزق سابغ ولذا يتناسب العجز في الآية مع المضمون والصدر وهذا فيه من البلاغة القرآنية ما فيه

١٠٦٨. فيها: إثبات العلم لله، وسعة إحاطته بكل شيء، لقوله ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴾ [المائدة: ٥٥].

١٠٦٩. مناسبة هذه الآية لما قبلها؛ أنه لما نهى عن ولاية الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم، وذكر مآل توليهم أنه الخسران المبين، أخبر تعالى مَن يجب ويتعين توليه.

١٠٧٠. أداة الحصر في قوله ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ تدل على أنه يجب قصر الولاية على المذكورين، والتبري من ولاية غيرهم. أي: إنما وليكم الجدير بالولاء، هو الله وحده، وكذلك رسوله والمؤْمنون.

١٠٧١. تدل على ولاية الله لعباده المؤمنين، وتحرضهم على الاستنصار بالله ورسوله والمؤْمنين، وتحذرهم من موالاة مَنْ تَجُرُّهُ مصافاته لغير المسلمين إلى الردة عن دين الله.

١٠٧٢. تفيد أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض أي أن كل من كان مؤمنا، فهو نصير لجميع المؤمنين.

١٠٧٣. فيها أن من كان وليا لله فهو ولي لرسوله، ومن تولى الله ورسوله كان تمام ذلك تولي من تولاه.

١٠٧٤. قوله: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ ﴾ بالإفراد ولم يقل أولياؤكم - مع أَنهم في الآية جمع: الله، ورسوله، والذين آمنوا - لبيان أن الولاية حقًّا - وفي الأصل - لله تعالى وحده، والاستعانة بالرسول صلى الله عليه وسلم، وبالمؤْمنين الصادقين، بطريق تبعيتها للاستعانة باللّٰهِ تعالى. قال شيخ الإسلام: "جعل موالاتهم كموالاة الله ورسوله، وموالاة الله ورسوله لا تتم إلا بطاعة أمره. وكذلك المؤمنون لا تتم موالاتهم إلا بطاعة أمرهم، وهذا لا يكون إلا إذا كان أمرهم أمرا متفقا" (منهاج السنة ٧/٣١).

١٠٧٥. هذه الآية هي عمدة الرافضة في الإمامة والولاية وهم كذبة في ذلك، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية (أجمع أهل العلم بالنقل على أنها لم تنزل في علي بخصوصه، وأن علياً لم

يتصدق بخاتمه في الصلاة، وأجمع أهل العلم بالحديث على أن القصة المروية في ذلك من الكذب الموضوع) وقال (وجمهور الأمة لم تسمع هذا الخبر، ولا هو في شيء من كتب المسلمين المعتمدة: لا الصحاح ولا السنن و لا الجوامع ولا المعجمات، ولا شيء من الأمهات) [منهاج السنة]

١٠٧٦. قوله ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴾ قال شيخ الإسلام: "فهذا السياق، مع إتيانه بصيغة الجمع، مما يوجب لمن تدبر ذلك علما يقينا لا يمكن دفعه عن نفسه: أن الآية عامة في كل المؤمنين المتصفين بهذه الصفات، لا تختص بواحد بعينه: لا أبي بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي، ولا غيرهم، لكن هؤلاء أحق الأمة بالدخول فيها.. (منهاج السنة ٧/١٨-٢٠).

١٠٧٧. فيها بيان قيمة الصلاة إذ عبر بها بدلا عن الإيمان كأنها شعاره.

١٠٧٨. فيها: وجوب صلاة الجماعة لقوله ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

١٠٧٩. تفيد أثر الصلاة في نيل ولاية الله عز وجل.

١٠٨٠. فيها دخول العمل في مسمى الإيمان خلافا لمرجئة الفقهاء.

١٠٨١. تدل على أهمية الصدقة ومكانتها عند رب العالمين لقوله ﴿وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾.

١٠٨٢. تفيد أثر الزكاة في نيل ولاية الله عز وجل.

١٠٨٣. تفيد استمرار أولياء الله تعالى في إقامة الصلاة وايتاء الزكاة؛ لقوله: ﴿ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ بصيغة المضارع التي تدل على الاستمرار والمداومة.

١٠٨٤. تفيد فضل الركوع؛ لتخصيصه بالذكر من بين أركان الصلاة.

١٠٨٥. تفيد أن أهل الإيمان يؤدون الصلاة على أكمل وجه؛ لقوله: ﴿ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي يؤدونها في أوقاتها، كاملة الأركان والشروط.

١٠٨٦. خص الصلاة والزكاة - دون سائر العبادات - لأهميتهما من بين العبادات؛ لأَن الصلاة حق الله على عباده، والزكاة حق الفقراء على الأغنياء. فهما قرينتان في كتاب الله عز وجل، ففي الصلاة يتجلى إيمان المؤمن تجاه خالقه، وفي الزكاة يتجلى إيمان المؤمن تجاه أخيه، كما يتجلى فيها شكره لرازقه، ولذلك قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: والله لاقتلن من فرق بين الصلاة والزكاة. رواه البخاري ومسلم.

١٠٨٧. تبين فضل الخضوع لله سبحانه وتعالى؛ إذ الركوع قد يطلق بمعنى الخضوع لله- تعالى.

١٠٨٨. المراد بذكر هذه الصفات تمييز المؤمنين عن المنافقين، لأن المنافقين كانوا يدعون أنهم مؤمنون إلا أنهم لم يكونوا يداومون على فعل الصلاة، والزكاة فوصف الله تعالى المؤمنين بأنهم يقيمون الصلاة يعني بتمام ركوعها وسجودها في مواقيتها، ويؤتون الزكاة يعني ويؤدون زكاة أموالهم إذا وجبت عليهم.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦].

١٠٨٩. فيها أنّ ولاية الله عزّ وجل ورسوله والمؤمنين توجب لصاحبها النصر والغلبة على الأعداء، وإن أديل عليه في بعض الأحيان لحكمة يريدها الله تعالى، فآخر أمره الغلبة والانتصار، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣]، وهذه بشارة عظيمة، لمن قام بأمر الله.

١٠٩٠. تبين أن ولاية المؤمنين من ولاية الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

١٠٩١. وضعت هذه الآية على وجازتها المعايير المطلوبة لحزب الله الذي سيتولاه، وينصره، ويعلي شأنه. وهي ولاية الله، ورسوله، والمؤمنين، فولاية الله بأن يطيعه ويتوكل عليه، وولاية رَسُوله بأن يتبعه ويتأسى به، وولاية المؤمنين بأن يناصرهم ويشد أزرهم، ويتعاون معهم على البر والتقوى.

١٠٩٢. تفيد أن الله تعالى قد يعد المسلمين بالغلبة والنصر لتثبيت قلوبهم، وصرفها عن العوائق التي تهزم النفس، فاذا استيقنوا العاقبة قويت قلوبهم على اجتياز المحنة وتخطي العقبة.

١٠٩٣. تفيد أن الولاء والبراء سبب في الغلبة والنصر كما قال سبحانه ﴿لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٥].

١٠٩٤. يفيد تقديم ولاية الله سبحانه وتعالى أنها الأصل في الولاية، وولاية رسوله صلى الله عليه وسلم، وولاية المؤمنين تأتي تبعا لولايته تعالى.

١٠٩٥. تفيد أهمية اجتماع المؤمنين في جماعة واحدة، بأن يكونوا في حزب الله فقط لا في غيره فهذا من أسباب النصر والغلبة.

١٠٩٦. قوله- سبحانه- ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ ولم يقل حزب الله ورسوله، للإشارة إلى اتحادهما لأن حزب الرسول صلى الله عليه وسلم هم حزب الله تعالى.

١٠٩٧. وفي قوله- تعالى- ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ وضع الظاهر موضع الضمير تنويها بذكرهم، وتعظيما لشأنهم، وتشريفا لهم بهذا الاسم، وتعريضا لمن يوالى غير هؤلاء بأنه حزب الشيطان.

١٠٩٨. فيها أن ولاية أهل الكفر من أسباب الهزيمة والخسران.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧].

١٠٩٩. نداؤهم بوصف الإيمان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يدل على أهمية تحقيق الولاء والبراء، وأنه من خصال الإيمان، بل هو أوثق عرى الإيمان كما بين النبي صلى الله عليه وسلم.

١١٠٠. فيها النهي والتحذير عن موالاة أعداء الله تعالى، سواء أكانوا من أهل الكتاب أم من المشركين لأن الجميع يشتركون في الاستهزاء بتعاليم الإسلام، وفي العبث بشعائره.

١١٠١. التعبير عنهم بالاسم الموصول ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا ﴾ تحقيرا لهم، وتقليلا لشأنهم.

١١٠٢. فيها أن من صفات أعداء الإسلام الاستهزاء به وبأهله.

١١٠٣. تدل على وجوب الدفاع عن الدين، والذب عن شعائره، وحمايته ممن ينال به هزوا ولعبا.

١١٠٤. فيها بمفهوم المخالفة أن الخوف من الله تعالى، وتعظيم شعائر الدين من دلائل الإيمان.

١١٠٥. تفيد أن الدين من المقدسات التي لا يجوز التهاون بجنابها، وعزتها، وسموها، ﴿ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ ولذا جعل الاستهزاء بشيء منها من نواقض الإسلام؛ لقوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ ﴾ [التوبة: ٦٦].

١١٠٦. تفيد أنه سيكون من هذه الأمة من يتخذ آيات الله هزوا ولعبا كحال أهل الكتاب وغيرهم من الكفار الذين سبقوا هذه الأمة، لقوله ﷺ "لتتبعن سنن من كان قبلكم...." متفق عليه. وهذا يدل على سعة علمه تعالى وعظمته.

١١٠٧. تقديم صفة اتخاذهم ديننا هزوا ولعبا قبل إيتائهم الكتاب في قوله﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ يوضح أنها صفة متأصلة فيهم.

١١٠٨. فيها فضح الله المشركين واليهود، ومن شايعهم على استهزائهم لكتاب الله وما نزل من الحق.

١١٠٩. فيها كشف لما تنطوي عليه قلوب اليهود والنصارى كي يحذرهم المؤمنون ولا يوالونهم.

١١١٠. في وصفهم ب ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ توبيخ لهم، حيث إنهم استهزءوا بالدين الحق، مع أن كتابهم ينهاهم عن ذلك.

١١١١. قوله ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ فيها أن العلم قد يكون وبالا على صاحبه، فهؤلاء أوتوا الكتاب، ولم يهتدوا بما في هذا الكتاب.

١١١٢. فيها أن اليهود والنصارى لم يتشربوا الكتاب بل أوتوه ولا يجاوز تراقيهم.

١١١٣. ضمهم مع الكفار في قوله ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ﴾ تشنيع عليهم إذ إنهم أوتوا من العلم ما لم يؤت الكفار.

١١١٤. بدأت الآية بالإيمان وختمت به لبيان أن موالاة الكفار والمشركين تنافي الإيمان.

١١١٥. فيها أن من تقوى الله عز وجل، تعظيم دينه، والبراء والبغض للمستهزئين به.

١١١٦. قوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ تذييل قصد به استنهاض هممهم لامتثال أمر الله- تعالى-، وإلهاب نفوسهم حتى يتركوا موالاة أعدائهم بسرعة ونشاط؛ لأن الإيمان الحقيقي هو المقتضي للتقوى.

١١١٧. تفيد ارتباط الإيمان بالتقوى، فهما شرطا الولاية لله سبحانه وتعالى كما في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

١١١٨. التعبير بـــ ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ تحفيز لهم على ترك اتخاذ هؤلاء أولياء، ففيها إثارة وتحريض لكل من له حمية من أهل الإيمان أنه إذا أهين دينه، أن يغضب لذلك، لأنه كيف يكون ولاء بين المؤمن الغيور وبين أحد من هؤلاء الذين يستهزئون بدين الإسلام.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ٥٨].

١١١٩. مناسبة الآية لما قبلها: أنه لما سبق ذكر أنهم اتخذوا دين أهل الإسلام هزوا ولعبا، جاء في هذه الآية بيان بعض ما اتخذوه هزوا ولعبا من تشريعات هذا الدين، وهو عماد هذا الدين وأحد أركانه الوثيقة وهو النداء إلى الصلاة.

١١٢٠. في الآية دليل على مشروعية الأذان للصلاة، وبيان فضله، لارتباطه بالصلاة، وقد عد العلماء المؤذن من الدعاة إلى الله تعالى.

١١٢١. فيها إشارة إلى أن النداء لشعيرة الصلاة يغيظ الكفار وأعداء هذا الدين.

١١٢٢. فيها تأكيد على كفر يهود الذي يهزؤون من ذكر الله، والدعوة لتعظيمه والخضوع بين يديه.

١١٢٣. فيها تشنيع ووعيد شديد لكل من استهزأ بشرع الله.

١١٢٤. فيها تعظيم لشأن الصلاة، وتشنيع على من يحاول الانتقاص من قدرها.

١١٢٥. معرفة الأعداء بأهمية الصلاة، وأثرها في صلاح حال المؤمنين تغيظهم مما يجعل ردود أفعالهم شنيعة وغير معقولة حيال هذه الشعيرة.

١١٢٦. الموافقة والموالاة ظاهرة فيما بين الأعداء والشيطان وفي أدق الأمور، ومن ذلك حالهم حيال الأذان، ويدل على حال الشيطان ما ثبت في الصحيحين" إذا سمع الأذان أدبر وله حصاص، أي: ضراط حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضي التأذين أقبل، فإذا ثوب بالصلاة أدبر، فإذا قضي التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء وقلبه، فيقول: اذكر كذا، اذكر كذا، لما لم يكن يذكر، حتى يظل الرجل إن يدري كم صلى، فإذا وجد أحدكم ذلك، فليسجد سجدتين قبل السلام". متفق عليه.

١١٢٧. فيها بيان حال الكفار، وشدة معاداتهم للدين الإسلامي، وهذا مما يوجب علينا بغضهم وعداوتهم.

١١٢٨. فيها تهييج على عداوة هؤلاء البغضاء الذين يستهزئون بشعائر ديننا، وبيان أن من لم يعادهم بعد هذا فالإسلام عنده رخيص، وأنه لا يبالي بمن قدح فيه أو قدح بالكفر والضلال، وأنه ليس عنده من المروءة والإنسانية شيء. فكيف تدعي لنفسك دينا قيما، وأنه الدين الحق وما سواه باطل، وترضى بموالاة من اتخذه هزوا ولعبا، وسخر به وبأهله، من أهل الجهل والحمق؟!

١١٢٩. تفيد خاتمة الآية: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ تحقيرا لهؤلاء إذ ليس في النداء إلى الصلاة ما يوجب الاستهزاء؛ فجعله موجبا للاستهزاء سخافة لعقولهم.

١١٣٠. حذف المعمول في قوله: ﴿ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ لإفادة العموم فهم لا يعقلون فضل الصلاة والنداء لها، والحرص عليها، والمسارعة إليها، ولا يعقلون ما لهم في إجابتهم إن أجابوا، وما عليهم في استهزائهم ولعبهم بالمؤمنين وشعائر الدين.

١١٣١. تبين أن امتهان الأعداء لشعائر العبادات، وأماكنها وأزمنتها علامة على فساد عقولهم.

١١٣٢. تفيد أن الاهتمام بأمر الصلاة من كمال العقل ومن لم يهتم بأمرها فهو من أهل الطيش والسفه.

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٥٩].

١١٣٣. مناسبة الآية لما قبلها: أنه لما سبق نهي المؤمنين عن تولي المستهزئين من أهل الكتاب، جاء في هذه الآية الرد على المستهزئين من أهل الكتاب؛ بكشف عوارهم وبيان سبب استهزائهم.

١١٣٤. فيها إثبات نبوة النبي ﷺ من قوله تعالى: ﴿ قُلْ ﴾ فكل ما يأتي به حق من الله تعالى.

١١٣٥. تفيد تأييد الله تعالى لنبيه ﷺ، وذلك من وجهين:

أحدهما: كشف ما تكنه صدور أعدائه من عداوة، وبغض له ولدينه وللمؤمنين.

والثاني: تلقينه الحجج البالغة والبراهين الدامغة؛ ليقوم بمجادلة أهل الكتاب بحق ظاهر ويقين راسخ.

١١٣٦. النداء بـ ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ يشير إلى أهمية الحوار والمجادلة مع أهل الكتاب في الدعوة إلى الله، وبيان الحق لهم مع شدة عداوتهم وإعراضهم.

١١٣٧. فيها مزيد تبكيت للذين كفروا من أهل الكتاب، يتجلى ذلك بوصفهم بأنهم أهل الكتاب الذي أنزله الله عليهم؛ ليؤمنوا بكل ما فيه، فخالفوه وخالفوا ما جاء به.

١١٣٨. في وصفهم بأهل الكتاب استنهاض لهم فهم أحق بالإيمان من غيرهم لما عندهم من المعرفة.

١١٣٩. فيها أن العداوة مع أهل الكتاب هي عداوة عقدية في الأساس، وليس عداوة أرض كما يزعم البعض، لقوله ﴿ هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلُ ﴾.

١١٤٠. فيها شدة عداوة أهل الكتاب لأهل الإيمان والإسلام.

١١٤١. الاستفهام يفيد التعجب من الدافع لنقمتهم هذه، حيث يعيبون على المؤمنين ما هو في الحقيقة مدح، وثناء، لعلمهم أن المؤمنين على الحق، وأنهم على الباطل.

١١٤٢. تفيد إثبات علو الله تعالى على خلقه لقوله﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلُ ﴾ فالنزول يكون من أعلى إلى أسفل.

١١٤٣. فيها أنّ إيمان المؤمنين شامل للرسالات الإلهية كلها، فهم يؤمنون بما أُنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وما أُنزل على الرسل من قبله، لقوله لقوله ﴿ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلُ ﴾.

١١٤٤. فيها تنويه بالمؤمنين الذين آمنوا بكل ما جاءهم من ربهم، كما آمنوا بالذي أنزل على الأنبياء الذين جاؤوا قبلهم، بما في ذلك التوراة والإنجيل.

١١٤٥. فيها أن شرع من قبلنا شرع لنا إلا ما خصص لقوله ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلُ ﴾.

١١٤٦. فيها فضيلة هذه الأمة؛ لكونها تؤمن بالله، وما أُنْزِل إليها، وما أُنْزِل من قبل.

١١٤٧. تفيد أن الإيمان بالله عز وجل هو أصل الإيمان؛ ولذلك قدم على غيره.

١١٤٨. فيها طمأنة لنفوس المؤمنين، ودعوة لهم لأن يثبتوا على الحق برغم كيد الكائدين واستهزاء المستهزئين.

١١٤٩. فيها تعليم محاسن الأجوبة وقواطعها على شبه المخالفين فماذا ينقم أهل الكتاب على من آمن بكتابهم ونبيهم، فما بعده إلا أن ينقموا على أنفسهم.

١١٥٠. فيها محاسن التعريض فسبب نقمة أهل الكتاب على المؤمنين هو أن المؤمنين آمنوا، أما أهل الكتاب فإنهم لم يؤمنوا أصلا بما أنزل إليهم.

١١٥١. فيها محاسن الخطاب المعتدل المفحم، فيا أيها الذين كبر في نفوسهم أن يؤمنوا بما أنزل إلينا إنَّا قد آمنا بما أنزل إليكم فهلا عدلتم وأنصفتم.

١١٥٢. في الآية تسجيل على أهل الكتاب بكمال المكابرة والتعكيس، حيث جعلوا الإيمان بما ذكر موجبا للنقمة، مع كونه في نفسه موجبا للقبول والرضا.

١١٥٣. قوة أسلوب الآية في الإنكار والإفحام بكشف وفضح مدى حسد اليهود يحث المسلمين على استخدام الأساليب القوية في إفحام اليهود بما يتناسب مع مواقفهم، وسوء أدبهم، وشدة استهزائهم، واستفزازهم فمن الحكمة مقابلتهم بما يستحقون.

١١٥٤. فيها أن العلم يهدي إلى الإيمان؛ وأنه لا يتصور بمن ينتسب إلى العلم أن ينقم على المؤمنين.

١١٥٥. فيها أنه ينبغي للمؤمن أن يكون صريحًا فلا يداهن؛ لقوله: ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾، وهذه المقابلة صريحة بوصفهم بالفسق.

١١٥٦. تفيد كثرة الفسق والفجور في أهل الكتاب، لقوله ﴿ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴾ وهذا ظاهر في واقعهم القبيح المليء بكل الرذائل، والقبائح التي يصدرونها للبشرية لتشقى بها.

١١٥٧. فيها عدم الاغترار بالكثرة، لقوله ﴿ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴾.

١١٥٨. فيها أن الفسق سبب من أسباب كراهية الحق والانقياد له، كما قال الحسن: لفسقكم نقمتم علينا ذلك.

١١٥٩. فيها أن الفسق يجعل صاحبه يرى الأمر الحسن قبيحا، والقبيح حسنا.

١١٦٠. فيها عدل الله تعالى حيث لم يصف أهل الكتاب كلهم بالفاسقين، بل قال: ﴿ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ لأنهم أصناف فمنهم من أسلم، وحسن إسلامه.

١١٦١. قوله﴿ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴾ تفيد أن من الكفار من يتصف بالعدل والإنصاف إلا أن الغالب فيهم غير ذلك.

١١٦٢. تفيد أن من الإيمان: أن تؤمن بأن أكثر أهل الكتاب فاسقون؛ قال ابن كثير: وقوله: ﴿ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ معطوف على ﴿ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ ﴾ أي: وآمنا بأن أكثركم فاسقون، أي: خارجون عن الطريق المستقيم.

قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ٦٠].

١١٦٣. في مناسبة هذه الآية لما قبلها: قال السعدي: ولما كان قدحهم في المؤمنين يقتضي أنهم يعتقدون أنهم على شر، قال تعالى: ﴿قُلْ﴾ لهم مخبرا عن شناعة ما كانوا عليه: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ ﴾ الذي نقمتم فيه علينا، مع التنزل معكم﴿ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ﴾ أي: أبعده عن رحمته

﴿وَغَضِبَ عَلَيۡهِ﴾وعاقبه في الدنيا والآخرة ﴿وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المذكورون بهذه الخصال القبيحة﴿شَرٞ مَّكَانٗا﴾ من المؤمنين الذين رحمة الله قريب منهم، ﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾، أي: وأبعد عن قصد السبيل.

١١٦٤. قال ابن عاشور: والمقصود من ذكر ذلك هنا تعيير اليهود المجادلين للمسلمين بمساوي أسلافهم إبكاتاً لهم عن التطاول، على أنّه إذا كانت تلك شنشنتهم أزمانَ قيام الرسل والنبيئين بين ظهرانَيْهم، فهم فيما بعد ذلك أسوأ حالاً، وأجدر بكونهم شرّاً، فيكون الكلام من ذمّ القبيل كلّه، على أنّ كثيراً من موجبات اللّعنة، والغضب، والمسخ قد ارتكبتها الأخلاء، على أنّهم شتموا المسلمين بما زعموا أنّه دينهم فيحقّ شتمهم بما نعتقده فيهم.

١١٦٥. قوله: ﴿قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ﴾ خطاب بصيغة الاستفهام حتى يكون أمكن للنفس، وأحضر للقلب.

١١٦٦. كذلك الجملة الاستفهامية فيها تشويق إلى المخبر به بما يستدعي إقباله، وبما يشعر بكونه أمراً خطراً له شأن وخطر.

١١٦٧. فيها أن الشر ليس على درجة واحدة، بل هو مراتب، وكلما ازداد الشر ازدادت العقوبة، لقوله ﴿قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ﴾.

١١٦٨. قوله ﴿مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ فيها تهكم واستخفاف بهؤلاء السفلة من البشر، ووجهه أن المثوبة بمعنى الثواب الثابت على العمل، وأكثر استعمالها في الخير، وقد استعملت هنا بمعنى العقوبة على طريقة التهكم بهم.

١١٦٩. قوله ﴿مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ تفيد أنه إن كان تحديد الأجر بأنه من الله يزيده عظمة قدرا ونوعا؛ فكذلك تحديد العقوبة بأنها من الله الجبار العزيز المنتقم يزيدها تهويلا وتخويفا.

١١٧٠. قوله ﴿مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ فيها أن العبرة بالمنزلة الحقيقية عند الله وليس عند الناس.

١١٧١. فيها إثبات صفة الغضب لله عز وجل وهي صفة فعلية وليست ذاتية لقوله ﴿ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ ﴾.

١١٧٢. قوله ﴿ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ فيها بيان قدرته سبحانه على مسخ الإنسان قرد أو خنزير، والجعل هنا أمر كوني وليس شرعيا.

١١٧٣. تفيد أن القردة والخنازير من أخس وأحقر الحيوانات، ولذلك مسخهم الله عز وجل قردة وخنازير، قال الجاحظ: ولو لم يكن جعل لهما في صدور العامة والخاصة من القبح والتشويه ونذالة النفس ما لم يجعله لشيء غيرهما من الحيوان لما خصهما الله تعالى بذلك. [الحيوان٤/٣٩]

١١٧٤. تفيد التخويف والتحذير من لعنة الله تعالى، وغضبه وذلك بالحذر من الذنوب التي توجب اللعن، أو الغضب كهذه الذنوب التي وقع فيها أهل الكتاب.

١١٧٥. فيها بدأ الخطاب بصيغة الإفراد﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ ﴾ لاشتراكهم في هذه العقوبة، ثم تحول بصيغة الجمع،﴿ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ ﴾ لتعين جمع منهم، واختصاصهم بهذه العقوبة دون غيرهم.

١١٧٦. قوله ﴿ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ﴾ صرف الضمير عن مخاطبتهم، ليبين أن ذكر هذا الفعل الشنيع ينصرف إليهم حتى لو لم يصرح سبحانه بهم فأصبحوا يعرفون بهذا السوء دون سواهم.

١١٧٧. فيها أن الله تعالى عدّ من عقوبتهم الأليمة أنه جعلهم عبد الطاغوت، لأنه لما حرموا أنفسهم من لذة عبادة الله، واستنكفوا عنها عاقبهم بما يقابل ذلك، والجزاء من جنس العمل، فعبودية المخلوق للمخلوق عقوبة عاجلة وذل لهم فكيف بعبودية أخبث المخلوقات، وأجرئها على حق الله وهو الطاغوت.

١١٧٨. بمفهوم المخالفة تفيد أن عبودية الخالق سبحانه نعمة وكرامة لمن وفقه الله تعالى ذلك.

١١٧٩. تفيد انتشار الشرك وترسخه في أهل الكتاب، منذ عهد قديم، فقد كان منهم من أشرك، وعبد الطواغيت، وفي البقرة ذكر اتباعهم للسحر، وذكر في سورة النساء إيمانهم بهما جميعا بالجبت والطاغوت.

١١٨٠. تفيد كفر من عبد الطاغوت، وقد أمر الله تعالى بالكفر بالطاغوت والإيمان بالله: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

١١٨١. تفيد أن الكبائر بريد الكفر، وسبب للعنة والغضب، وتؤدي إلى عبادة الطاغوت.

١١٨٢. تفيد أن الله لا يؤاخذ إلا من استحق عليه العقوبة ﴿وَجَعَلَ مِنۡهُمُ﴾ ليس جميعهم.

١١٨٣. فيها التوجيه بمجابهة أهل الكتاب بتاريخهم، وبذلك الجزاء الذي استحقوه من الله بسبب هذا التاريخ كأنما هم جيل واحد.

١١٨٤. فيها ذم اليهود بما ذكر من صفاتهم وبها صاروا شر الناس وأضلهم، وهو تعبير مناسب لحالهم فكما عدّوا الإيمان بالله وكتبه عيبا يعيبون به المؤمنين، فناسب أن يذكر منهم أن جزاءهم وثوابهم عند الله هذا العقاب الأليم.

١١٨٥. المقصود من صيغتي التفضيل في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا﴾ الزيادة مطلقا من غير نظر إلى مشاركة غيرهم في ذلك، أو بالنسبة إلى غيرهم من الكفار الذين لم يفجروا فجورهم، ولم يحقدوا على المؤمنين حقدهم.

١١٨٦. فيها أثبت- سبحانه- الشرية لمكانهم ليكون أبلغ في الدلالة على كثرة شرورهم، إذ إن إثبات الشرية لمكان الشيء كناية عن إثباتها للشيء نفسه، فكأن شرهم قد أثر في مكانهم، أو عظم وضخم حتى صار متجسما.

١١٨٧. تفيد الحرص على سواء السبيل، والبعد عن كل ما يضل عن سواء السبيل، ومن ذلك موالاة الكفار؛ لقوله تعالى ﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلۡكُفۡرِ وَهُمۡ قَدۡ خَرَجُواْ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكۡتُمُونَ﴾ [المائدة: ٦١].

١١٨٨. مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه لما سبق ذكر ما ترتب على كفرهم، ونقضهم ميثاقهم الذي واثقهم الله به؛ من اللعن والغضب، والمسخ جاء في هذه الآية مزيد بيان لجرائمهم التي سببت ما وقع عليهم من ألوان العذاب وشديد العقاب.

١١٨٩. قوله: ﴿وَإِذَا﴾ فيه إشارة إلى أن قدومهم على المؤمنين ليس مطردا، ولا كثيرا، وإنما بقدر ما ينفي عنهم التهمة زعموا.

١١٩٠. عبر بالفعل ﴿جَآءُوكُمۡ﴾، وليس (أتوكم) للإشارة إلى عدم الرغبة وحرصهم في المجيء، بل بتثاقل وكسل.

١١٩١. في لفظ ﴿جَآءُوكُمۡ﴾ دلالة على أن أهل الكتاب قد يكونون هم المقبلين على الأمة بأهداف خفية ومعلنة، فليُحذر منهم.

١١٩٢. قوله ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ تفيد أن قول اللسان لا ينفع إذا لم يواطئه القلب.

١١٩٣. قوله﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلۡكُفۡرِ وَهُمۡ قَدۡ خَرَجُواْ بِهِۦ﴾ فيها بيان شدة تلبس الكافرين بالكفر حتى صار مصاحبا لهم دخولا، وخروجا لأن الباء في ﴿بِٱلۡكُفۡرِ﴾ دلت على المصاحبة والملابسة.

١١٩٤. فيها فضح الله اليهود مؤكدا نيتهم عند الدخول على النبي صلى الله عليه وسلم.

١١٩٥. يفهم منها أهمية الخروج من دائرة الاتهام التي يصر على وضعنا فيها أعداء الدين والأمة، لنكن نحن المبادرون بوضعهم في قفص الاتهام وهم أولى به.

١١٩٦. تفيد التحذير من المنافقين؛ لأن الله لم يقص علينا قصصهم أو حالهم إلا لنحذر، لا لنعلم فقط.

١١٩٧. تفيد أن في اليهود منافقين مخادعين.

١١٩٨. تفيد تنبيه المسلمين إلى الفطنة وعدم الاغترار بمعسول الكلام وادعاء الإيمان من المشبوهين من أهل الكتاب.

١١٩٩. فيها بيان قسوة قلوبهم التي لا تؤثر فيها المواعظ، ولا ينفع فيها التذكير أو الإرشاد.

١٢٠٠. فيها حفظ الله جل وعلا لأوليائه من كيد الكافرين، فهؤلاء الكفر الذي دخلوا به لم يؤثر أبدا في الداخلين عليهم، بل خرجوا به، كأنه كان بضاعة لم تجد رواجا فكسدت على صاحبها فعاد بها.

١٢٠١. فيها تنبيه للمسلمين لعدم الاكتراث بشبه أهل الكتاب، وتلبيساتهم على الأمة.

١٢٠٢. قال الفخر الرازي: وذكر عند الدخول كلمة﴿ وَقَد ﴾، وعند الخروج كلمة ﴿ وَهُمۡ ﴾ لأن الفائدة من ذكر كلمة ﴿ وَقَد ﴾ تقريب الماضي من الحال. والفائدة من ذكر كلمة ﴿ وَهُمۡ ﴾ التأكيد في إضافة الكفر إليهم، ونفى أن يكون للنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فعل، أي: لم يسمعوا منك يا محمد عند جلوسهم معك ما يوجب كفرا، فتكون أنت الذي ألقيتهم في الكفر، بل هم الذين خرجوا بالكفر باختيار أنفسهم».

١٢٠٣. وقيل عبر عن دخولهم بقوله ﴿ وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلۡكُفۡرِ وَهُمۡ قَدۡ خَرَجُواْ بِهِۦ ﴾ وعن خروجهم بقوله:﴿ وَهُمۡ قَدۡ خَرَجُواْ بِهِۦ ﴾، للإشارة إلى أنهم عند خروجهم كانوا أشد كفرا، وأقسى قلوبا منهم عند دخولهم.لأن (قد) تفيد التحقيق والتأكيد، فيكون تأكيد الكفر مرادا في القدوم وفي الخروج به.وقد يكون التأكيد بسبب أن الأصل أن المجيء للفئة المؤمنة ولو كان بسوء نية فإنه يحتمل معه تغير الحال والتأثر بالحق، كما في قصة إسلام عمر.

١٢٠٤. فيها أن المؤمن ينبغي ان يزداد خيرا، أو إيمانا، أو علما، أو عملا بوجوده بين المؤمنين، فإن لم يحدث ذلك فإما لوجود علة فيهم أو فيه.

١٢٠٥. في قوله- تعالى-﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكۡتُمُونَ ۝٦١ ﴾ وعيد شديد لهم على كفرهم ونفاقهم، لأن من يعلم سيحاسب ويعاقب.

١٢٠٦. تفيد بيان سعة علم الله سبحانه وتعالى، وإحاطته بما في القلوب.

١٢٠٧. فيها إشارة إلى أن المؤمنين يجب أن يكونوا على علم بما يخفيه الداخلين عليهم من أعداء الدين، إلا أن الله أعلم منهم بهم.

١٢٠٨. فيها دعوة لمعرفة أهداف الأعداء، ومخططاتهم عن طريق الوحي المعصوم.

١٢٠٩. فيها ترهيب للمؤمن لأن الصفة قائمة في حقه كذلك، فلا يكتم إلا خيرا.

١٢١٠. حذف متعلق الكتمان أفاد العموم، فدخل فيه كل ما يكتمونه، سواء كان الكفر أو أذية المؤمنين، أو خلافه.

قال تعالى: ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنۡهُمۡ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٦٢].

١٢١١. مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه لما سبق فضح جرائمهم الباطنة غير المعلنة التي سببت لهم ألوان العذاب، جاء في هذه الآية تعداد الجرائم المعلنة الظاهرة.

١٢١٢. قوله تعالى:﴿ وَتَرَىٰ ﴾ يفيد أن ارتكابهم لهذه المنكرات لم يكن خافيا أو مستورا، وإنما هم يرتكبونها مجاهرة وعلانية، لأن فضيلة الحياء قد نضبت من وجوههم.

١٢١٣. كلمة ﴿ كَثِيرًا مِّنۡهُمۡ يُسَٰرِعُونَ ﴾ يحتمل أن تكون للتبعيض، وحينئذ تفيد أن هذه الأفعال المذكورة في هذه الآية ما كان يفعلها كل اليهود، وهذا من إنصاف القرآن.

١٢١٤. فيها بيان حال كثير من هؤلاء اليهود المنافقين، وهبوطهم الإنساني بارتكاب الإثم - أي الكذب أو ارتكاب جميع المعاصي والمحرمات، وبخاصة نوعين من أَشد المحرمات قبحًا. هما: العدوان... وأكْل السحت. أما العدوان: فهو مجاوزة الحد في الظلم. ومصدره الأنانية الكافرة. وأما السحت: فهو أكل الحرام. وأَظهرهُ الربا وأَخذ الرشوة. ومصدره الأثرة الفاجرة.

١٢١٥. خُصَّ العدوان والسحت بالذكر - بعد دخولهما في جميع المعاصي - للمبالغة في إظهار قبحهما، وخطورتهما على المجتمع البشري.

١٢١٦. تفيد أن اليهود على درجات في ارتكاب الإثم والعصيان وأن المسارعين منهم أشد عقوبة وذمًّا.

١٢١٧. مسارعة اليهود وتسابقهم في الآثام دليل على خبثهم وشرهم، وأن نفوسهم مجبولة على حب المعاصي والظلم.

١٢١٨. تفيد أن المسارعة في الإثم وأكل السحت فيهم إنما هو عمل مجتمعي، وخطره يمثل دركة من دركات الهبوط والانحدار.

١٢١٩. التعدية بحرف ﴿فِي ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ﴾ تؤذن بأنهم مغمورون في الآثام، وأنهم يتنقلون فيها من حال إلى حال أخرى شر منها، حتى لكأن السير في طريق الحق والصدق والفضيلة صار غير مألوف عندهم.

١٢٢٠. تفيد ذم من يسارع في الآثام والعدوان.

١٢٢١. فيها بمفهوم المخالفة مدح المسارعة والمسابقة إلى الطاعات والقربات.

١٢٢٢. أكل السحت من الإثم، فتخصيصه بالذكر، وهو تخصيص بعد تعميم، يدل على خطره، وشدة إثمه.

١٢٢٣. تفيد أن المال الحرام أكثر ما يستعمل في الأكل، ولذلك خص الأكل بالذكر، وإلا فلو لبس به ثيابا او اشترى به سيارة أو غير ذلك فهو حرام أيضا.

١٢٢٤. فيها أن الذنوب والمعاصي أنواع، لأن الذنوب بعضها متعلق بحق الله عز وجل، وبعضها بحق المخلوق.

١٢٢٥. فيها رد على الجبرية؛ لأن الله عز وجل نسب العمل إليهم في قوله: ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

١٢٢٦. قوله: ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾، تذييل قصد به تقبيح أعمالهم التي يأباها الدين والخلق الكريم.

١٢٢٧. جمع- سبحانه- في حكمه بين صيغة الماضي كانوا من قوله ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾، وصيغة المضارع ﴿ يَعْمَلُونَ﴾ للإشارة إلى أن هذا العمل القبيح كان منهم في الماضي، وأنهم قد استمروا عليه في حاضرهم ومستقبلهم بدون توبة أو ندم.

١٢٢٨. أكد- سبحانه- هذا الحكم بالقسم، وباللام الموطئة للقسم، وبكلمة (بئس) للدلالة على شدة الذم.

قال تعالى: ﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣].

١٢٢٩. مناسبة الآية لما قبلها: أنه لما سبق كشف عوار العامة من أهل الكتاب، وتعداد معايبهم، وجرائمهم التي في مقدمتها المسارعة في الإثم، جاء في هذه الآية كشف عوار خاصتهم من العلماء والزهاد، وتقصيرهم في شعيرة النصح والنهي عن المنكر.

١٢٣٠. ﴿ لَوْلَا ﴾ هنا للتوبيخ والملامة على ترك واجبهم، وقد روي عن ابن عباس أنه قال: هذه أشد آية على العلماء في كتاب الله تعالى.

١٢٣١. تفيد أن أولى الناس بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر هم أهل العلم، لأن النهي عن المنكر والأمر بالمعروف لا يصلح له كل أحد، لأنه يحتاج إلى حكمة وبصيرة.

١٢٣٢. فيها دليل على أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي الحديث "ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم المعاصي يقدرون أن يغيروا عليه فلا يغيرون الا أصابهم الله بعقاب قبل أن يموتوا" أخرجه أبو داوود، وابن حبان وصححه الألباني.

١٢٣٣. فيها بيان مكانة العلماء، ودورهم في تغيير المنكر، وإصلاح المجتمع، وعظيم الإثم المترتب على تقصيرهم في بيان الحق والنهي عن المنكر.

١٢٣٤. فيها أن صلاح المجتمع، أو فساده مرهون بقيام الحفظة على الشريعة، والقيام بواجبهم في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

١٢٣٥. تقديم الربانيين على الأحبار يستفاد منه أنهم أعلى من الأحبار علما وسلطة، فدل تقديمهم على أنهم أولى بالإنكار لأن صلاحياتهم أعلى وسلطتهم أكبر.

* وقيل الفرق بين الرباني والحبر هو أن الرباني العالم العامل، الذي يعتني بقضايا تربية الناس على الخير والصلاح، ويتابع الناس بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ميدانياً، أما الحبر فهو العالم المختص بدقائق العلم والمعرفة وهو أقرب ما يكون في زماننا بما يسمى الأكاديمي، وهو أعلم بدقائق العلم وتفاصيله من الرباني؛ ولذلك وصف ابن عباس رضي الله عنهما بالحبر. ولذلك قُدِّم ذكرُ الربانيين على الأحبار؛ فالرباني هو المعنيُّ ابتداءً في النهي عن المنكرات، فإن قصَّر لحق الاثم بالاثنين، والحبر له وظيفة عظيمة وهي وظيفة العناية بالعلم ومتابعة تفاصيله للمحافظة عليه من التحريف والتأويل، كما أن وظيفة الرباني هي المحافظة على المجتمع من الانحراف والسقوط، فكلٌّ منهما على باب خطير من العمل، ولا ينفكان عن الإصلاح الدائم والعمل المتواصل.

١٢٣٦. يقول الرازي رحمه الله"إِنَّ ذَمَّ تَارِكِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ أَقْوَى لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ فِي الْمُقْدِمِينَ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِ السُّحْتِ ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٢] وَقَالَ فِي الْعُلَمَاءِ التَّارِكِينَ لِلنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾، وَالصُّنْعُ أَقْوَى مِنَ الْعَمَلِ لِأَنَّ الْعَمَلَ إِنَّمَا يُسَمَّى صِنَاعَةً إِذَا صَارَ مُسْتَقِرًّا رَاسِخًا مُتَمَكِّنًا، فَجَعَلَ جُرْمَ الْعَامِلِينَ ذَنْبًا غَيْرَ رَاسِخٍ، وَذَنْبَ التَّارِكِينَ لِلنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ذَنْبًا رَاسِخًا".

١٢٣٧. فيها أن ترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر هو الذي قاد المجتمع الى الانحدار، والسقوط فكان الترك صنعاً يُذمُّ عليه الربانيون والأحبار.

١٢٣٨. فيها إشارة إلى خطورة غفلة العلماء، وسكوتهم عن إنكار المنكرات لأن سكوتهم يحض الناس على الاستمرار في عملهم من ارتكاب الآثام.

١٢٣٩. فيها أن من سنن الله تعالى في الأمم أن يجعل في كل منها قائما له فيها بحجة حتى لا تطمس معالم الدين.

١٢٤٠. تفيد ذم علماء اليهود ومن يشبههم؛ قال بعض السلف: من فسد من علمائنا ففيه شبه باليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه بالنصارى.

١٢٤١. تفيد أن قول الإثم، وأكل السحت كان سجية فيهم.

١٢٤٢. فيها عظم شؤم قول الإثم وشدة أثره في إضلال الناس، ولذا وضع الباري من وظائف العلماء الربانيين نهي الناس عنه والتحذير منه.

١٢٤٣. فيها أنه ينبغي الاعتناء بأكل الحلال الطيب، والبعد عن الحرام الخبيث.

١٢٤٤. في تقديم قول الإثم على أكل السحت دلالة على عمق ضرر الأقوال الباطلة وخطورة انتشارها في المجتمع وضرورة مواجهتها، وإنكارها وهذه مسؤولية أهل العلم لتفنيد الباطل والرد عليه.

١٢٤٥. تخصيص هاتين الرذيلتين بالذكر الإثم وأكلهم السحت، لأنهما جماع الرذائل، إذ القول الباطل الكاذب إذا ما تعود عليه الإنسان هانت عليه الفضائل، وقال في الناس ما ليس فيهم بدون تحرج أو حياء. وأكل السحت يقتل في نفسه المروءة والشرف، ويجعله يستهين بحقوق الناس وأموالهم.

١٢٤٦. اقتصر- سبحانه- في توبيخ الربانيين على ترك نهيهم عن قول الإثم وأكل السحت، ولم يذكر العدوان- الذي ورد في الآية السابقة إيماء إلى أن العدوان يزجرهم عنه المسلمون ولا يلتجئون في زجرهم إلى غيرهم، لأن الاعتماد في النصرة على غير المجنى عليه ضعف.

١٢٤٧. في قوله تعالى في آخر الآية: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ رد على الجبرية حيث نسب الصنع إليهم.

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

١٢٤٨. قوله﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ﴾ نسب الله هذا القول لليهود، مع أن القائل أحدهم أو بعضهم، وفي ذلك إشارة إلى أن الساكت عن المنكر بدون عذر بمثابة الفاعل.

١٢٤٩. تفيد غلظ كفر اليهود، وقسوة قلوبهم، وعدم خوفهم من الله جل وعلا؛ ولذلك تجرأوا على هذا القول الشنيع. وإذا كان هذا قولهم عن الخالق فكيف بالخلق.

١٢٥٠. فيها التنفير من اليهود، ووجوب بغضهم من خلال تقديم ذكرهم وبيان شناعة قولهم، وما تبع ذلك من جزاء.

١٢٥١. في هذا القول السفيه من اليهود لعنهم الله، إشارة إلى أنهم على علم بأوصاف الله تعالى الذاتية، ومع ذلك حرفوها ونسبوا إليه ما لا يليق به جل وعلا.

١٢٥٢. فيها حلم الباري جل وعز وهو فرع عن عظمة ذاته، وأن تطاول سفهاء الخلق غير قادح في عظمة ذاته، ومن هنا لا ينبغي أن يستغرب تطاول السفهاء على أنبياء الله، ومن دونهم من العلماء.

١٢٥٣. تفيد أن سوء القول في الله تعالى، ناتج من سوء الاعتقاد، وصلاح القول هو نتيجة صلاح المعتقد.

١٢٥٤. قوله تعالى ﴿ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ يحتمل معنى الأغلال توضع على اليد، ويحتمل معنى أمسكت أيديهم عن الإنفاق، وكله ثابت لهم، الأول في الآخرة، والثاني في الدنيا. وتوسيع المعنى إن لم يخالف الشرع واللغة أولى وأفضل.

١٢٥٥. ﴿ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ حذف الفاعل للعلم به، والمراد التركيز في البيان على غل أيديهم.

١٢٥٦. فيها أن من اتهم غيره بالباطل، أو نسب إليه ما ليس فيه من الصفات الذميمة أو نفى عنه ما فيه من الصفات الحميدة ابتلاه الله بذلك، وزاد عليه من صنوف العقوبة ما شاء. قال السعدي: وهذا دعاء عليهم بجنس مقالتهم، فإن كلامهم متضمن لوصف الله الكريم، بالبخل وعدم الإحسان، فجازاهم بأن كان هذا الوصف منطبقا عليهم، فكانوا أبخل الناس، وأقلهم إحسانا، وأسوأهم ظنا بالله، وأبعدهم الله عن رحمته التي وسعت كل شيء، وملأت أقطار العالم العلوي والسفلي.

١٢٥٧. منها يفهم جواز الدعاء على المفتري، المتجاوز الحد في العدوان، ووصفه وبيان حقيقته قبل تفنيد مزاعمه..

١٢٥٨. ﴿ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ﴾ حذف الفاعل للعلم وللتنزيه.

١٢٥٩. فيها وسمهم الله عز وجل بأمرين: البخل واللعنة، وفيه دلالة على بعدهم عن رحمة الله.

١٢٦٠. الباء في ﴿ بِمَا قَالُواْ ﴾ إن كانت للسببية، دلت على أن اللعنة لها أسباب كما أن الرحمة لها منزلات، وإن كانت للمقابلة دلت على عظم هذه الفرية.

١٢٦١. فيها: إثبات الأسباب، فالله سبحانه لم يغل أيديهم ويلعنهم إلا بسبب قولهم.

١٢٦٢. وفيها أن الجزاء من جنس العمل.

١٢٦٣. تفيد التخويف من ذنوب اللسان؛ فقد يلعن الإنسان ويكفر بسبب كلمة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في النار سبعين خريفا" متفق عليه.

١٢٦٤. ﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ ﴾ تفيد أن الله عز وجل جواد ماجد، كريم، واسع الفضل والعطاء، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: يدُ اللهِ ملأى لا تغيضُها نفقةٌ، سحَّاءُ الليلِ والنهارِ. وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماءَ والأرضَ فإنه لم يَغِضْ ما في يدِه، وكان عرشُه على الماءِ، وبيدِه الميزانُ يخفضُ ويرفعُ. رواه البخاري ٤٦٨٤ واللفظ له، ومسلم (٩٩٣).

١٢٦٥. تفيد أن أفضل الإنفاق ما كان باليد، وفي الحديث:" حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه "متفق عليه.

١٢٦٦. تفيد إثبات صفة البسط لله تبارك وتعالى، وفي الحديث: "ويبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار..."السلسلة الصحيحة.

١٢٦٧. ﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ ﴾ فيها تعليم وتأديب للفقير والغني بأن عطاء الله وحرمانه بفعله ومشيئته وحكمته، فليصبر، ويرضاه الأول، وليشكر الثاني.

١٢٦٨. فيها إثبات صفة اليدين لله سبحانه السنة صريحة في إثبات يدين فقط، ووردت بذلك أحاديث كثيرة منها حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن المقسطينَ، عند اللهِ، على منابرَ من نورٍ. عن يمينِ الرحمنِ عز وجل. وكلتَا يديهِ يمينٌ؛ الذين يعدلونَ في حُكمِهِم وأهليهِم وما وُلّوا.. [رواه مسلم ١٨٢٧].

١٢٦٩. تفيد وجوب تعظيم الله تعالى بإثبات صفات الكمال له، وتنزيهه عن كل نقص.

١٢٧٠. تفيد سعة عطاء الله تعالى، وفضله على عباده.

١٢٧١. ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ ﴾ قال السعدي: وهذا أعظم العقوبات على العبد، أن يكون الذكر الذي أنزله الله على رسوله، الذي فيه حياة القلب

والروح، وسعادة الدنيا والآخرة، وفلاح الدارين، الذي هو أكبر منة امتن الله بها على عباده، توجب عليهم المبادرة إلى قبولها، والاستسلام لله بها، وشكرا لله عليها، أن تكون لمثل هذا زيادة غي إلى غيه، وطغيان إلى طغيانه، وكفر إلى كفره، وذلك بسبب إعراضه عنها، ورده لها، ومعاندته إياها، ومعارضته لها بالشبه الباطلة.

١٢٧٢. فيها بيان عظمة القرآن الكريم وأثره البالغ؛ فهو للمؤمنين هدى وشفاء ولا يزيد الظالمين إلا خسارا.

١٢٧٣. تفيد ضلال وجرم وشقاء من يجمع بين الكفر والطغيان.

١٢٧٤. وفيها أن الآيات والعبر تزيد في إيمان الشخص، ولكن بعض الناس لا تزيده إلا طغيانا وكفرا والعياذ بالله.

١٢٧٥. فيها أن الكفر يزيد وينقص كالإيمان.

١٢٧٦. فيها بيان لموقف اليهود الجحودي من الآيات التي أنزلها الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وهي في الوقت ذاته تسلية له صلى الله عليه وسلم عما يلقاه منهم.

١٢٧٧. قوله: ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾ أكد –سبحانه– هذه الجملة بالقسم المطوي، وباللام الموطئة له، ونون التوكيد الثقيلة لكي ينتفى الرجاء في إيمانهم، وليعاملهم النبي صلى الله عليه وسلم وأتباعه على أساس مكنون نفوسهم الخبيثة، وقلوبهم المريضة بالحسد والخداع.

١٢٧٨. فيها: أن القرآن نزل من عند الله، فهو كلامه سبحانه وليس مخلوقا.

١٢٧٩. وفيها إثبات علوه عز وجل لأن الإنزال يكون من علو.

١٢٨٠. فيها عناية الله عز وجل بنبيه عليه الصلاة والسلام في ﴿ مِن رَّبِّكَ ﴾ فالربوبية هنا خاصة تقتضي العناية التامة.

١٢٨١. ﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ ﴾ فيها أنه سبحانه ألقى العداوة والبغضاء بين اليهود، وهذا حق وصدق لا كما يظهر من اجتماعهم، بخلاف الواقع، فالعداوة تمثل الحالة الفعلية، والبغضاء تمثل الحالة القلبية والقولية.

١٢٨٢. تقديم العداوة على البغضاء دليل على أن القوم تمكن الحقد من قلوبهم، فالاعتداء لا يُنسى عندهم بل هو ماكث في صدورهم، فسبب البغضاء عداوات سابقة.

١٢٨٣. فيها التحذير من التعادي، والتباغض، لأن الله عاقب اليهود على جريمتهم بأن ألقى بينهم العداوة والبغضاء.

١٢٨٤. عبر سبحانه وتعالى عن النصارى بقوله (وأغرينا) وفي اليهود قال ﴿ وَأَلْقَيْنَا ﴾ لإفادة أن العداوة بين اليهود أكبر وأمكن.

١٢٨٥. ﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ ﴾ فيها بيانٌ بأن اليهود باقون إلى يوم القيامة لا يندثرون.

١٢٨٦. وفيها أن يوم القيامة ثابت وواقع لا محالة.

١٢٨٧. ﴿ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُۚ ﴾ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فهذا اللفظ أصله أن المحاربين يوقدون نارا يجتمع إليها أعوانهم، وينصرون وليهم على عدوهم، فلا تتم محاربتهم إلا بها، فإذا طفئت لم يجتمع أمرهم، ثم صار هذا كما تستعمل الأمثال في كل محارب بطل كيده. (مجموع الفتاوى ٢٠/٤٧١).

١٢٨٨. فيها أن إشعال حروب الفتنة من صفات اليهود الدائمة.

١٢٨٩. فيها البشارة من الله بأن يطفئ كل حرب أوقدتها اليهود.

١٢٩٠. ﴿ أَوْقَدُواْ نَارًا ﴾ تفيد أن البداية في الحروب منشؤها من اليهود.

١٢٩١. الفعل ﴿أَوۡقَدُواْ﴾ يشير إلى الاجتهاد في الإشعال، فهو أدق في تصوير فعلهم من (أشعلوا) لأن متطلبات الإيقاد أكثر.

١٢٩٢. وفيه إشـــارة إلى حرص اليهود على بقاء نارهم حية بتغذيتها بالوقود، وحذرهم من موتها إلا أنه لا ينفع حذر من قدر

١٢٩٣. قال ابن جزي: إيقاد النار عبارة عن محاولة الحرب، وإطفاؤها عبارة عن خذلانهم وعدم نصـرهم، ويحتمل أن يراد بذلك أسـلافهم، أو يراد من كان معاصـرا للنبي صـلّى الله عليه وعلى آله وسـلّم منهم، ومن يأتي بعدهم، فيكون على هذا إخبار بغيب، وبشـارة للمسـلمين.

[ابن جزي: ١/ ٢٤٤].

١٢٩٤. تفيد حفظ الله تعالى لعباده المؤمنين من فتن ومكر اليهود.

١٢٩٥. قال ابن عاشور: ومن بداعة هذا التمثيل أنّه صالحٌ لأن يعتبر فيه جَمْعُه وتفريقه، بأن يُجعل تمثيلاً واحداً لِحالة مجموعة أو تمثيلين لحالتين، وقبول التمثيل للتفريق أتمّ بلاغة. والمعنى أنّهم لا يلتئم لهم أمر حرب ولا يستطيعون نكاية عدوّ، ولو حاربوا أو حُوربوا انهزموا.

١٢٩٦. ﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ﴾ صـيغة المضـارع للدلالة على استمرارهم في الإفسـاد وتجدد حدوث الإفساد منهم في كل وقت.

١٢٩٧. تفيد أن شر اليهود يصل القاصي والداني ﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ﴾.

١٢٩٨. تفيد أن كل سـعي من ورائه اليهود لا خير فيه للمؤمنين، لأنهم لا يسـعون إلا في الفساد.

١٢٩٩. في التعبير بالسعي عند ذكر الفساد ما يدل على حبهم للفساد، واجتهادهم في فعله، والواقع يشـهد بذلك، في إفسـادهم العالم وتدمير الأخلاق وإشـعال الحروب، ونشـر الكفر والضلال والإلحاد، وقد قاموا بهذا الدور تاريخيا شر قيام..

١٣٠٠. تبين الآية أن لليهود مسارين، مسار في الداخل وهو العداوة والبغضاء، وهذا لا يظهرونه للناس، بل يحرصون على كتمانه، ومسار مع الخارج وهو الإفساد بين جميع الناس، وهذا يدل على تمكن الشر فيهم نسأل الله العفو والعافية.

١٣٠١. ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ تفيد إثبات المحبة لله تعالى بما يليق بجلاله.

١٣٠٢. فيها: تحريم الفساد في الأرض.

١٣٠٣. مفهوم المخالفة أنه سبحانه يحب المصلحين.

١٣٠٤. تفيد بغض الله تعالى لليهود بما يبشر بخذلانهم.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [المائدة: ٦٥].

١٣٠٥. مناسبة الآية لما قبلها: أنه لما سبق ذكر معايب أهل الكتاب وكشف جرائمهم ومسارعتهم في الإثم، جاء في هذه الآية فتح باب التوبة والإنابة، رحمة من الله بهم؛ فإذا سلكوا سبيل المؤمنين، واتقوا معصية رب العالمين، كفر عنهم سيئاتهم وألحقهم بالصالحين.

١٣٠٦. فيها أن الله تعالى أرحم بعباده من المرأة بولدها، وإنه شرع التوبة ليتوب عباده، مهما ابتعدوا عنه، ولهذا يناديهم بأحب الاسماء إليهم، بالرغم من أنهم وصفوه سبحانه وتعالى عما يقولون بالبخل، والفقر والغل، ومع ذلك يدعوهم إلى جنة عرضها السموات والأرض، شريطة أن يؤمنوا ويعملوا صالحا.

١٣٠٧. قوله ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ فيها تعليم الحث على الهداية والعناية بالمدعوين، وذكرهم بأحب الأوصاف إليهم فأهل الكتاب هو الوصف المحبوب لليهود والنصارى لما فيه من نسبتهم إلى الكتاب المنزل من عند الله تعالى.

١٣٠٨. في وصفهم بأهل الكتاب تلطف بهم وترغيب لهم في الإيمان والتقوى، وفي هذا هداية دعوية بالتلطف مع المدعو وإن كان معرضا معاندا.

١٣٠٩. ﴿ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ ﴾ تفيد تقديم الإيمان على التقوى؛ لأن العمل لا يصح ولا يقبل إلا به.

١٣١٠. ذكرت التقوى مضمومةً إلى الإيمان لبيان أن أصل الإيمان كان موجوداً لكن طرأ عليه تحريف وتخريف فالتقوى هي التي تضبط الإيمان المقبول، وإلا لقال أهل الكتاب نحن مؤمنون فبذكر التقوى عُلِم أن المطلوب منهم هو إيمان خالص من الشوائب، والمحدثات وهو ما نزل طرياً على قلب المصطفى عليه الصلاة والسلام.

١٣١١. تفيد فضل الإيمان والتقوى فبهما تنال ولاية الله عز وجل، لأنهما سبب عظيم لتكفير السيئات، ودخول الجنات.

١٣١٢. تفيد أن الإنسان عليه أن يحرص على تكفير سيئاته لخطرها البالغ عليه، ولذا كان في دعاء الملائكة للمؤمنين: ﴿ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [غافر: ٩].

١٣١٣. تفيد تعظيم الباري جل وعلا؛ لقوله ﴿ لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾.

١٣١٤. فيها أن سعادة الآخرة محصورة في أمرين:

أحدهما: رفع العقاب.

والثاني: إيصال الثواب.

١٣١٥. أما رفع العقاب فهو المراد بقوله: ﴿ لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ ﴾، وأما إيصال الثواب فهو المراد بقوله: ﴿ وَلَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾، وأما سعادات الدنيا فقد ذكرها في قوله بعد ذلك: ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ﴾.

١٣١٦. تفيد تعدد الجنات؛ قال ابن عثيمين: قوله: ﴿جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ جمع جَنَّة، وجُمِعت لأنها أنواع.

قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٦٦].

١٣١٧. مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه لما ذكر في الآية السابقة؛ الوعد الذي ينتظرهم في الآخرة إذا هم آمنوا، واتقوا، جاء في هذه الآية الوعد بما سيلقونه في الحياة الدنيا من الخير والرزق، الطيب المبارك.

١٣١٨. تفيد أن تحكيم ما أنزله الله تعالى من كتبه، وجعلها منهج حياة الناس سبب لهذه الخيرات المذكورة.

١٣١٩. تفيد فضل التوراة والإنجيل وسائر كتب الله عز وجل؛ لإسعادها من أقامها في دنياه ودينه وآخرته.

١٣٢٠. تفيد أن إنزال الكتب لهداية البشر وسعادتهم: من لوازم ربوبية الله عز وجل لهم؛ ولذلك قال: ﴿ مِّن رَّبِّهِمۡ ﴾.

١٣٢١. فيها أن العبرة بالعمل بما أنزل الله وليس في حفظه فحسب.

١٣٢٢. فيها أن المطلوب ليس مجرد فعل ما أمروا به في التوراة والإنجيل، وإنما الإتيان به على الوجه الأتم الأقوم وذلك عبر ب ﴿ أَقَامُواْ ﴾.

١٣٢٣. فيها أن من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه

١٣٢٤. تفيد إثبات صفة العلو للعلي الغفار؛ لقوله ﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ ﴾

١٣٢٥. فيها دلالة على أن الاستقامة على شرع الله، تأتي بالرزق الرغيد، ولقد أشار القرآن إلى هذا المعنى في آيات كثيرة ومن ذلك قوله- تعالى- ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَامُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦].

١٣٢٦. فيها عظيم فضل الله تعالى وأن عطاءه للمتقين الملتزمين أمره ونهيه لا حد له؛ ﴿لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾.

١٣٢٧. فيها أنه يجوز ترغيب النفوس البشرية في فعل الطاعات بما يُذكَر من ثواب الدنيا، وعلى هذا فلو أن الإنسان عَمِل عملًا صالحًا يريد أن ينال حُسْن الدنيا والآخرة فإنه لا يُلام؛ لأنه لو كان هناك لومٌ ما ذكر الله سبحانه وتعالى ما يحصل من ثواب الدنيا. (أفاده ابن عثيمين).

١٣٢٨. تفيد أثر صلاح المجتمع في تحقيق رفاهيته الاقتصادية، ودور المعاصي والبعد عن الكتاب والسنة في التضيق على الناس.

١٣٢٩. فيها أن العدل مع الخصوم وفي الخصومات منهج رباني، لذا قال ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾.

١٣٣٠. فيها بيان فضل أمة محمد ﷺ، ووجهه أنه قال عن اليهود: ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ أي: عاملة بالتوراة والإنجيل، عملا غير قوي ولا نشيط،﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ أي: والمسيء منهم الكثير. قال ابن كثير: فجعل أعلى مقاماتهم الاقتصاد، وهو أوسط مقامات هذه الأمة، وفوق ذلك رتبة السابقين كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقُۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢]، وقال ابن عاشور: "واختير المقتصد لأنّ المطيعين منهم قبل الإسلام كانوا غير بالغين غاية الطاعة".

١٣٣١. تبين أهمية الاقتصاد في الأمور؛ قال البغوي في معالم التنزيل: "مقتصدة أي عادلة غير غالية، ولا مقصرة جافية، ومعنى الاقتصاد في اللغة: الاعتدال في العمل من غير غلو ولا تقصير.

١٣٣٢. فيها أنّ ما أصاب أهل الكتاب من الضيق وضنك العيش إنما هو بسبب سوء عملهم وكفرهم بالله تعالى.

١٣٣٣. تفيد الرد على الجبرية؛ لقوله:﴿ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ ﴾ فنسب العمل إليهم.

١٣٣٤. تفيد أنه ينبغي على العبد أن لا يغتر في طريق الحق بقلة السالكين؛ وفي طريق الباطل بكثرة الهالكين؛ لقوله تعالى: ﴿ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ ﴾.

١٣٣٥. تفيد أن الله عز وجل قد يعاقب الأقلية من الأمة الصالحة في الدنيا بذنوب الأكثرية من الأمة الفاسقة الظالمة؛ لقوله تعالى: ﴿ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ ﴾ ويشهد لهذا حديث النبي ﷺ: "أنهلك وفينا الصالحون؟ قال نعم؛ إذا كثر الخبث" متفق عليه.

قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٧].

١٣٣٦. فيها بيان مكانة النبي صلى الله عليه وسلم، وعظيم منزلته عند ربه جل وعلا حيث ناداه الله بالرسالة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾، ولم يناده باسمه، وهذا تأكيد لوظيفته الرسالية صلى الله عليه وسلم.

١٣٣٧. فيها وجوب البلاغ على الرسل، لقوله ﴿ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ﴾، والأمر يدل على الوجوب.

١٣٣٨. فيها أن مهمة الرسل والدعاة البلاغ، والبيان.

١٣٣٩. تفيد أنه ينبغي الاعتماد على آيات القرآن العظيم في الدعوة والبلاغ، لقوله ﴿بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾.

١٣٤٠. فيها التأكيد على طبيعة الرسالة ومصدرها ﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾.

١٣٤١. فيها عظمة محتوى الرسالة إذ عبر عنها بالإبهام في ﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾

١٣٤٢. وصف النازل بأنه من الرب مشعر بعظمته، وعنايته بالخلق، ورعايته وتربيته لهم.

١٣٤٣. حذف المفعول من قوله ﴿بَلِّغۡ﴾ لإفادة التعميم أي أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم مطالب ومأمور بتبليغ القرآن الكريم المنزل إليه من ربه إلى كل من يفهم خطاب الله تعالى من الملائكة والجن والإنس؛ ويؤيد هذا قوله تعالى في السورة التي عقب هذه السورة: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام: ١٩].

١٣٤٤. وهذا يدل على عموم الرسالة المحمدية، وأنها للناس جميعا من عرب وعجم.

١٣٤٥. يفيد العموم الكائن في:﴿مَآ أُنزِلَ﴾ أنه يجب عليه ﷺ أن يبلغ جميع ما أنزله الله عليه لا يكتم منه شيئاً، وفيه دليل على أنه لم يسر إلى أحد مما يتعلق بما أنزله الله شيئاً، ولهذا في صحيح البخاري من حديث أبي جحيفة وهب بن عبد الله السّوائي قال: قلت لعلي بن أبي طالب هل عندكم شيء من الوحي مما ليس في القرآن فقال: " لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلاّ فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن وما في هذه الصحيفة، قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر ".رواه البخاري.

١٣٤٦. فيها رد على الرافضة؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فإنه قال:﴿بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ وهذا اللفظ عام في جميع ما أنزل إليه من ربه، لا يدل على شيء معين. فدعوى المدعي أن إمامة علي هي مما بلغها، أو مما أمر بتبليغها لا تثبت بمجرد القرآن؛ فإن القرآن ليس

فيه دلالة على شيء معين، فإن ثبت ذلك بالنقل كان ذلك إثباتا بالخبر لا بالقرآن، فمن ادعى أن القرآن يدل على أن إمامة علي مما أمر بتبليغه، فقد افترى على القرآن، فالقرآن لا يدل على ذلك عموما ولا خصوصا" (منهاج السنة ٤٧/٧)، وقال القرطبي: دلت الآية على رد قول من قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم كتم شيئا من أمر الدين تقية، وعلى بطلانه، وهم الرافضة، ودلت على أنه صلى الله عليه وسلم لم يسر إلى أحد شيئا من أمر الدين ; لأن المعنى بلغ جميع ما أنزل إليك ظاهرا، ولولا هذا ما كان في قوله عز وجل: ﴿ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ فائدة، وقبح الله الروافض حيث قالوا: إنه صلى الله عليه وسلم كتم شيئا مما أوحى الله إليه كان بالناس حاجة إليه.

١٣٤٧. في الإتيان بضمير المخاطب في قوله: ﴿ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ﴾ إيماء عظيم إلى تشريف الرسول صلى الله عليه وسلم بمرتبة الوساطة بين الله والنّاس، إذ جعل الإنزال إليه، ولم يقل إليكم أو إليهم.

١٣٤٨. في تعليق الإنزال بأنّه من الرّب تشريف للمنزّل.

١٣٤٩. الإتيان بلفظ الرّب هنا دون اسم الجلالة لما في التذكير بأنّه ربّه من معنى كرامته، ومن معنى أداء ما أراد إبلاغه، كما ينبغي من التعجيل والإشاعة والحثّ على تناوله والعمل بما فيه. (التحرير والتنوير).

١٣٥٠. فيها تطمين النبي ﷺ بحماية الله تعالى له وعصمته من أذى الناس، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخذ حرسا من الناس حتى نزلت هذه الآية، فسرحهم ثقة بوعد ربه تعالى الذي لا يخلف.

١٣٥١. فيها أن تبليغ الدين عرضة لأذية الناس، فالأنبياء والرسل وأتباعهم تعرضوا للأذى، وفي ضمن ذلك إرشاد إلى الصبر والاحتساب. وهذا مستفاد من قوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴾.

١٣٥٢. فيها أن من اعتصم بالله فقد نجا، ومن توكل عليه حق توكله فقد آوى إلى ركن شديد.

١٣٥٣. وفيها أن العالم المصلح يجب أن يكون شجاعا في بلاغ رسالة الله غير هياب ولا وجل، ولا خجل من رسالة الله.

١٣٥٤. فيها: عصمة الرسول ﷺ المطلقة، والدلالة على نبوته لأن الله عز وجل أخبر أنه معصوم، ومن ضمن سبحانه له العصمة فلا يجوز أن يكون قد ترك شيئا مما أمره الله به.

١٣٥٥. فيها بيان ثبات قلبه ﷺ، وصدق إقدامه وشجاعته، ومواجهته لجميع المعاندين، على تغير الأحوال والأزمان.

١٣٥٦. تفيد بإشارة لطيفة أهمية أن تعطى رسل الملوك والرؤساء الذين هم سفراؤهم إلى الدول الأخرى؛ الأمان والحصانة حتى يؤدوا رسالتهم على أتم وأكمل الوجوه.

١٣٥٧. في حذف أحد متعلقي الفعل ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴾ دلالة على عموم هذا المتعلق بما يتناسب مع التبليغ المأمور به ﷺ أي: يعصمك من كل ما يحول بينك وبين تبليغ ما أنزل إليك من ربك

١٣٥٨. تفيد أن على العلماء والدعاة تبليغ الإسلام بكماله وعدم كتمان شيء منه لمسايرة أهواء الناس ولأجل المكانة عندهم، قال القرطبي: هذا تأديب للنبي صلى الله عليه وسلم، وتأديب لحملة العلم من أمته ألا يكتموا شيئا من أمر شريعته، وقد علم الله تعالى من أمر نبيه أنه لا يكتم شيئا من وحيه؛ وفي صحيح مسلم عن مسروق عن عائشة أنها قالت: "من حدثك أن محمدا صلى الله عليه وسلم كتم شيئا من الوحي فقد كذب؛ والله تعالى يقول ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾.

١٣٥٩. يفيد الافتتاح باسم الجلالة في قوله﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴾ الِاهْتِمام بِهِ لِأنَّ المخاطَبَ والسّامِعِينَ يَتَرَقَّبُونَ عَقِبَ الأمْرِ بِتَبْلِيغِ كُلِّ ما أُنْزِلَ إلَيْهِ، أنْ يُلاقِيَ عَنَتًا وتَكالُبًا عَلَيْهِ

مِن أعْدائِهِ فافْتَتَحَ تَطْمِينَهُ بِذِكْرِ اسْـــمِ اللَّهِ، لِأنَّ المَعْنى أنَّ هَذا ما عَلَيْكَ، فَأمّا ما عَلَيْنا فاللَّهُ يَعْصِمُكَ.

١٣٦٠. يفيد قوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴾ الحث على الجد فِيما أُمِرَ بِهِ مِنَ التَّبْلِيغِ، وعَدَمِ الِاكْتِراثِ بِعَداوَتِهِمْ وكَيْدِهِمْ، وهي تحمل بشارات الحفظ والتأييد لكل من يقومون بتبليغ الرسالة الربانية للناس.

١٣٦١. يفيد ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴾ أن الرسـول لا يملك لنفسـه جلب نفع أو دفع ضر وسوء فكيف بغيره ممن تعلقوا بهم.

١٣٦٢. فيها شِـدَّةُ تأكيدِ اللهِ عزَّ وجلَّ على إبلاغِ شَـريعتِه؛ لأنَّ هذه الجملةَ: ﴿ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ شـديدةٌ جدًّا؛ ممَّا يدلُّ على أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لا يَرضَى لعِبادِه أن يتركوا شريعتَه غيرَ مبلَّغةٍ.

١٣٦٣. قال صـاحب الانتصـاف ما ملخصـه: "ولما كان عدم تبليغ الرسـالة أمرا معلوما عند الناس أنه عظيم شنيع، ينقم على مرتكبه بل إن عدم نشر العلم من العالم أمر فظيع، فضلا عن كتمان الرسـالة من الرسـول: لما كان الأمر كذلك اسـتغنى عن ذكر الزيادات التي يتفاوت بها الشـرط والجزاء، للصـوقها بالجزاء في الأفهام، وإن كان من سمع عدم تبليغ الرسـالة فهم ما وراءه من الوعيد والتهديد، وحسـن هذا الأسلوب في الكتاب العزيز يذكر الشـرط عاما بقوله: ﴿ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ ﴾ ولم يقل: فإن لم تبلغ الرسـالة فما بلغت الرسـالة، حتى يكون اللفظ متغايرا، وهذه المغايرة اللفظية- وإن كان المعنى واحدا- أحســـن رونقا، وأظهر طلاوة من تكرار اللفظ الواحد في الشرط والجزاء، وهذا الفصل كاللباب من علم البيان».

١٣٦٤. وفيها: أنَّ كتْمَ شـــيءٍ من الشـــريعةِ كَكَتْمِ جميعِها؛ لقولِه: ﴿ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾

١٣٦٥. وإضافة الرسالة إلى الرب جل وعلا تفيد عظمة هذا الدين.

١٣٦٦. قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ يفيد أن الكفر من أسباب الضلال وعدم الهداية.

١٣٦٧. تفيد أن الهداية بيد الله سبحانه وتعالى وحد، يهبها لمن يستحقها، ويحرمها من ليس أهلا لها.

قال تعالى:﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۖ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٨].

١٣٦٨. ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ فيها دعوة للإنصاف مع أهل الباطل، فمع المخالف من أهل الحق من باب أولى.

١٣٦٩. فيها الدلالة على ضلال اليهود والنصارى وزيغهم عن الحق، وذلك بما انطوت عليه أنفسهم من حقد وحسد واستكبار.

١٣٧٠. التعبير بقوله- تعالى-﴿ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ ﴾ فيه ما فيه من الاستخفاف بهم، والتهوين من شأنهم، أي: لستم على شيء يعتد به ألبتة من أمر الدين، ما داموا لم يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي بشرت به التوراة والإنجيل.

١٣٧١. تفيد أنه يجب على الإنسان أن يعلن براءته من هذا الشرك، ويبين أنهم ليسوا على شيء حتى نتبعهم لقوله:﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ﴾.

١٣٧٢. فيها بيان بطلان دعوى (تقارب الأديان) لقوله تعالى عن أهل الكتاب ﴿لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ﴾ فشيء هنا للتقليل والتصغير والتحقير، فعلى أي شيء يكون التقارب وفي أي شيء يكون؟؟!!

١٣٧٣. في الآية دعوة للاعتزاز بالدين الإســـلامي الحق، وتعرية لما عليه كثير من أهل الكتاب، وكشف لبواطنهم المريضة.

١٣٧٤. قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ﴾ فيها أن معيار الهداية هو العمل بالقرآن، والســـنة، فليس أهل القرآن على شـــيء حتى يقيموا القرآن والسنة في أنفسهم ومجتمعهم.

١٣٧٥. فيها أن من أقام القرآن أقام التوراة والإنجيل، فمن ادعى إقامة التوراة وهو كافر بالإنجيل فدعواه باطلة وهكذا.

١٣٧٦. فيها أن دعوة أهل الكتاب تبدأ بمطالبتهم بالعمل بما أنزل إليهم من ربهم.

١٣٧٧. فيها أن من أقر بالربوبية لزمه الإقرار بالألوهية، فمن لم ينكر ربوبية ربه لزمه أن يقوم بأمره.

١٣٧٨. يفهم من الآية أنهم لو أقاموا التوراة لكانوا على شـــيء لأن (حتى) حرف غاية، ولا يكونون على شيء حتى يتبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم وفي ذلك إشارة صريحة لذكر نبينا وعلاماته ووصفه في التوراة.

١٣٧٩. قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾ فيها دلالة على أن الإتيان بروح النص لا يكون إلا بالعمل، كما أن أداء الصلاة لا ينفع حتى تقام بروحها، وهي تربية للمهتمين بحفظ النصوص والمتون بانهم لن يكونوا في زمرة العلماء الا بحياة علمهم.

١٣٨٠. قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ﴾ تفيد أن القرآن كلام الله عز وجل ليس مخلوقا، فهو وصف وما دام وصفا لزم أن يكون منزلا لا مخلوقا.

١٣٨١. قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ﴾ فيها إثبات العلو لله عز وجل.

١٣٨٢. إضافة الربوبية للكافرين، في قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ﴾ من باب إقامة الحجة عليهم، وليست إضافة تشريف لهم.

١٣٨٣. فيها وجوب الإيمان بالكتب السماوية وهي من أركان الإيمان الستة.

١٣٨٤. فيها أن الآيات البينات لا تزيد المستكبرين الطغاة إلا طغيانا، لقوله ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ﴾.

١٣٨٥. فيها أن ديدن أكثر أهل الكتاب الكفر بالقرآن والتكذيب له.

١٣٨٦. فيها التحلي بالإنصاف حتى مع الخصوم، لقوله ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ﴾، ولَم يقل كلهم، فهناك من يزداد إيمانا بالقرآن.

١٣٨٧. فيها: جواز توكيد الكلام بما يثبت صدقه مع أن أصله صدقا، فقد يستغرب أن يكون القرآن لا يزيد هؤلاء إلا طغيانا وكفرا، فأكد سبحانه ذلك، فتأكيد الكلام صادر من صادق فلا بد أن يكون له سبب.

١٣٨٨. فيها أن الكفر يزيد وينقص، كما أن الإيمان يزيد وينقص، لقوله ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ﴾ فيكون هناك كفر دون كفر كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ذلك.

١٣٨٩. فيها: عناية الله البالغة بنبيه عليه الصلاة والسلام ﴿ مِن رَّبِّكَ ﴾ فالربوبية له هنا تشريف وتعظيم، فلا يمكن أن يزيد أو ينقص فيما أنزل إليه عليه الصلاة والسلام.

١٣٩٠. تفيد كفر أهل الكتاب وطغيانهم؛ فقوله:﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ﴾ جملة مستأنفة مبينة لغلوهم في العناد والجحود، وناعية عليهم عدم انتفاعهم بما يشفى النفوس، ويصلح القلوب.

١٣٩١. تفيد حقد أهل الكتاب على هذا الدين وأهله؛ قال ابن عاشور: وقوله:﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ﴾، أي من أهل الكتاب، وذلك إمّا بباعث الحسد على مجيء هذا الدّين، ونزول القرآن ناسخاً لدينهم، وإمَّا بما في بعض آيات القرآن من

قوارعهم وتفنيد مزاعمهم. ولم يزل الكثير منهم إذا ذكروا الإســـلام حتّى في المباحث التّاريخيّة والمدنيّة يحتدّون على مدنيّة الإســـلام ويقلبون الحقائق، ويتميّزون غيظاً ومكابرة حتّى ترى العالِمَ المشـهود له منهم يتصـاغر ويتسـقّل إلى دركات التباله والتّجاهل، إلاّ قليلاً ممّن اتّخذ الإنصـاف شعاراً، وتباعد عن أن يُرمى بسوء الفهم تجنّباً وحِذاراً.

١٣٩٢. سمّى الله جل وعلا ما يعترضهم من الشجا في حلوقهم بهذا الدّين ﴿ طُغۡيَٰنًا ﴾ لأنّ الطغيان هو الغلوّ في الظلم، واقتحام المكابرة مع عدم الاكتراث بلوم اللاّئمين من أهل اليقين. (التحرير والتنوير).

١٣٩٣. قوله ﴿ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ تهدي إلى ترك الأسى على الكافرين.

١٣٩٤. فيها تسـلية النبي صـلى الله عليه وسـلم بأن لا يأسـى على القوم الكافرين، فالفاء للفصيحة لتتمّ التّسـلية، لأنّ رحمة الرسـول بالخَلْق تحزنه ممّا بلغ منهم من زيادة الطّغيان والكفر، فنبّهتْ فاء الفصيحة على أنّهم ما بَلغوا ما بَلغوه إلاّ من جرّاء الحسد للرسول فحقيق أن لا يحزن لهم. وهي ضمنا تسلية لكل داعية إلى الله عز وجل فليصبر وليحتسب فهو على الحق.

١٣٩٥. فيها إشـارة إلى أن الداعي يصـيبه الحزن على كفر الكافر، لأن الكافر متوعد بالنار وهو ما ينبيء عن بعض مقومات الداعية مثل الرحمة والاشـــفاق على المســـتهدفين، والحرص الشديد على هدايتهم.

١٣٩٦. في سـورة النحل نهاه عن الحزن عن عدم إيمان المشـركين، فقال ﴿ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧]، وهنا نهاه عن عدم الأســـى عن عدم إيمان أهل الكتاب، ففيها إشارة إلى أن أهل الكتاب أقرب وأولى بالإيمان من المشركين فعدم إيمانهم يسبب حزنا أكبر لأنه خلاف المتوقع فنهاه عن الأسى. والله تعالى أعلم.

١٣٩٧. قوله ﴿ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ ذُكر لفظ قوله ﴿ ٱلۡقَوۡمِ ﴾ وأتبع بوصف ﴿ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ ليدلّ على أنّ المراد بالكافرين هم الّذين صـار الكفر لهم سـجيّة وصـفة تتقوّم بها

قوميتهم، ولو لم يذكر القوم وقال: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ لكان بمنزلة اللّقب لهم فلا يُشعر بالتّوصيف، فكان صادقاً بِمَنْ كان الكفر غير راسخ فيه بل هو في حيرة وتردّد، فذلك مرجّو إيمانه. (التحرير والتنوير).

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [المائدة: ٦٩].

١٣٩٨. في افتتاح الآية بـ (إن) فيه تأكيد للخبر، واهتمام به.

١٣٩٩. فيها أن الإيمان بالله واليوم الآخر، والعمل الصالح وسيلة النجاة يوم القيامة، وإن اختلفت الديانات السابقة، فمن آمن منهم بالله واليوم الآخر، فله النجاة، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه من الأمور المخوفة، ولا هم يحزنون على ما خلفوا منها، وهذا الحكم المذكور يشمل سائر الأزمنة.

١٤٠٠. تفيد فضل الإيمان والعمل الصالح، وحسن عاقبته في الدنيا والآخرة، ومن ذلك انتفاء الخوف والحزن عن أهله.

١٤٠١. تفيد الآية عالمية رسالة الإسلام التي جاء بها نبينا محمد ﷺ وأن من دخل في الإسلام من أي الملل فقد أمن من عذاب الله.

١٤٠٢. الإيمان المقرون بالعمل الصالح الخالص لوجهه هو شرعنا وشرع من قبلنا.

١٤٠٣. فيها تقديم الإيمان على العمل الصالح، يدل على أن العمل لا ينفع ولا يصح بدون إيمان.

١٤٠٤. فيها: ابتدأ القرآن بأهل الإسلام لشرفهم، وعلو منزلتهم، وللإشعار بأن دين الإسلام دين قائم على أساس أن الفوز برضا الله لا ينال إلا بالإيمان الصادق والعمل الصالح، ولا فضل لأمة على أمة إلا بذلك.

١٤٠٥. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وكذلك كل من كان قبلنا من أهل السعادة فهو مؤمن قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [سورة المائدة ٦٩] فإن النصارى أفضل من الصابئين فلما قدموا عليهم نصب لفظ الصابئون، ولكن الصابئون أقدم في الزمان، فقدموا ها هنا لتقدم زمنهم ورفع اللفظ ليكون ذلك عطفا على المحل فإن المعطوف على المحل مرتبته التأخير ليشعر أنهم مؤخرون في المرتبة وإن قدموا في الزمن واللفظ.

١٤٠٦. فيها: تنكير كلمة ﴿وَعَمِلَ﴾ تدل على كثرة الأعمال وتنوعها، وفي هذا رحمة وتيسير للعباد؛ فالحمد لله رب العالمين.

١٤٠٧. تفيد إثبات ركنين من أركان الإيمان، وهما: الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر.

١٤٠٨. تفيد إثبات اليوم الآخر، وترشد إلى الإعداد له بالإيمان والعمل الصالح.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠].

١٤٠٩. مناسبة الآية لما قبلها: معنى الميثاق وهو ألا يعبدوا إلا الله، وما يتصل به، والمعنى في هذه الآية ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٨]، فإنا قد أعذرنا إليهم، وأرسلنا الرسل فنقضوا العهود، وكل هذا يرجع إلى ما افتتحت به السورة وهو قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة:٣].

١٤١٠. تفيد تأكيد الكلام بالقسم وغيره من المؤكدات ولو كان المخبر به صادقا؛ لقوله: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ فأكد الله تعالى كلامه بالقسم واللام وقد. (ابن عثيمين).

١٤١١. فيها تعظيم الرب جل وعلا؛ لقوله: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا﴾ ﴿وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا﴾.

١٤١٢. تدل على وجوب الوفاء بالمواثيق وخصوصا المواثيق مع الله عز وجل.

١٤١٣. قوله ﴿ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ﴾ تفيد إثبات الرسالات والنبوات.

١٤١٤. فيها أنَّ مِن رحمةِ اللهِ تبارَك وتعالى بعبادِه أنَّه لم يَكِلْهم سبحانه وتعالى إلى ما عَلِموه بفِطَرِهم، بل أرسلَ إليهم الرُّسلَ؛ لتؤكِّدَ ذلك.

١٤١٥. يدل التنكير في قوله:﴿ رُسُلًا ﴾ للتكثير والتعظيم.

١٤١٦. تفيد أهمية الرسل والرسالات في حياة الأفراد والجماعات.

١٤١٧. التعبير بقوله: ﴿ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ يدل على أن حال بنى إسرائيل بالنسبة للرسل يدور بين أمرين: إما التكذيب لهم، والاستهانة بتعاليمهم وإما أن يجمعوا مع التكذيب قتلهم وإزهاق أرواحهم الشريفة. فكأن التكذيب والقتل قد صارا سجيتين لهم لا تتخلفان في أي زمان ومع أي رسول، وذلك لأن لفظ ﴿ كُلَّمَا ﴾ يدل على العموم. «وما» مصدرية ظرفية دالة على الزمان، فكأنه- سبحانه- يقول: في كل أوقات مجيء الرسل إليهم كذبوا ويقتلون دون أن يفرقوا بين رسول ورسول أو بين زمان وزمان.

١٤١٨. تفيد انه لا غني للخلق من رسول، قال ابن عاشور:" إنّ بعثة الرسل القصد منها كبح الأنفس عن كثير من هواها الموقع لها في الفساد عاجلاً والخسران آجلاً، ولولا ذلك لتُرك النّاس وما يهوَوْن، فالشرائع مشتملة لا محالة على كثير من منع النّفوس من هواها. ولما وصفت بنو إسرائيل بأنّهم يكذّبون الرسل ويقتلونهم إذا جاؤوهم بما يخالف هواهم علمنا أنّه لم يَخْلُ رسول جاءهم من أحد الأمرين أو كليهما: وهما التّكذيب والقتل. وذلك مستفاد من﴿ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ ﴾، فلم يبق لقوله: ﴿ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ ﴾ فائدة إلاّ الإشارة إلى زيادة تفظيع حالهم من أنّهم يكذّبون الرسل أو يقتلونهم في غير حالة يلتمسون لأنفسهم فيها عُذراً من تكليفٍ

بمشقّة فادحة، أو من حدوث حادثة ثائرة، أو من أجل التّمسّك بدين يأبون مفارقته، كما فعل المشركون من العرب في مجيء الإسلام، بل لمجرّد مخالفة هوى أنفسهم بعد أن أخذ عليهم الميثاق فقبلوه فتتعطّل بتمرّدهم فائدة التّشريع وفائدة طاعة الأمّة لهُداتها. (التحرير والتنوير).

١٤١٩. فيها تعليم عظيم من القرآن بأنّ من حقّ الأمم أن تكون سائرة في طريق إرشاد علمائها وهداتها، وأنّها إذا رامت حمل علمائها وهدَاتها على مسايرة أهوائها، بحيث يُعْصَوْن إذا دَعوا إلى ما يخالف هوى الأقوام فقد حقّ عليهم الخسران كما حقّ على بني إسرائيل، لأنّ في ذلك قلباً للحقائق ومحاولة انقلاب التّابع متبوعاً والقائد مقوداً، وأنّ قادة الأمم وعلماءها ونصحاءها إذا سايروا الأمم على هذا الخُلق كانوا غاشّين لهم، وزالت فائدة علمهم وحكمتهم واختلط المرْعِيّ بالهَمَل والحَابِلُ بالنابل.

١٤٢٠. فيها التحذير من اليهود، لأنهم ما صدقوا الله ولا احترموا عهوده ومواثيقه سبحانه؛ بل قتلوا رسله وكذبوهم فهل يتصور المسلم أن يصدقوا معه، ويحافظوا على دمه.

١٤٢١. قوله ﴿ كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ ﴾ تبين أن اتباع الهوى أساس كل ضلال فقد يؤدِّي إلى الهلاكِ، وإلى فِعْلِ ما يَقبُحُ شرعًا وعقلًا.

١٤٢٢. فيها التعريض باليأس من هداية اليهود، لأنهم جعلوا هوى النفس حكماً على ما أنزله الله.

١٤٢٣. تدل ﴿ كُلَّمَا ﴾ على استمرار تكذيبهم في كل الأزمنة.

١٤٢٤. فيها ذم اليهود، وتوبيخهم على أفعالهم المشينة وتصرفاتهم التي بلغت غاية القبح والضلال.

١٤٢٥. فيها: التَّحذيرُ ممَّا فعلتْ بنو إسرائيلَ مِن تكذيبِ الرُّسلِ والعُدوانِ عليهم؛ لأنَّ اللهَ لم يقُصَّ قَصصَ الأنبياءِ وقومِهم للعِلمِ بالتَّاريخِ فقط؛ بل للاعتبارِ بها.

١٤٢٦. فيها التحذير من مسلك انتقاء العمل ببعض النصوص دون بعض كما هو حاصل عند كثير من الناس اليوم وللأسف وهي ما يسمى بالقراءة التجزيئية وهي سنة يهودية كما هنا وهي كما قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍۚ﴾، والواجب على المسلم أن يكون ممن قال تعالى عنهم: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾ ؛ لا بما تهوى أنفسهم فقط.

١٤٢٧. تفيد بشرية الرسل وأنهم تعرضوا للقتل؛ لكي لا تتعلق القلوب إلا بربها جل وعلا، ولا تغلو فيهم كما حصل من اليهود والنصارى فألهوهم واتخذوا قبورهم مساجد.

١٤٢٨. تفيد قوله سبحانه: ﴿ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ ﴾ المبالغة في ذمهم، إذ هوى النفس ميلها في الغالب إلى الشهوات التي لا تنبغي، والرسل ما أرسلهم الله- تعالى- إلا لهداية الأنفس، وكفها عن شهواتها التي يؤدى الوقوع فيها إلى المفاسد. وبنو إسرائيل لا يكذبون الرسل، ويقتلونهم إلا لأنهم جاءوهم بما يخالف هواهم، ويتعارض مع أنانيتهم وشرههم ومطامعهم الباطلة.

١٤٢٩. فيها أن الأمم إذا فسدت فطرها سيطرت عليها الأطماع والشهوات، وصارت ترى الحسن قبيحا، وتحارب من يهديها إلى الرشاد حتى لكأنه عدو لها.

١٤٣٠. على المرء مجاهدة النفس، فالإيمان بما تهواه النفس ورد ما سواه هو عبادة الهوى.

١٤٣١. استهداف الشخصيات المؤثرة والعمل على تصفيتها وقتلها هو شأن اليهود، فإذا استهدفوا الأنبياء مع ما لهم من حرمة عظيمة لهذا السبب فمن باب الأولى التجرؤ على استهداف غيرهم. وعملهم اليوم في فلسطين قائم على ذلك، وكل من يأتي إليهم بما لا تهوى أنفسهم يقتلونه.

١٤٣٢. فيها الاهتمام بتفصيل أحوال بنى إسرائيل السيئة، وبيان ما لقيه الرسل الكرام منهم.

١٤٣٣. فيها أن الله يبتلي العباد ببعض الأوامر والنواهي التي تخالف شهوات النفوس ورغباتها ليظهر من يخاف الله ويتقيه.

١٤٣٤. فيها أن في بعض طبائع النفوس ما يحتاج معه العبد إلى مكابدة ومجاهدة حتى يكون من أولياء الله المخلصين.

١٤٣٥. قدم- سبحانه- المفعول به في قوله ﴿ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾، عبر عن التكذيب بالفعل الماضي فقال:﴿ فَرِيقًا كَذَّبُواْ ﴾ وعن القتل بالفعل المضارع فقال: ﴿ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ لحكاية الحال الماضية التي صدرت من أسلافهم بتصوير ما حصل في الماضي كأنه حاصل وقت التكلم، ولاستحضار جريمتهم البشعة في النفوس حتى لكأنها واقعة في الحال، وفي ذلك ما فيه من النعي عليهم. والتوبيخ لهم والتعجيب من أحوالهم التي بلغت نهاية الشناعة والقبح.

قال تعالى:﴿ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٧١].

١٤٣٦. هذه الآية الكريمة مسوقة لبيان فساد معتقدات بنى إسرائيل، وما جبلت عليه نفوسهم من جحود وغرور، حيث ارتكبوا ما ارتكبوا من جرائم ومنكرات تقشعر لها الأبدان، ومع كل ذلك حسبوا أن الله- تعالى- لا يعاقبهم عليها، لأنهم- كما يزعمون- أبناء الله وأحباؤه. ثم إنهم بعد أن تاب الله عليهم نقضوا عهودهم معه وعادوا إلى عماهم عن الدين الذي جاءتهم به رسلهم وإلى صممهم عن الاستماع إلى الحق الذي ألقوه إليهم. (الوسيط).

١٤٣٧. يدل قوله ﴿ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ﴾ على أنه من أمن العقوبة أساء الأدب.

١٤٣٨. تفيد ﴿ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ ﴾ الحذر من استصغار الفتن والمعاصي، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:(إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفعه الله

بها درجات وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم) رواه البخاري.

١٤٣٩. فيها أن أعظم الفتن هي الفتنة في الدين.

١٤٤٠. فيها أن من عقوبات المعاصي عدم الفهم الصحيح للشريعة، لقوله: ﴿ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ ﴾.

١٤٤١. تفيد أن الذنوب والاستكبار على الحق سبب للفتنة والضلال؛ لهذا قال تعالى ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣].

١٤٤٢. تفيد خطورة الاغترار والأمن من مكر الله عز وجل لقوله: ﴿ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ ﴾.

١٤٤٣. تفيد أن الذنوب سبب للعقوبة، ولو بعد حين، فعلى الإنسان أن يخاف من عاقبة معصيته، وآثارها الوخيمة.

١٤٤٤. فيها دليل على غباء بني إسرائيل فهم يقتلون ويكذبون ويأمنون العقوبة.

١٤٤٥. في الآية: تقرير القاعدة الربانية العظيمة الجزاء من جنس العمل في الخير والشر.

١٤٤٦. تفيد أن عماهم عن الطريق القويم، وصممهم عن سماع الحق كان سببه ظنهم الفاسد، واعتقادهم الباطل أن ما ارتكبوه من قبائح لن يعاقبوا عليه في الدنيا. ففيها أهمية العقيدة الصحيحة في صلاح الإنسان.

١٤٤٧. تفيد إلى عدم اهتمامهم بمصيرهم في الآخرة ببيان أنهم ظنوا أن لن تنزل بهم مصائب في الدنيا بسبب مفاسدهم، هذا الظن هو الذي جعلهم يرتكبون ما يرتكبون من قبائح. أما الآخرة فلا مكان لها في تفكيرهم، لأنهم قوم تعساء يحرصون على الدنيا حرصا شديدا دون أن يعيروا الآخرة وما فيها من حساب وثواب وعقاب أي اهتمام.

١٤٤٨. قوله ﴿ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ ﴾ فيها شمول العماية والصمم في المرة الأولى ثم إن الناكصين بعد أن تاب الله عليهم في المرة الثانية أغلب وأكثر ممن بقوا على توبتهم.

١٤٤٩. تفيد أهمية البصر والسمع في إدراك الحق، والتمسك به، لأن بهما يكون الاعتبار بخلاف هؤلاء ونحوهم ممن عطلوا حواسهم، فعميت قلوبهم، وتبلدت أحاسيسهم لقوله﴿ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ﴾.

١٤٥٠. تفيد أن الصمم الحقيقي هو عدم سماع الحق والإعراض عنه والاستكبار عليه ولذلك وصفهم بالصمم، والعمى لقوله﴿ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ﴾.

١٤٥١. فيها الدلالة على كرم الله تعالى، وواسع رحمته فقد يتوب عمن عمي وصم عن الحق، ومن أسمائه الحسنى (التواب).

١٤٥٢. فيها: من ديدن اليهود الرجوع إلى الباطل بعد المعافاة منه والتوبة، لقوله ﴿ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ ﴾.

١٤٥٣. قوله ﴿ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ ﴾ بيان لنقضهم لعهودهم مع الله، وارتكاسهم في الذنوب والخطايا والمنكرات ارتكاسا شديدا بحيث صاروا ليسوا أهلا لقبول التوبة منهم بعد ذلك.

١٤٥٤. فيها الحذر من الفسق وبطر النعمة فهو من أسباب زوالها، لقوله ﴿ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ ﴾.

١٤٥٥. فيها إشارة إلى أن من غلب عليه السوء والقبح لا يحسن أن يشاد به ويسند إليه فعل الخير، لقوله﴿ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ﴾ فلَمْ يُسْنِدِ التَّوْبَةَ إِلَيْهِمْ كَسائِرِ أحْوالِهِمْ مِنَ الحُسْبانِ والعَمى والصَّمَمِ، تَجافِيًا عَنِ التَّصْرِيحِ بِنِسْبَةِ الخَيْرِ إلَيْهِمْ.

١٤٥٦. جيء بحرف العطف (ثُمَّ) المفيد للتراخي في قوله ﴿ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ﴾ للإشارة إلى أن قبول توبتهم كان بعد مفاسد عظيمة وقعت منهم أي: ثم تاب الله عليهم بعد أن كان منهم ما كان من منكرات وجرائم وإعراض عن الرشد والهدى.

١٤٥٧. فيها تربية المؤمن على الإنصاف وعدم التعميم في الحكم على المخالفين؛ لقوله ﴿ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ ﴾ مما يدل على أهمية هذا الخلق وحاجتنا إليه، لاثره البالغ في الائتلاف والاجتماع.

١٤٥٨. قوله ﴿ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ ﴾ بدل من الضمير في قوله ﴿ عَمُواْ وَصَمُّواْ ﴾ وهذا الإبدال في غاية الحسن، لأنه لو قال عَمُوا وصَمُّوا بدون هذا البدل لأوهم ذلك أنهم جميعا صاروا كذلك. فلما قال ﴿ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ ﴾ دل على أن العمى والصمم قد حدث للكثيرين منهم، وهناك قلة منهم لم تنقض عهودها مع الله- تعالى- بل بقيت على إيمانها وصدق توبتها.

١٤٥٩. فيها: كمال علم الله عز وجل في قوله﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾ حيث لا يخفى عليه شيء، وسيجازيهم على سوء أعمالهم.

١٤٦٠. فيها: عموم علم الله جل وعلا، فإن (ما) في ﴿ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾ تفيد العموم.

قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾ [المائدة: ٧٢].

١٤٦١. فيها توكيد الحكم بما يدفع الشك؛ لقوله: ﴿ لَقَدۡ كَفَرَ ﴾ فإن الجملة مؤكدة بثلاثة مؤكدات: القسم، واللام، و(قد).

١٤٦٢. قوله ﴿ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ ﴾ تدل على ضلال النصارى وكفرهم، في زعمهم الباطل ألوهية عيسى بن مريم عليه السلام.

١٤٦٣. قوله ﴿ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ ﴾ تفيد أن الكفر يكون بالقول، والاعتقاد، والعمل كالسجود للصنم، وإهانة المصحف، وهؤلاء كفروا بهذه المقالة الجائرة الكافرة الباطلة.

١٤٦٤. تفيد التحذير من الغلو؛ لأن هؤلاء وصلوا لهذا القول الشنيع بسبب الغلو، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ ﴾ [النساء: ١٧١].

١٤٦٥. تفيد جواز نسبة الرجل إلى أمه إذا لم يكن له أب﴿ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ ﴾.

١٤٦٦. تفيد أن المسيح عليه السلام مخلوق مربوب ليس له من الربوبية والألوهية شيء.

١٤٦٧. ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ ﴾ تفيد أن دعوة الأنبياء واحدة.

١٤٦٨. فيها رد الله قولهم الكفري بحجة قاطعة مما يقرون به؛ فقال: ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ ﴾ » أي: إذا كان المسيح يقول: يا رب ويا الله فكيف يدعو نفسه أم كيف يسألها؟ هذا محال. (أفاده القرطبي).

١٤٦٩. تفيد هذه الآية الكريمة: أنه لا كفر إلا بعد قيام الحجة، بناء على أن الواو في قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ ﴾ حالية، يعني أنهم كفروا وقد بين لهم الأمر ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ ﴾ (ابن عثيمين).

١٤٧٠. في هذه الآية الكريمة: المنقبة والشرف العظيم للرسل عليهم الصلاة والسلام، حيث أنكر عيسى أن يكون هو الله في هذه الجملة العظيمة: ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ ﴾ وهذا مقام الرسل وأتباعهم الذين لا يريدون العلو في الأرض ولا الفساد، وانظر إلى قول الرسول عليه الصلاة والسلام حين قيل له: ما شاء الله وشئت، هل أقر هذا؟ لا، أنكره

وقال: «أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا؟ بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»، وهكذا أتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام، لا يريدون من الناس أن ينزلوهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله عز وجل، بل إن أتباع الرسل كلما أنعم الله عليهم بالاتباع ازدادوا تواضعًا للخلق وتواضعًا للحق. (ابن عثيمين).

١٤٧١. تفيد إقامة الحجة على أهل الشرك، حيث أشركوا بالله مع أنه ربهم، وأن الأصنام ليس لها شأن في الربوبية إطلاقًا، فهي لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر، أموات غير أحياء.

١٤٧٢. قال ابن عثيمين: أنه لا حظ لعيسى في الألوهية والربوبية؛ لقوله: ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ هذا في الألوهية، ﴿ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ ﴾ في الربوبية، فعيسى بن مريم ليس له حق في الألوهية ولا في الربوبية.

١٤٧٣. فيها الاستدلال بنعمة الربوبية على عبادة الله وحده وعدم الإشراك به ﴿ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ ﴾ ونعمة الربوبية التي تقتضي الخلق، والإيجاد، والتربية من أكبر النعم.

١٤٧٤. ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ ﴾ فيها بطلان عقيدة النصارى بشهادة نبيهم عيسى عليه السلام.

١٤٧٥. تفيد أن المسيح عليه السلام مرسل إلى بني إسرائيل، وأن رسالته ليست عامة كرسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، لقوله ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ ﴾.

١٤٧٦. ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾ فيها عظيم خطر الشرك بالله عز وجل فمصير صاحبه إلى النار وهو من أكبر محبطات العمل.

١٤٧٧. مفهوم المخالفة فيها يدل على عظيم فضل التوحيد وأنه هو المنجي لصاحبه، ومن أسباب دخول الجنة.

١٤٧٨. قوله ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ تفيد أن الحرمان من دخول الجنة من أعظم العقوبات، ومفهومها أن دخول الجنة فوز عظيم، كما قال تعالى: ﴿ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

١٤٧٩. تفيد إثبات الجنة، وهي دار الخلود والنعيم المقيم.

١٤٨٠. فيها: جمع- سبحانه- بين العقوبة السلبية للمشركين وهي حرمانهم من الجنة وبين العقوبة الإيجابية وهي استقرارهم في النار، للإشارة إلى عظيم جرمهم حيث أشركوا بالله، وتقولوا عليه الأقاويل الباطلة التي تدل على جهلهم وسفاهتهم.

١٤٨١. ﴿ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾ بصيغة الجمع لكلمة «أنصار»، وبالتأكيد ب(من) المفيدة للاستغراق، للإيذان بأنه إذا كان الظالمون لن يستطيع الأنصار مجتمعين أن ينصروهم فمن باب أولى لن يستطيع واحد أن ينصرهم.أي: مالهم من أحد كائنا من كان أن ينقذهم من عقاب الله بأى طريقة من الطرق.

قال تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣ ﴾ [المائدة: ٧٣].

١٤٨٢. مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه جل وعلا بعد أن بين صورة من صور كفر النصارى في الآية السابقة، وهي زعمهم أن الله هو المسيح ابن مريم وهي عقيدة التجسد والحلول ذكر تعالى في هذه الآية الصورة الثانية من صور كفرهم وهي زعمهم أن الله ثالث ثلاثة، وهي عقيدة التثليث عندهم.

١٤٨٣. من المناسبات أيضا أن سورة المائدة تسمى بسورة العهود والمواثيق والآية فيها ذِكر من نقض أعظم ميثاق وهو التوحيد، فمقصود الآية التحذير من هذه الأقوال الباطلة والاعتقادات الفاسدة.

١٤٨٤. فيها أنه تعالى وصـــفهم بالكفر، وأظهر شـــبهتهم، ثم رد عليهم، ثم عرض عليهم التوبة، ثم هددهم إن استمروا على كفرهم، وهذا قمة البلاغة في كتاب الله تعالى.

١٤٨٥. تفيد أن الثوابت لا تهاون ولا أنصــاف حلول معها، لهذا قال بكل وضــوح ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾.

١٤٨٦. التعبير عنهم بالاسم الموصول في قوله ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ ﴾ للتحقير.

١٤٨٧. فيها أن عادة القرآن أنه يتعرض للشـبهة دون ذكر أسماء أصـحابها ليبقوا نكرات ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾.

١٤٨٨. فيها أن من أعظم الشرك والكفر تسوية رب العالمين بخلقه ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ أي واحد منهم.

١٤٨٩. فيها تفسـير التوحيد وهو النفي مع الإثبات ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ ولا يتم التوحيد إلا بنفي إلهية كل من سوى الله، ثم إثبات الإلهية لله وحده وهو معنى لا إله الا الله.

١٤٩٠. فيها التأكيد على إبطال عقيدة التثليث بالحصر الموجود في الآية، وكذلك بحرف الجر الزائد (من) ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾.

١٤٩١. تفيد بيان التوحيد بدليل عقلي؛ لقوله: ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ أي لا يمكن ولا يصلح أن تتعدد الآلهة، قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، قال القرطبي: وقال: ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾: أن الإله لا يتعدد وهم يلزمهم القول بثلاثة آلهة كما تقدم، وإن لم يصرحوا بذلك لفظا.

١٤٩٢. فيها أن التوبة النصـوح تجب ما قبلها ولو كان الشـرك بالله ﴿ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ ﴾ مفهوم المخالفة أنهم إن انتهوا عن مقالتهم هذه رحمهم وغفر لهم.

١٤٩٣. التعبير بالمضارع في قوله ﴿ عَمَّا يَقُولُونَ ﴾ لإفادة التجدد حيث صار هذا المعتقد ديدنهم وسيرتهم التي يتناقلونها.

١٤٩٤. فيها أن الكفر يكون بالقول ﴿ عَمَّا يَقُولُونَ ﴾ كما يكون بالعمل والاعتقاد.

١٤٩٥. تفيد أن القول أعم فقد يطلق على الاعتقاد، ويطلق على الفعل.

١٤٩٦. قوله ﴿ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ ﴾ يفيد تعليق الشرط ب " إنْ " التي تأتي غالبا في الأمر الممكن غير المحقق، أو قليل الوقوع للدلالة على إحاطة وشمول علم الله جل جلاله؛ لعلمه جل جلاله أنّ المنتهين عن هذه المقالة قليل، وأكثر القائلين بها لا ينتهون.

١٤٩٧. فيها كمال العدل الإلهي، حيث قال ﴿ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ فلا يؤخذ المرء بجريرة غيره كما هو الحال في النظم الجاهلية.

١٤٩٨. فيها أنه لا يصح التعميم في التجريم لذا عبر عنهم بالاسم الموصول لكي يختص الحكم بالذين قالوا ذلك فقط، ويحترز عن النصارى الذي لم يقولوا هذه المقالة، وماتوا قبل الإسلام.

١٤٩٩. فيها جانب تربوي كبير، حيث لم يكتف بالحكم عليهم بالكفر، إنما علل وبين أنه واحد، وهكذا ينبغي أن يكون المربين.

١٥٠٠. فيها: أكد- سبحانه- وعيدهم بلام القسم في قوله ﴿ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ردا على اعتقادهم أنهم لا تمسهم النار، لأن صلب عيسى- في زعمهم- كان كفارة عن خطايا البشر.

١٥٠١. فيها عبر بالمس للإشارة إلى شدة ما يصيبهم من آلام: لأن المراد أن هذا العذاب الأليم يصيب جلدهم وهو موضع الإحساس فيهم إصابة مستمرة، كما قال تعالى: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ﴾ [النساء: ٥٦].

١٥٠٢. قوله- سبحانه-: ﴿ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ التعبير بالظاهر دون الضمير للإشارة إلى سبب العذاب وهو كفرهم لأن التعبير بالموصول يشير إلى أن الصلة هي سبب الحكم.

١٥٠٣. ﴿ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ ﴾ أكد سبحانه وتعالى هذه الجملة بالقسم المقدر قبل " إنْ" ودخول اللام المؤكدة على جواب القسم المقدر، والتعبير بالمس بصيغة المضارع وتنكير العذاب، ووصفه بكونه أليما فيه من زيادة التهويل ما فيه.

١٥٠٤. قوله ﴿ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ لم يخص أصحاب المقالة وحدهم بالعذاب وإنما عمم الحكم، قال الطبري: لأن الفريقين كلاهما كفرة مشركون، فلذلك رجع في الوعيد بالعذاب إلى العموم، ولم يقل: " ليمسنَّهم عذابٌ أليم "، لأن ذلك لو قيل كذلك، صار الوعيد من الله تعالى ذكره خاصًّا لقائل القول الثاني، وهم القائلون: " الله ثالث ثلاثة "، ولم يدخل فيهم القائلون: " المسيح هو الله ". فعمّ بالوعيد تعالى ذكره كلَّ كافر، ليعلم المخاطبون بهذه الآيات أنّ وعيد الله قد شمل كلا الفريقين من بني إسرائيل، ومن كان من الكفار على مثل الذي هم عليه.

١٥٠٥. تفيد أن عذاب الله عز وجل إذا نزل بالكافرين فهو أليم موجع.

قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٧٤].

١٥٠٦. تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها؛ فلمّا توعّدهم الله أعقب الوعيد بالترغيب في الهداية فقال: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥ ﴾ فالتّوبة هي الإقلاع عمّا هو عليه في المستقبل، والرجوعُ إلى الاعتقاد الحقّ، والاستغفار طلب مغفرة ما سلف منهم في الماضي والنّدمُ عمّا فرط منهم من سوء الاعتقاد.

١٥٠٧. الاستفهام هنا يتضمن حضهم على التوبة، والرجوع إلى الحق، وتوبيخهم على ما كان منهم من ضلال، والتعجيب من استمرارهم على كفرهم وعقائدهم الفاسدة التي لا يقبلها عقل سليم، ولا تصور قويم.

١٥٠٨. تصدير دعوتهم إلى التوبة بأسلوب العرض يدل على غاية اللطف واللين ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ﴾.

١٥٠٩. فيها دلالة على عظيم كرم الله جل وعلا، حيث يعرض عليهم التوبة، ويرغبهم فيها مع جعلهم لله شركاء، فإذا كانت هذه الدعوة والرحمة للعاصين إذا تابوا واستغفروا فكيف رحمته بالطائعين.

١٥١٠. يستفاد من الآية أن أسلوب التحضيض والترغيب يأتي بعد أسلوب التهديد والوعيد، ليبقي لهم الباب مفتوحا، ويطمعهم في مغفرة الله ورحمته، قبل التحسر والندم.

١٥١١. فيها الحث على التوبة والاستغفار، لعظيم أثرهما في مغفرة الذنوب وإن عظمت وبلغت ما بلغت.

١٥١٢. تدل على وجوب الإخلاص في التوبة، كما قال ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

١٥١٣. تفيد أهمية كثرة التوبة والاستغفار، وتكرارها من العبد، ﴿يَتُوبُونَ﴾ ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥ﴾.

١٥١٤. فيها الإنكار على تارك التوبة والاستغفار.

١٥١٥. فيها أن التوبة مقبولة حتى من الكافر.

١٥١٦. تفيد إثبات صفة المغفرة والرحمة لله سبحانه وتعالى كما يليق بعظمته وجلاله، وإثبات اسم الغفور والرحيم لله رب العالمين.

١٥١٧. تفيد أن على من يدعو الناس إلى التوبة أن يذكر أسماء الله الحسنى الدالة على المغفرة والرحمة حثا لهم وترغيبا وتعليما.

١٥١٨. قوله ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ تذييل بثناء على الله بأنّه يغفر لمن تاب واستغفر ما سلف منه، لأنّ ﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ من أمثلة المبالغة يدلاّن على شدّة الغفران وشدّة الرّحمة، فهو وعد بأنّهم إن تابوا واستغفروه رفَع عنهم العذَابَ برحمته وصفح عمّا سلف منهم بغفرانه.

١٥١٩. دائمًا يقْرِن الله تعالى بين هذين الاسمين الكريمين؛ لأن بالأول يَزول المرهوب وتُغفَر الذنوب، وبالثاني يَحْصُل المطلوب؛ لأن الرحمة جلب الخير والإحسان.

١٥٢٠. ختامها بقوله: ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ فيه إشارة إلى: أنه ينبغي على من يأمر بالرجوع إليه في أمر ما، أن يكون أهلا له. وكأنه – جل ذكره – يقول: أفلا يتوبون إلي وأنا أهل المغفرة. يريد: توبوا إلي.

قال تعالى: ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المائدة: ٧٥].

١٥٢١. فيها إبطال معتقد النصارى في إلهية عيسى بن مريم، وأمه، وأن عيسى رسول مثل بقية الرسل عليهم السلام، لكونهما يأكلان الطعام وما يستلزم من ذلك.

١٥٢٢. فيها استعمال أسلوب النفي (ما) والإثبات (إلا) لإفادة القصر، مما يدل على بشرية عيسى عليه السلام.

١٥٢٣. دخول ﴿ قَدْ ﴾ على الفعل الماضي ﴿ خَلَتْ ﴾ يدل على التحقيق، أي عيسى عليه السلام رسول كسائر الرسل تحققت فيه البشرية والإرسالية.

١٥٢٤. فيها أن مقام الرسالة، وإن كان من أشرف وأعلى مقامات البشرية فلا يخرج الرسول عن كونه عبدا لله تعالى.

١٥٢٥. في الآية الكريمة رد على ما زعمه النصارى في شأن عيسى وأمه بأبلغ وجه وأحكمه، ولذا عجب الله– تعالى– رسوله، وكل من يصلح للخطاب من جهلهم وبعدهم عن الحق مع وضوحه وظهوره.

١٥٢٦. وصفه ب﴿ ٱلْمَسِيحُ ﴾ إشارة إلى أنه وإن مسح على شيء حدثت له بركة، أو على ذوي العاهات برئ أو غير ذلك إنما هو بإذن الله لعبده لا لأنه إله. قال ابن عاشور: "المعجزات التي جاء بها عيسى عليه السلام هي خوارق عادات كما حصل مع الرسل قبله، وإن اختلفت صفات هذه المعجزات، فهو رسول مثلهم، وما كانت تلك المعجزات أن توهم إلهيته.

١٥٢٧. نسبة المسيح عليه السلام إلى أمه لبيان أنه بشر مولود كسائر البشر. قال شيخ الإسلام: فنسبه إلى أمه لينفي نسبته إلى غيرها فلا ينسب إلى الله تعالى أنه ابنه ولا إلى أب من البشر، كما زعمت النصارى الغالية فيه، ولا كما زعمت اليهود الكافرة به.. (الاستغاثة لشيخ الإسلام ابن تيمية ٢٣٨).

١٥٢٨. قوله ﴿ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ﴾ فيها ثناء على مريم عليها السلام بصفة الصديقية، وهي المرتبة الثانية بعد النبوة.

١٥٢٩. في وصف مريم بالصديقية رد على اليهود الذين رموها بالبغاء.

١٥٣٠. قوله ﴿ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ﴾ تعتبر دليلا على عدم نبوتها لأن الصديقية منزلة دون النبوة، وإثباتها يقتضي نفي ما هو أعلى منها من باب أولى.

١٥٣١. تدل على فضل الصدق؛ فبه ينال الإنسان مرتبة الصديقية، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا". رواه مسلم.

١٥٣٢. فيها بمفهوم المخالفة سوء منزلة الكذب، وقبح فعل الكاذبين والمكذبين.

١٥٣٣. وصف مريم بأنّها صدّيقة فيه نفيُ أن يكون لها وصف أعلى من ذلك، وهو وصف الإلهيّة، لأنّ المقام لإبطال قول الّذين قالوا إنّ الله ثالث ثلاثة.

١٥٣٤. فيها إشارة إلى أن المرأة أقل من الرجل، لأن كمال المرأة هو مرتبة الصديقية وكمال الرجل منزلة النبوة، من حيث الجنس والعنصر لا من حيث الوظائف والمهام.

١٥٣٥. فيها جواز ذكر اسم الأنثى إن دعت الحاجة إلى ذلك.

١٥٣٦. تفيد منزلة المرأة الصالحة عند ربها.

١٥٣٧. قوله: ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾ قال ابن عاشـور": جملة واقعة موقع الاسـتدلال على مفهوم القصر الّذي هو نفي إلهيّة المسيح وأمّه، ولذلك فصلت عن الّتي قبلها لأن الدّليل بمنزله البيان، وقد اسـتدلّ على بشـريتهما بإثبات صـفة من صـفات البشـر، وهي أكل الطّعام، وإنّما اختيرت هذه الصّـفة من بين صـفات كثيرة لأنّها ظاهرة واضـحة للنّاس، ولأنّها أثبتتها الأناجيل؛ فقد أثبتت أنّ مريم أكلت ثَمر النخلة حين مخاضـها، وأنّ عيسـى أكل مع الحواريين يوم الفِصْح خبزاً وشرب خمراً، وفي إنجيل لوقاً إصـحاح٢٢ «وقال لهم اشـتهيت أن آكل هذا الفِصـحَ معكم قبل أن أتألّم لأنّي لا آكل منه بعدُ، وفي الصبح إذْ كان راجعاً في المدينة جاع». (التحرير والتنوير).

١٥٣٨. فيها أن أكل الطعام من أبرز مظاهر البشـــرية، لأنه دليل على الاحتياج، والمحتاج لغيره لا يكون إلها، لأن الاله غني عن جميع المخلوقات، قال شـيخ الإسـلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: ذكر ســبحانه وتعالى أنهما: ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾ لأن ذلك من أظهر الأدلة على أنهما مخلوقان مربوبان، إذ الخالق أحد صمد لا يأكل ولا يشرب، وذكر مريم مع عيسى لأن من النصـــارى من اتخذها إلها آخر، فعبدها كما يعبد المســيح.. (الجواب الصـحيح لمن بدل دين المسيح ٤/٢٥٥).

١٥٣٩. الاستدلال بالمحسوس لأنه أبلغ من المعقول فقال ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾.

١٥٤٠. التعبير بالمضـــارع في قوله ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾ يفيد التجدد والاســتمرارية فهي تأكيد على ضعف البشر إذ يحتاجون إلى الطعام فلا يمكن أن يستحق أحدهم الألوهية.

١٥٤١. فيها النهي عن الغلو في معاملة الصالحين.

١٥٤٢. فيها تربية الأمة على الرقي في الذوق، وتقديم فقه الأذواق على فقه الأوراق فالتعبير بقوله تعالى ﴿ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ﴾ المقصـــود به من الحاجة إلى الخلاء، فانظر كيف حرص القرآن على الذوق العام وهو كثير في القرآن الكريم مثل: ﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾[المائدة: ٦].

١٥٤٣. تفيد أنه لا بأس في مجادلة غير المســلمين من اســتعمال الأدلة العقلية التي تدل على بطلان ما يفعلونه.

١٥٤٤. قوله تعالى: ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ فيها دعوة للتأمل والتبصر في آيات الله للوصول على حقائق الأمور وعلى رأسها التوحيد.

١٥٤٥. فيها التعجب من جهلهم وضلالهم بعد أن بيّن الله لهم الآيات أي: ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ ﴾ أي انظر– يا محمد– كيف تبين لهم الأدلة المنوعة على حقيقة عيسى وأمه بيانا واضــحا ظاهرا. ثم انظر بعد ذلك كيف ينصـرفون عن الإصــاخة إليها والتأمل فيها لســوء تفكيرهم، واستيلاء الجهل والوهم والعناد على عقولهم.

١٥٤٦. فيها أخذ العبرة والعظة والنظر، وإن كان الأمر بالنظر هنا خاصا، إلا أنه حث عليه.

١٥٤٧. فيها الرد على أهل التفويض الذين يقولون إن النصــوص القرآنية والنبوية في أسماء الله وصفاته مجهولة المعنى لا تعلم.

١٥٤٨. فيها أن ما يبينه الله عز وجل في كتبه الســماوية آيات، أي: دلالات وعلامات على الحق.

١٥٤٩. فيها: أن الواجب اتباع الحق متى ما ثبت ولكن هؤلاء القوم انصرفوا عن الحق.

١٥٥٠. فيها جيء بـــ(ثم) المفيدة للتراخي في قوله ﴿ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾، لإظهار ما بين وضوح الآيات وانصرافهم عنها من تفاوت شديد أي: أن بياننا للآيات أمر بديع في بابه بحيث يجعل كل عاقل يســتجيب لها، ويخضــع لما تدعو إليه من هدايات وخيرات. وانصــراف هؤلاء

الضالين عنها- مع وضوحها وتعاضد ما يوجب قبولها- أمر يدعو إلى العجب الشديد من جهلهم وضلالهم وسوء تفكيرهم.

١٥٥١. تفيد خطورة الانصراف عن آيات الله تعالى والإعراض عنها بعد بيانها ووضوحها.. فهو دليل الخسران والشقاء.

١٥٥٢. فيها رد على القدرية والمعتزلة، لقوله:﴿ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ فدل على أنهم غير مستقلين بعملهم لأن المعتزلة يقولون: إن العبد يخلق فعل نفسه، وأن مشيئته مستقلة. والله أعلم.

١٥٥٣. تفيد أنه لا تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾

١٥٥٤. تفيد رحمة الله تعالى بعباده حيث بين لهم كل الآيات التي تسوقهم للهدى.

١٥٥٥. تفيد: أن تكرار الله تعالى لقوله:﴿ ٱنظُرۡ ﴾ أولا، ثم قال:﴿ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ ثانيا، في ذلك دليل على الاهتمام بالنظر والتدبر، وإن اختلفت النظرتان، فالأولى متعلقة بكيفية إيضاح الله لخلقه الآيات، والثانية متعلقة بانصرافهم عنها، وصدوفهم عن التأمل في مراميها وأهدافها.

قال تعالى:﴿ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [المائدة: ٧٦].

١٥٥٦. فيها التعليم والدعوة بطريقة التلقين ﴿ قُلۡ ﴾.

١٥٥٧. فيها إثبات رسالة النبي صلى الله عليه وسلم لأمره بالبلاغ ﴿ قُلۡ ﴾.

١٥٥٨. الاستفهام في الآية يقتضي التوبيخ والتقريع، أي كيف يعبد من لا يملك النفع والضر لمعبوديه؟ ويدل على أن الشرك مخالف للعقل، وهذا الإلزام لا محيد عنه.

١٥٥٩. استعمل لغير الله كلمة ﴿ دُونِ ﴾ للدلالة على أن الناقص عن رتبة الكمال ليس أهلا لأن يعبد، واستعمل للمعبود الحق اسم (الله) للإشارة إلى اتصافه بكل صفات الجلال ونعوت الكمال، التي بها يستحق أن يفرد بالعبادة وحده جل وعلا.

١٥٦٠. استعمل في استئناف الجملة ﴿ مَا ﴾ لما دون الله مع أن المعبود بباطل قد يكون عاقلا كالأنبياء والملائكة والصالحين، إشارة إلى: أن الغالب في المعبودات من دون الله غير عاقلة، كالشمس والقمر والأصنام والحيوانات، أو لأن المعبودات العاقلة لا تعقل عبادة العابدين لها حال موتها أو بعدها. وقد يكون لأن الذي يعقل من المعبودات الباطلة ما عقل إلا بإرادة الله ونعمته عليه، وفي ذلك إشارة خفية إلى أن تلك المعبودات مفتقرة لله تعالى.

١٥٦١. وقيل أوثرت ﴿ مَا ﴾ على «من» لتحقيق ما هو المراد من كونهما بمعزل من الألوهية رأسا، ببيان انتظامهما في مسلك الأشياء التي لا قدرة لها على شيء أصلا ولا شك أن من صفات الرب أن يكون قادرا على كل شيء، فقول النصارى بأن الله هو المسيح ابن مريم أو هو ثالث ثلاثة، قول ظاهر البطلان واضح الفساد.

١٥٦٢. فيها زيادة في البيان وإقامة حجة عليهم ؛ أي: أنتم مقرون أن عيسى كان جنينا في بطن أمه، لا يملك لأحد ضرا ولا نفعا، وإذ أقررتم أن عيسى كان في حال من الأحوال لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم ولا ينفع ولا يضر، فكيف اتخذتموه إلها؟ ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ أي: لم يزل سميعا بصيرا، يملك الضر والنفع، ومن كانت هذه صفته فهو الإله على الحقيقة. والله أعلم. (القرطبي).

١٥٦٣. في الآية تقديم الضرّ على النّفع لأنّ النّفوس أشدّ تطلّعاً إلى دفعه من تطلّعها إلى جلب النّفع. (ابن عاشور).

١٥٦٤. فيها وثاقة العلاقة بين العبودية ومسألة النفع والضر حيث إن القلب يناله انكسار لمن يملك ضره ونفعه، ولو من وجه نسبي، ومن هنا تكرر هذا السؤال للمشركين في غير موضع من القرآن الكريم.

١٥٦٥. في الآية دليل على بطلان الشرك وعبادة ما سوى الله، وأنه لا يستحق العبادة إلا مالك النفع والضر وهو الله وحده.

١٥٦٦. تفيد أن الصفات الواجبة في حق المعبود أنه ينبغي أن يكون قادرا على جلب النفع ودفع الضر.

١٥٦٧. نفي النفع والضر عن الآلهة الباطلة لم يقابله إثباتها في حق المولى بل جاءت صفات أخرى مغايرة، ومعنى ذلك أن الآية بها حذف احتباك، وبرد الألفاظ المحذوفة يكون تقدير الكلام (أتعبدون من دون الله ما لا يسمع ولا يبصر، ولا يملك لكم نفعا ولا ضرا، والله هو مالك النفع والضر وهو السميع البصير).

١٥٦٨. فيها أن الجملة نفت أربع صفات عن الآلهة الباطلة بالصيغة الأضعف فدلت على منتهى ضعفها، لأن الوصف بصيغة الفعل أضعف منه بصيغة الاسم، وفي نفس الوقت أثبتت أربع صفات في حق المولى عز وجل وبالصيغة الأقوى (الاسمية) مع القصر، فدلت على كمالها، وانفرادها، واستمرارها.

١٥٦٩. قوله: ﴿ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ ﴾ جيئ به نكرة لإفادة التقليل، أي: أدنى ضر وأقله وأدنى نفع وأقله، في حين الصفات المثبتة لله أتت معرفة لتدل على الاستغراق.

١٥٧٠. فيها الاستدلال والإلزام بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية، لأن الذي يملك الضر والنفع هو من يستحق العبادة، لكن المشرك متناقض فهو يقر بالربوبية ويشرك في الألوهية.

١٥٧١. لماذا ذُكر في حق الآلهة الباطلة عدم امتلاك النفع والضر، وحُذف السمع والبصر وفُعل العكس في حق المولى عز وجل؟ جوابه أن النفع والضر مترتبات على السمع والبصر فالثواب والعقاب وإجابة الدعاء وتفريج الكرب كله قائم على سماع الدعاء والنظر إلى الأحوال.

١٥٧٢. تفيد أن أساس التوحيد يقوم على معرفة العبد لربه بعظيم صفاته الدالة على عظمته وكماله، وهوان صفات الآلهة التي عبدت من دونه.

١٥٧٣. جملة ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ في موضع الحال، قُصر بواسطة تعريف الجزأين وضمير الفصل، سببُ النّجدة والإغاثة في حالي السؤال وظهورِ الحالةِ، على الله تعالى قصرَ ادّعاء بمعنى الكمال، أي ولا يسمع كلّ دعاء ويعلم كلّ احتياج إلاّ الله تعالى، أي لا عيسى ولا غيره ممّا عُبِد من دون الله.

١٥٧٤. الواو في قوله ﴿ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ واو الحال، وفي موقع هذه الجملة تحقيق لإبطال عبادتهم عيسى ومريم من ثلاثة طرق: طريق القصر، وطريق ضمير الفصل، وطريق جملة الحال باعتبار ما تفيده من مفهوم مخالفه. (التحرير والتنوير).

١٥٧٥. ختمت الآية ب ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ إشارة إلى أن العبادات الموجهة للإله إما أقوال فتسمع، وإما أفعال فتبصر.

١٥٧٦. فيها بشارة المؤمنين، وتذكير لهم بأن الله عالم بما في قلوبهم وسيجازيهم عليه.

١٥٧٧. فيها إثبات اسمين من أسماء الله الحسنى﴿ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

١٥٧٨. مناسبة الآية لما قبلها أنه بعد أن ذكر الله تعالى صورا من غلو النصارى في المسيح عليه السلام وأمه، جاء هذا التعقيب بالنهي عن جميع صور الغلو في الدين، ومنه الغلو في الأنبياء فمن دونهم.

١٥٧٩. فيها: التحذير من الغلو في الدين وقد نهى النبي ﷺ عن الغلو الدين، فقد روى الإمام أحمد والنسائي وابن ماجة والحاكم عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين" وروى البخاري عن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله».

١٥٨٠. فيها أن اتباع الهوى رأس كل ضلال، قال الشعبي: ما ذكر الله لفظ الهوى في القرآن إلا ذمه. قال: ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [ص: ٢٦]، وقال: ﴿ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ [طه: ١٦].

١٥٨١. فيها بيان خطر أئمة الضلال، وعظم ضررهم في إضلال العباد والبلاد وتبديل دين الله تعالى، كما جاء في الحديث الذي صححه الألباني "إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ".

١٥٨٢. فيها أن الضلال يتبعه الإضلال وهو من آثاره وثماره المرة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا" رواه البخاري.

١٥٨٣. تفيد أن من أضل الناس أعظم إثما ممن ضلّ في نفسه فقط، وذلك لكثرة ما يناله من آثام من أضلهم؛ وقال النبي ﷺ: "من دع إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا". رواه مسلم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: قال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ والضال ضد المهتدي، وهو العادل عن طريق الحق بلا علم، وعدم العلم المأمور به، والهدى بالمأمور ترك واجب، فأصل كفرهم ترك الواجب، وحينئذ تفرقوا في التثليث والاتحاد.. (مجموع الفتاوى ١٠٧/٢٠).

١٥٨٤. فيها بيان فضل الوسطية في العقيدة والاتباع والمنهج والسلوك والأخلاق.

١٥٨٥. فيها أن الغلو في الدين، يجر إلى القول على الله بغير الحق. ولذا كان أهل السنة، هم أهل الحق، لوسطيتهم في الفرق، كما أن الأمة وسط في الأمم.

١٥٨٦. تفيد خطورة من توغل في الضلال، فقد وصفهم- تعالى- بثلاث درجات في الضلال: فبين أنهم كانوا ضالين من قبل، ثم ذكر أنهم كانوا مضلين لغيرهم، ثم ذكر أنهم استمروا على تلك الحالة حتى الآن ضالون كما كانوا ولا نجد حالة أقرب إلى البعد من الله والقرب من عقابه من هذه الحالة ويحتمل أنهم ضلوا وأضلوا ثم ضلوا بسبب اعتقادهم في ذلك الإضلال أنه إرشاد إلى الحق.

١٥٨٧. تفيد خطورة اتباع غير الحق، قال البغوي: وقوله: ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ أي: في دينكم المخالف للحق، وذلك أنهم خالفوا الحق في دينهم، ثم غلوا فيه بالإصرار عليه.

١٥٨٨. فيها إشارة إلى: خطر الشر المتعدي والواصل للغير؛ لقوله:﴿ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾.

قال تعالى:﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩].

١٥٨٩. مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه لما سبق نهيهم عن عبادة المخلوقين الذين لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، وترك ما هم عليه من الغلو في الدين، ومخالفة الحق واختيار الكفر والضلال، جاء في هذه الآية لعن الذين كفروا منهم بكل لسان وفي كل كتاب منزل.

١٥٩٠. تفيد أن الكفر من أسباب اللعن؛ لقوله ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾

١٥٩١. فِيها دَلِيلٌ عَلى جَوازِ لَعْنِ الكافِرِينَ، وإنْ كانُوا مِن أوْلادِ الأنْبِياءِ، وأنَّ شَرَفَ النَّسَبِ لا يَمْنَعُ مِن إطْلاقِ اللَّعْنِ في حَقِّهِمْ.

١٥٩٢. فيها التخويف من الذنوب التي توجب اللعن.

١٥٩٣. تفيد إثبات نبوة عيسى وداود عليهما السلام.

١٥٩٤. في الآية ذكر لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى عليهما السلام؛ لتتحقق هذه اللعنة في كل الكتب المنزلة.

١٥٩٥. في ورود اللعن على لسان كل من نبي الله داود، ونبي الله عيسى عليهما السلام لطيفة: وهي أنه قد اتصف كل منهما برقة الطبع ولين الجانب، وبرغم ذلك فإنهما لم يملكا إلا أن يلعنا الذين كفروا من بني إسرائيل، لما لاقوا من عصيانهم وظلمهم وفسقهم وفسادهم وإفسادهم.

١٥٩٦. سبب اللعن الشديد التمادي في العصيان، والاعتداء على النفس وعلى الآخرين.

١٥٩٧. عبر- سبحانه- عن عصيانهم بالماضي فقال ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ للإشارة إلى استقرار العصيان في طبائعهم، وثباته في نفوسهم وجوارحهم. وعبر عن عدوانهم بالمضارع، للإيذان بأنه مستمر قائم، فهم لم يتركوا نبيا إلا وآذوه، ولم يتركوا مصلحا إلا واعتدوا عليه فاعتداؤهم على المصلحين مستمر في كل زمان ومكان. (الوسيط).

١٥٩٨. تفيد بلاغة القرآن الكريم في التعبير عن المراد، قال ابن عاشور: وإنّما عبّر في جانب العِصيان بالماضي لأنّه تقرّر فلم يَقبل الزّيادة، وعُبّر في جانب الاعتداء بالمضارع لأنّه مستمرّ، فإنّهم اعتدوا على محمّد صلى الله عليه وسلم بالتّكذيب والمنافقة ومحاولة الفتك والكيد.

١٥٩٩. تفيد أن العدوان على الغير أشد من مجرد المعصية، مع أنه من المعاصي، لقوله:« ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون». (ابن عثيمين).

١٦٠٠. فيها الرد على الأشعرية نفاة الأسباب وتأثيرها ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾

١٦٠١. فيها تأكيد المسؤولية الاجتماعية، ووجوب التناهي عن المنكرات والأخذ على يد السفيه حماية لنفسه وللمجتمع الذي يعيش فيه، لقوله ﴿ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾

١٦٠٢. تفيد أن وجود طائفة في المجتمع يمثلون الخيرية تتمثل فيها القيم العالية والاخلاق النبيلة، والمثل العليا هي التي تحفظ على المجتمع وجوده وأمانه.

١٦٠٣. فيها بطلان دعوى الحرية المطلقة التي تنادي بها الليبراليه في بلاد المسلمين باسم الحرية الشخصية. فالحرية في الإسلام متحققة ولكنها منضبطة بضوابط تنقلها من السلبية والتدمير للفرد والجماعة إلى الإيجابية والمصلحة للفرد والجماعة.

١٦٠٤. فيها أهمية شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وخطورة التفريط فيها، وأن ذلك كان سببا للعنة بني إسرائيل.

١٦٠٥. فيها إنما كان السكوت عن المنكر –مع القدرة– موجبا للعقوبة، لما فيه من المفاسد العظيمة: منها: أن مجرد السكوت، فعل معصية، وإن لم يباشرها الساكت. ومنها: أنه يدل على التهاون بالمعاصي، وقلة الاكتراث بها. ومنها: أن ذلك يجرئ العصاة والفسقة على الإكثار من المعاصي إذا لم يرتدعوا عنها، فيزداد الشر، وتعظم المصيبة الدينية والدنيوية، ويكون لهم الشوكة والظهور، ثم بعد ذلك يضعف أهل الخير عن مقاومة أهل الشر، حتى لا يقدرون على ما كانوا يقدرون عليه أوَّلًا. ومنها: أن – في ترك الإنكار للمنكر– يندرس العلم، ويكثر الجهل، فإن المعصية– مع تكررها وصدورها من كثير من الأشخاص، وعدم إنكار أهل الدين والعلم لها – يظن أنها ليست بمعصية، وربما ظن الجاهل أنها عبادة مستحسنة، وأي مفسدة أعظم من اعتقاد ما حرَّم الله حلالا؟ وانقلاب الحقائق على النفوس ورؤية الباطل حقا؟" ومنها: أن السكوت على معصية العاصين، ربما تزينت المعصية في صدور الناس، واقتدى بعضهم ببعض، فالإنسان مولع بالاقتداء بأضرابه وبني جنسه.

١٦٠٦. ذكر التناهي عن المنكر بلفظ الجماعة فيه إشارة إلى أهمية دور المجتمع والهيئات ونحوها وأن المسؤولية جماعية وتحتاج إلى تعاون وتناصر لعظم الأمر وأهميته وأثره.

١٦٠٧. * تنكير كلمة ﴿مُّنكَرٍ﴾ فيه إشارة إلى إنكار أي منكر مهما كان صغيرا.

١٦٠٨. فيها أن الترك فعل، ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ قال صاحب المراقي:"والترك فعل في صحيح المذهب"

١٦٠٩. فيها رد على اليهود الذين يفتخرون بأنهم شعب الله المختار، وهم ملعونون على لسان أنبيائهم.

١٦١٠. فيها: الرد على الجبرية؛ لوصف فعلهم بالسوء.

١٦١١. قوله: ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ بصيغة المضارع يدل على استمرارهم في هذا الفعل القبيح، وفي هذا إشارة إلى خطورة الإصرار والتمادي في العصيان والعدوان.

١٦١٢. تفيد أن للذنوب والظلم عقوبات في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ [المائدة:٨٠].

١٦١٣. فيها شدة عداوة اليهود للمسلمين لأن بني إسرائيل كانوا يناصرون الكفار عليهم.

١٦١٤. فيها التحذير من موالاة أعداء الله عز وجل لأنها موجبة لغضب الله عزوجل وشديد عقابه.

١٦١٥. فيها أنه لا يجوز التعميم في التجريم لقوله: ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ ﴾ وفي الحديث:" إذا قال الرجل هلك الناس، فهو أهلكهم" أخرجه مسلم (٢٦٢٣) (٣٩)

١٦١٦. فيها أن بني إسرائيل قد يَتَوَلَّون الكفار ممن كفرُهم صريح أو خَفِيّ فهم يوالون الكفار والمنافقين -والعياذ بالله- على رسول الله ﷺ، وإن كان بعضهم مع بعض، قد لا يكون بعضهم إلى الآخر حبيبًا مستحقًّا للولاية لكن لأنهم ضِدٌّ ثالثٍ.

١٦١٧. قوله: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ يفيد: أن سخط الله له موجبات؛ فعلى العبد أن يتوقاها، كما أن رحمة الله لها موجبات؛ فعلى العبد أن يتعرض لها ويسعى إليها.

١٦١٨. في قوله: ﴿ قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ رد على الجبرية.

١٦١٩. فيها إثبات صفة السخط على الكفار وهي من الصفات الفعليه الموجبة لأليم العقاب، لقوله ﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾.

١٦٢٠. فيها إشارة إلى عظم جهنم وغليظ عذابها؛ لقوله: ﴿وَفِي ٱلۡعَذَابِ﴾ وكأنه يقول: وفي العذاب الذي لا عذاب في الوجود غيره.

١٦٢١. تفيد التحذير من النفس ووساوسها؛ لقوله ﴿قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾.

١٦٢٢. تفيد بقاء النار وبقاء أهلها؛ لقوله: ﴿وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ﴾.

١٦٢٣. تفيد التخويف من عذاب النار بذكر الخلود فيه وعدم إمكان النجاة منه حتى بالموت.

قال تعالى: ﴿وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٨١].

١٦٢٤. فيها أن اليهود كفار لا يؤمنون بالله، والنبي صلى الله عليه وسلم لأن ﴿وَلَوۡ﴾ حرف امتناع لامتناع.

١٦٢٥. في الآية الكريمة: بيان التنافي بين الإيمان الحقيقي بالله والنبي صلى الله عليه وسلم وما أنزل إليه وبين اتخاذ الكافرين أولياء من دون الله. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فبين سبحانه وتعالى أن الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه مستلزم لعدم ولايتهم، فثبوت ولايتهم يوجب عدم الإيمان، لأن عدم اللازم يقتضي عدم الملزوم.. (اقتضاء الصراط المستقيم ١/٤٩٠).

١٦٢٦. تفيد أن الإيمان بالله وبرسوله، وبالقرآن عاصم من اتخاذ غير المؤمنين من اليهود والنصارى والمشركين ونحوهم أولياء.

١٦٢٧. تبين استهانة اليهود والنصارى بشرع الله تعالى وأوامره، ولهذا يتحالفون مع الكفار ضد المسلمين.

١٦٢٨. فيها إشارة إلى: عداوة اليهود للنبي عليه السلام، لأنهم يتخذون أعداءه أولياء؛ مغايرين قول القائل: (حبيب حبيبي حبيبي، وعدو حبيبي عدوي).

١٦٢٩. فيها التأكيد على الولاء والبراء، وأنه من أصول التوحيد والإيمان.

١٦٣٠. فيها إثبات رسالة النبي صلى الله عليه وسلم والوحي المنزل إليه ﴿ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ ﴾ والرد على من أنكر ذلك كاليهود المشار إليهم في الآية.

١٦٣١.

١٦٣٢. فيها أن أهل الكتاب جميعا مدعوون إلي الدخول في دين الله على لسان نبينا محمد ﷺ، فإن استجابوا فقد آمنوا، وأصبحوا على دين الله، وإن تولوا فهم كما وصفهم الله.

١٦٣٣. تفيد إثبات علو الله تعالى على خلقه، لقوله ﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ ﴾ فالنزول يكون من أعلى إلى أسفل.

١٦٣٤. فيها ثلاثة من أركان الإيمان، وهي: الإيمان بالله، والإيمان بالرسل، والإيمان بالكتب.

١٦٣٥. تفيد ذم الفسق واتصاف اليهود به وكثرته فيهم، كما قال تعالى لهم: ﴿ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾

١٦٣٦. فيها: العدالة الربانية في الحكم وعدم التعميم حين قال سبحانه ﴿ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾ ولم يقل ولكنهم فاسقون.

١٦٣٧. فيها: من فسقهم موالاةُ أعداء الله عز وجل.

١٦٣٨. تفيد: أن تحريم موالاة الكفار مقرر في التوراة.

١٦٣٩. تفيد: إطلاق الفسق - تارة - ويراد به الكفر، لقوله: ﴿ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾ يريد: كافرون؛ لما تقرر في التنزيل أن موالاة غير المسلمين كفر.

قال تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ

﴿وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢].

١٦٤٠. مناسبتها – الظاهرة – بما قبلها: حيث بين فيها سبحانه وتعالى بيان سبب موالاتهم للكفار؛ وهي شدة العداوة للمؤمنين.

١٦٤١. فيها ضرورة تميز القادة، وأهل التوجيه، والريادة بالعلم بخصائص الأعداء، وصفاتهم، ومراتبهم في العداوة، ولذلك وجه الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو قائد الأمة وإمامها.

١٦٤٢. فيها تأكيد الله عز وجل لعداوة اليهود والمشركين للمؤمنين ﴿لَتَجِدَنَّ﴾.

١٦٤٣. فيها أهمية معرفة الأعداء ومراتبهم في العداوة، وهذا نوع مهم من فقه الأولويات.

١٦٤٤. فيها أنَّ الكفَّار يتفاوتونَ في العداوةِ للمُسلمينَ؛ لِقَوْلِه: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَاوَةً﴾ و(أشد) اسمُ تفضيلٍ، يدلُّ على أنَّ هؤلاءِ الأعداءَ يختلفون، وهو كذلك، هذا هو الواقِعُ، واللهُ تعالى ذَكَرَ طَرَفينِ في مُعاملةِ المسلمين، وبَينَ الطَّرَفينِ فِرَقٌ مُتفاوتَةٌ في بُغضِ المسلمين؛ مِثل: المجوس، وعبَدَة الأوثان، والمعَطِّلة.

١٦٤٥. فيها بيان صفات اليهود الذميمة، وهي البغض والحسد والحقد والبغي والكبر، وهذه الرذائل متى تمكنت في النفس حالت بينها وبين الهداية والإيمان بالحق.

١٦٤٦. تفيد أن العداوة في الدين لابد منها، وإن كانت تتفاوت، قال الشاعر: كل العداوات قد ترجى مودتها إلا عداوة من عاداك في الدين

١٦٤٧. في تقديم اليهود على المشركين إشعار بتقدمهم عليهم في العداوة.

١٦٤٨. سبب شدة عداوة اليهود يعود لجمعهم بين الكفر، وشدة تعلقهم بالدنيا، واستكبارهم كما يستفاد من بيان سبب قرب مودة الذين قالوا إنا نصارى. وهذا يفيد الحذر ممن جمع هاتين الخصلتين القبيحتين.

١٦٤٩. قال الجمل: فإن قلت: كفر النصارى أشد من كفر اليهود لأن النصارى ينازعون في الألوهية فيدعون أن لله ولدا، واليهود ينازعون في النبوة فينكرون نبوة بعض الأنبياء فلم ذم

اليهود ومدح النصارى؟ قلت: هذا مدح في مقابلة ذم وليس مدحا على إطلاقه، وأيضا الكلام في عداوة المسلمين وقرب مودتهم لا في شدة الكفر وضعفه.

١٦٥٠. في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ﴾ إشارة إلى أن المعاصرين لمحمد - صلى الله عليه وسلم - من النصارى ليسوا على حقيقة النصرانية بل كونهم نصارى قول منهم وزعم.

١٦٥١. فيها أسلوب مهم من أساليب الدعوة، وهو الإتيان بالتعليل الذي يدلل به الكلام ويقنع المخاطبين؛ وذلك لأنه تعالى لما ذكر أن أقرب الناس للمؤمنين النصارى عقب بما يؤيد ذلك ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾.

١٦٥٢. لم يصف الله تعالى النصارى بأنهم أهل ود، وإنما وصفهم بأنهم أقرب من اليهود والمشركين فهو قرب مودة بالنسبة إلى متباعدين.

١٦٥٣. فيها أنَّ قُربَ مودَّة النصارى للمُؤمنين له أسبابٌ؛ منها: أنَّ منهم قِسِّيسين ورهبانًا، فيُستفادُ من هذا: أنَّ العِلم نافعٌ حتَّى لغَيْرِ المسلمين، وكذلك العبادةُ تُرقِّق القلبَ، وتُزيلُ ما فيه من الجَفاء والغِلْظة، فالرَّاهِبُ إنَّما سلَك هذا الطريقَ، يُريد رضا الله، أمَّا الأوَّلُ فيُؤخَذ مِنْ قَوْلِه: ﴿بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ﴾وأمَّا الثاني فيُؤخَذُ مِنْ قَوْلِه: ﴿وَرُهۡبَانٗا﴾

١٦٥٤. فيها: أنَّ مِن أسباب قَبول الحقِّ والمودَّة للمؤمنين التواضُعَ؛ لِقَوْلِه: ﴿وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ حيث إنَّ الاستكبارَ سببٌ لردِّ الحقِّ، والتواضُع سببٌ لقَبُوله، فالمتواضِعَ أقربُ إلى الخيرِ من المستكبِر، وأقربُ إلى سماعِ الحقِّ منه.

١٦٥٥. فيها أن المودة الصادقة بين الناس تتحقق مع زيادة الإيمان بالله، وترك الاستكبار.

١٦٥٦. فيها بيان مودة فئة من النصارى للمؤمنين وهم الموصوفون في آخر الآية وهم العلماء الزهاد والعباد.

١٦٥٧. في الآية دليل على أن التخلق بالأخلاق الحسنة كالتواضع والرأفة ولين الجانب وغيرها من الأخلاق وكذلك طلب العلم وتحصيله كلها من الأمور المحمودة حتى ولو كانت من الكافر بل فيها جواز مدحهم بها.

١٦٥٨. فيها إشارة إلى أن الغالب في النصارى أنهم يستكبرون عن الحق؛ لقوله: ﴿ مِنْهُمْ ﴾ الدالة على التبعيض.

١٦٥٩. في الآية دلالة على أن النصارى الذين هم أقرب مودة للمؤمنين هم النصارى الذين يتصفون بالعلم، والعبادة والعمل بذلك العلم، وقبول الحق، وعليه: فالنصارى مشتركون مع اليهود في هذه العداوة التي لا تنقطع. وما وقع منهم عبر التاريخ من تخريب لبلاد الإسلام، وسفك لدماء المسلمين لا يخفى.

١٦٦٠. مدح النصارى بكونهم أقرب مودة، إنما هو وصف للنصارى الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم لا سيما إذا ما ربط هذا الفهم بأسباب النزول، إذا فالمدح للنصارى المسلمين.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [المائدة: ٨٣].

١٦٦١. قوله: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا ﴾ فيها أن من أعظم وسائل الدعوة إلى الله هي إسماع القرآن الكريم، لقوة تأثيره الخارق على القلوب، فإن الذين لا ينطلقون في دعوتهم من القرآن حجتهم وتأثيرهم ضعيف.

١٦٦٢. تفيد فضل سماع القرآن، وفضل تلاوته، وإسماعه للكفار.

١٦٦٣. تفيد أن السماع من أسباب العلم، وأن له أثرا كبيرا على القلب، ومن هنا كان الإعراض عنه من أعظم الموانع.

١٦٦٤. فيها أن لكل حكم سببا سواء كان شرعيا أو قدريا، وقد نعلم الأسباب وقد لا نعلمها.

١٦٦٥. فيها أن القرآن منزل من الله تعالى ليس للرسـول فيه إلا البلاغ والبيان، لقوله ﴿ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ ﴾

١٦٦٦. تفيد أن القرآن أعظم ما تعالج به قسوة القلوب وغفلتها.

١٦٦٧. مجيء ﴿ وَإِذَا ﴾ في أول الآية فيه إشـارة إلى أن الذي يسـتمع إلى القرآن ومن نيته معرفة الحق والعمل به لا بد أن يحصل له منفعة واهتداء.

١٦٦٨. تفيد أن مهمة الدعاة تبليغ وبيان ما أنزل على الرسول إلى الناس.

١٦٦٩. فيها دليل على إثبات علو الله على خلقه؛ وذلك من قوله تعالى: ﴿ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ ﴾ والنزول يكون من أعلى إلى أسفل.

١٦٧٠. فيها: التنويه بشأن الرسول صلى الله عليه وسلم.

١٦٧١. تفيد أن الحق لا يكون إلا عن طريق الرسـول﴿ إِلَى ٱلرَّسُولِ ﴾ وفي ذلك رد على أصحاب الطرق المنحرفة الذين بنوا دينهم على غير ما أنزل على الرسول.

١٦٧٢. فيها إثبات رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وأنه رسول الله حقاً.

١٦٧٣. فيها مشروعية البكاء عند سماع القرآن، بل هو من صفات عباد الله العارفين.

١٦٧٤. فيها بيان سطوة القرآن على القلوب، وقوة تأثيرها عليه.

١٦٧٥. فيها أن العين ميزاب القلب وعنوانه تفيض بالدمع عند فرحه وعند خشـوعه وخشـيته، لقوله﴿ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ ﴾، قال القرطبي: هذه أحوال العلماء يبكون ولا يصـعقون، ويسـألون ولا يصـيحون، ويتحازنون ولا يتماوتون؛ كما قال تعالى﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾ [الزمر: ٢٣].

١٦٧٦. في التعبير عنهم بقوله: لقوله﴿ تَرَىٰٓ ﴾الدالة على الرؤية البصـــرية، والتي هي أقوى أسـباب العلم الحسـي، مبالغة في مدحهم، حيث يراهم الرائي وهم على تلك الصـورة من رقة القلب وشدة التأثر عند سماع الحق.

١٦٧٧. تفيد أن الإيمان الصادق له دلالات وقرائن ترى لقوله: ﴿ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾.

١٦٧٨. تفيد أهمية تفرس الوجوه عند دعوتهم للحق لقوله: ﴿ تَرَىٰٓ ﴾.

١٦٧٩. في قوله ﴿ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ ﴾ دليل على كثرة الدمع وغزارته، وقد جاء في وصـف النجاشـــي ومن معه في الســـيرة أنهم بكوا حتى اخضـــلوا لحاهم لما سمعوا القرآن الكريم. قال الزمخشــري: الفيض أن يمتلئ الإناء أو غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه. فوضـع الفيض الذي هو من الامتلاء موضـع الامتلاء وهو من إقامة المسبب مقام السبب، أو قصـدت المبالغة في وصـفهم بالبكاء فجعلت أعينهم كأنها تفيض بأنفسـها. أي: تسـيل من الدمع من أجل البكاء من قولك: دمعت عينه دمعا.

١٦٨٠. نزول الدمع من هؤلاء فيه دلالة على الإيمان والتصـديق والتأثر، وهذه مزية وفضـيلة لهم.

١٦٨١. فيها الثناء على من يبكي من خشـية الله، سـواء سماعا لكتابه أو تفكرا في مخلوقاته، وهنيئا له.

١٦٨٢. فيها أن الحق له تأثير عجيب في القلوب، حيث يرققه ويهذبه.

١٦٨٣. مفهوم المخالفة من الآية أن الباطل يورث قسوة القلب.

١٦٨٤. فيها إشارة إلى: أن البكاء صورة من صور الاعتراف بالحق، كما أنه صورة من صور الاعتراف بالذنب والخطأ في حق الله والعبيد ويدل على هذا قوله ﴿ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾.

١٦٨٥. تفيد أن أعمال القلوب لها أثرها البين على الجوارح.

١٦٨٦. فيها أن العلم قبل القول والعمل فلما عرفوا الحق خشعت قلوبهم وفاضت عيونهم ولهجت ألسنتهم بإعلان الإيمان والدعاء.

١٦٨٧. تفيد أن الإيمان الصحيح يقوم على العلم، فهم عرفوا الحق، ثم أعلنوا الإيمان.

١٦٨٨. فيها أن الإنسان كلما علم الحق ازداد إيمانا به وتأثرا.

١٦٨٩. في قوله تعالى ﴿ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ ﴾ دلالة على أهمية إيصال الحق للآخرين، بالدليل الواضح دون تحريف للنصوص، أو إنزال أفهامنا للنص على أنه هو النص.

١٦٩٠. تفيد أهمية بيان القرآن للناس عند تلاوته لأنه هو السبيل ليعرفوا ما فيه الحق.

١٦٩١. تفيد أن الحق يفرض تأثيره على النفوس.

١٦٩٢. تفيد أن الحق واضح يعرف ولا يخفى على طالبه؛ لقوله ﴿ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ ﴾.

١٦٩٣. تفيد أن معرفة الحق بعد الضلال عنه تفرح القلب، وتؤثر في النفس، خصوصا النفوس الصادقة التي تتوق إلى الحق، وتنشده وتحرص عليه. ولذا ذكر أن شدة تأثرهم كان مما عرفوا من الحق.

١٦٩٤. تفيد بيان أثر الحق في ترقيق القلوب، وخضوع النفوس.

١٦٩٥. تفيد أن القليل الذي يعرف من الحق يكون له هذا التأثير فكيف يكون تأثير القرآن عندما تتمكن معانيه في النفس.

١٦٩٦. قال الزمخشري: "فإن قلت: أي فرق بين (من) و(من) في قوله: ﴿ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ ﴾؟ قلت: الأولى لابتداء الغاية على أن فيض الدمع ابتدأ ونشأ من معرفة الحق وكان من أجله وبسببه، والثانية لتبيين الموصول الذي هو ما عرفوا وتحتمل معنى التبعيض على أنهم عرفوا بعض الحق، فأبكاهم، وبلغ منهم فكيف إذا عرفوه كله وقرءوا القرآن وأحاطوا بالسنة؟

١٦٩٧. تفيد أهمية القول في الإيمان وأنه لابد من قول اللسان وإلا كان الإيمان باطلا، لقوله ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾

١٦٩٨. فيها بيان فضل الاعتراف بالحق، والإيمان به، وعدم جحوده، والشهادة على كونه حقا.

١٦٩٩. فيها دلالة على أهمية إعلان إيمان من آمن وخاصة إذا كان في مقام القدوة حتى يقتدي به الناس وعلى هذا، لقوله ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾.

١٧٠٠. فيها جواز التوسل بالإيمان؛ لقولهم: ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾.

١٧٠١. فيها استحباب الدعاء والسؤال باسم الرب جل وعلا؛ لقولهم: ﴿رَبَّنَآ﴾. وأكثر أدعية القرآن بهذا الاسم الكريم.

١٧٠٢. فيها إثبات الكتابة لله سبحانه وتعالى؛ لقولهم: ﴿ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾قال ابن جرير الطبري: ومعنى " الكتابه " في هذا الموضع: الجَعْل. يقول: فاجعلنا مع الشاهدين، وأثبتنا معهم في عِدَادهم.

١٧٠٣. تفيد أن الأعمال الصالحة تكتب وتثبت للعبد ويكون على ذلك الحساب والجزاء.

١٧٠٤. فيها إشارة إلى: طلب الالتصاق بالصالحين، وسؤال الله رفقتهم في الدنيا والآخرة؛ ﴿ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾أي أثبتنا في عِدادهم وجملتهم.

١٧٠٥. فيها أن أمة الإسلام شاهدة على جميع الأمم، يشهدون لله بالتوحيد، ولرسله بالرسالة وصحة ما جاءوا به، ويشهدون على الأمم السابقة بالتصديق والتكذيب.

١٧٠٦. فيها دلالة على عدالة هذه الأمة وفضلها عند الله تعالى حيث جعلها شاهدة على الأمم، وقبل شهادتها فيهم.

١٧٠٧. فيها إشارة إلى فضل أصحاب رسول الله، حيث كانوا هم أول الشاهدين على هذا الحق.

قال تعالى: ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [المائدة: ٨٤].

١٧٠٨. فيها التعجب من حال من يظهر له الحق جليا ومع ذلك يعرض عنه.

١٧٠٩. فيها مع ما قبلها: كأنهم لوموا على إيمانهم ومسارعتهم فيه، فقالوا: ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ أي: وما الذي يمنعنا من الإيمان بالله، والحال أنه قد جاءنا الحق من ربنا، الذي لا يقبل الشك والريب، ونحن إذا آمنا واتبعنا الحق طمعنا أن يدخلنا الله الجنة مع القوم الصالحين، فأي مانع يمنعنا؟ أليس ذلك موجبا للمسارعة والانقياد للإيمان وعدم التخلف عنه.

١٧١٠. الاستفهام هنا لإنكار انتفاء الإيمان منهم مع قيام موجباته، وظهور أماراته ووضوح أدلته وشواهده.

١٧١١. فيها إثبات ركن الإيمان الأعظم وهو الإيمان بالله عز وجل، وتقديمه على غيره فهو أصل الإيمان وأساسه.

١٧١٢. فيها أن من شأن المؤمن الانقياد للحق فور ظهوره له، لقوله ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾.

١٧١٣. فيها ما يدل على صفاء نفوس هؤلاء الأطهار، وطهارة قلوبهم.

١٧١٤. فيها أن من الإيمان بالله الإيمان والتصديق بكل ما جاء من عنده ومسارعتهم إلى قبول الحق عند ظهوره بدون تردد أو تقاعس.

١٧١٥. هذه الآية دالة على تضمن القرآن للعلم كله مما هو هداية للبشر في حياتهم.

١٧١٦. تفيد أن الإيمان بالله عز وجل وما أنزله من الحق على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم هو السبب في دخول الجنة واللحاق بركب الصالحين.

١٧١٧. فيها إشارة إلى أنه يندب بعد الاعتراف بالحق، العمل به، والتذييل بأنه أحق أن يتبع وتنبيه النفس والغير بأنه لا يجوز العدول عنه.

١٧١٨. تبين تواضع أهل الإيمان، وعدم تأليهم على الله، وهذا في قوله﴿ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾

١٧١٩. فيها ما يدل على قوة إيمانهم، وصدق يقينهم، لأنهم مع هذا الإقبال الشديد على الدين الحق والمسارعة إلى العمل الصالح، لم يجزموا بحسن عاقبتهم، بل التمسوا من الله- تعالى- الطمع في مغفرته، وفي أن يجعلهم مع القوم الصالحين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

١٧٢٠. فيها أنه ينبغي على المؤمن الصادق أن يستصغر عمله بجانب فضل الله ونعمه، ويقف من جزائه وثوابه- سبحانه- موقف الخوف والرجاء.

١٧٢١. فيها أن الإيمان بالله واتباع سبيل الصالحين والطمع في الدخول معهم غاية المؤمن الصادق.

١٧٢٢. فيها فضل الرجاء والطمع فيما عند الله، وإحسان الظن بالله عز وجل.

١٧٢٣. فيها مدح الصلاح والصالحين وأنه من أسباب دخول الجنة.

١٧٢٤. فيها فضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم وكثرة الصالحين فيها؛ قال البغوي: ﴿ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾أي: في أمة محمد صلى الله عليه وسلم، بيانه.

١٧٢٥. فيها فضل النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة؛ قال ابن زيد في قوله: ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ قال: " القومُ الصالحون "، رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابُه. (أخرجه ابن جرير بإسناده).

١٧٢٦. فيها: أن الصحبة الصالحة من توفيق الله وفضله على العبد.

١٧٢٧. فيها أن أكبر طموح المؤمنين أن يوسموا بالصلاح والتقوى وهذا من علو الهمة.

قال تعالى:﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ٨٥].

١٧٢٨. الفاء الدالة على الترتيب مع التعقيب تدل على سرعة إثابة الله لهم، وهذا يدل على فضل الله ورحمته بخلقه.

١٧٢٩. تفيد أن الثواب من الله عز وجل وحده فلا يرجى غيره؛ كما قال﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ ﴾.

١٧٣٠. فيها بيان كرم الله جل وعلا فقد أجابهم إلى ما طلبوا، بل أكبر مما طلبوا، فقد كانوا يطمعون في أن يكونوا مع القوم الصالحين، وأن يكتبهم مع الشاهدين، فأعطاهم- سبحانه- جنات تجرى من تحتها الأنهار، وسماهم محسنين، والإحسان أعلى درجات الإيمان، وأكرم أوصاف المتقين.

١٧٣١. فيها عظم أثر الكلمة فربما تكون سببا للفلاح أو الخسران المبين لقوله ﴿ بِمَا قَالُواْ ﴾.

١٧٣٢. تفيد فضل الصدع بالحق وعظم ثواب أهله؛ لقوله: ﴿ بِمَا قَالُواْ ﴾ فهم صدعوا بالحق ولم يكتموه كما فعل غيرهم من أهل الكتاب.

١٧٣٣. فيها بيان فضل القول الحسن وما يترتب عليه من الخير والفضل فقد يكون أعظم مما يتوقعه المرء.

١٧٣٤. فيها دليل على إخلاص إيمانهم وصدق مقالهم؛ فأجاب الله سؤالهم وحقق طمعهم - وهكذا من خلص إيمانه وصدق يقينه يكون ثوابه الجنة.

١٧٣٥. فيها إثبات الجنة، وكثرة ما فيها من نعيم.

١٧٣٦. فيها أن من أبرز أنواع النعيم في الدنيا والآخرة الزرع والثمر والماء الجاري لا سيما ماء الأنهار الجارية.

١٧٣٧. دل تنوين الجنات في الآية على عظم الجنات وكثرتها.

١٧٣٨. ذكر الخلود زيادة نعيم على نعيمهم؛ لأن توقع الخروج منغص لأي نعيم، قال بعض السلف: لو كانت الجنة خزفا يبقى، والدنيا ذهبا يفنى لاختار العاقل الخزف الباقي على الذهب الفاني. فكيف والجنة ذهب يبقى والدنيا خزف يفنى.

١٧٣٩. قوله: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ﴾ يفيد بقاء الجنة وأن أهلها لا يخرجون منها.

١٧٤٠. فيها فضل الإحسان وعظم ثواب أهله؛ لقوله ﴿ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾

١٧٤١. فيها أن الجزاء من جنس العمل، فلما أحسنوا القول والعمل سماهم الله تعالى محسنين وجزاهم جزاء المحسنين.

١٧٤٢. أتى بالإشارة للبعيد بقوله ﴿ وَذَٰلِكَ ﴾ ليدل على عظم شأنهم وعلو جزاءهم عند ربهم سبحانه وتعالى.

١٧٤٣. فيها إنما أنجح قولهم وعلق الثواب بالقول لاقترانه بالإخلاص، بدليل قوله ﴿ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ يعني: الموحدين المؤمنين.

١٧٤٤. فيها فضيلة ظاهرة لهؤلاء؛ لقوله: ﴿ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ أي: في اتباعهم الحق وانقيادهم له حيث كان، وأين كان، ومع من كان.

١٧٤٥. قال الطبري: و " إحسان المحسن " في ذلك، أن يوحِّد الله توحيدًا خالصًا محضًا لا شرك فيه، ويقرّ بأنبياء الله وما جاءت به من عند الله من الكتب، ويؤدِّي فرائضَه، ويجتنب معاصيه. فذلك كمال إحسان المحسنين الذين قال الله تعالى ذكره أنه اثابهم بما قالوا: " جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ".

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [المائدة: ٨٦].

١٧٤٦. فيها أن القرآن مثاني؛ فلما ذكر ثواب المحسنين، ذكر عقاب المسيئين.

١٧٤٧. فيها أنه ينبغي للواعظ أن لا تكون موعظته بالترغيب دائما أو بالترهيب دائما؛ لأنه إن أدام الترغيب أوقعهم في الأمن من مكر الله، وإن أدام الترهيب أوقعهم في القنوط من رحمة الله، فالواعظ كالطبيب إن أعطى جرعة زائدة هلك المريض، وإن نقص لم يبرأ المريض.

١٧٤٨. تفيد ضلال وشقاء من يجمع بين الكفر والتكذيب.

١٧٤٩. تكررت الآية في ذات السورة مرتين، لتبين غضب الله على من جمع بين الكفر بحقائق الإيمان الثابتة والتكذيب بالآيات الواضحة، وتكشف عن مصيره ومستقرة في الآخرة.

١٧٥٠. تفيد أن الكفر والتكذيب من أسباب الخلود في الجحيم، وفي ضمن ذلك التخويف والتحذير منها ومن أسباب الوقوع فيها.

١٧٥١. الإشارة إليهم بإشارة البعيد ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ لبعدهم في الشر والهلاك والعذاب.

١٧٥٢. كذلك الإشارة إلى البعيد يلمح إلى مزيد من احتقارهم وإبعادهم.

١٧٥٣. فيها: أن الجزاء من جنس العمل.

١٧٥٤. فيها رد على أهل البدع المكفرين بالكبيرة؛ الزاعمين خلدوهم في النار، لقوله: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ فهم أهلها وأصحابها، والتي خلقت من أجلهم. ووجه الرد: أن أهل الكبائر لم يكفروا ولم يكذبوا، وكأنه يقول: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ فقط دون غيرهم. قال الفخر - رحمه الله وعفا عنه -فقوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ يفيد الحصر، أي أولئك أصحاب الجحيم لا غيرهم، والمصاحب للشيء هو الملازم له الذي لا ينفك عنه، فهذا يقتضي تخصيص هذا الدوام بالكفار، فصارت هذه الآية من هذين الوجهين من أقوى الدلائل على أن الخلود في النار لا يحصل للمؤمن الفاسق.

١٧٥٥. تفيد إثبات النار، والتخويف من عذابها، وبيان شدة هوله؛ فالجحيم هي النار الشديدة الاتقاد.

١٧٥٦. جعل عذابهم في الجحيم لجمعهم بين الكفر والتكذيب والكفر دركات، وإن كان المكذب فقط كافرا. قال ابن عثيمين: فإذا قال قائل: هل نقول إنه لابد أن يجتمع الكفر والتكذيب؟ الجواب: لا، إذا وجد الكفر ثبت الجزاء، وإذا وجد التكذيب ثبت الجزاء.

١٧٥٧. تبين بمفهوم المخالفة منزلة الإيمان القرآن الكريم، وخطورة التكذيب به

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ [المائدة: ٨٧].

١٧٥٨. مناسبتها بما قبلها، أنه تعالى ذكره – لما تحدث عن القسيسين والرهبان، نبه على عدم الاقتداء بهم في تحريمهم على أنفسهم ما أحل الله لهم. قال الراغب الأصفهاني في تفسيره: لما ذكر حال الذين قالوا: – إنا نصارى، وذكر أن منهم قسيسين ورهبانا فمدحهم بذلك، وكانت الرهبانية قد حرموا على أنفسهم طيبات قد أحلها الله لهم، ورأى تعالى قوما سبقوا إلى حالهم وهموا أن يقتدوا بهم حتى رأوا أن قوما من أصحابه عليه الصلاة والسلام هموا بإخصائهم، هموا أن يفعلوا فعلهم، وبين ما دل على ما قال: (بعثت بالحنيفية السهلة). أنزل هذه الآية.

١٧٥٩. النداء في أولها يفيد أن التزام ما جاء في الآية من الإيمان، وأن أهل الإيمان لا يحرمون الطيبات ولا يعتدون.

١٧٦٠. وجه سبحانه النداء للمؤمنين بوصف الإيمان لتحريك حرارة العقيدة في قلوبهم حتى يمتثلوا أوامر الله ونواهيه.

١٧٦١. فيها: بيان أثر الايمان على الجوارح، لقوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾.

١٧٦٢. النهي عن التحريم هنا ليس منصبا على الترك المجرد، لأنه قد يترك الإنسان بعض الطيبات لأسباب تتعلق بالمرض أو غيره. وإنما هو منصب على اعتقاد أن هذه الطيبات يجب تركها ويأخذ الشخص على نفسه عهدا بذلك.

١٧٦٣. فيها بيان فضل الاسلام وعظمته، وأنه دين الفطرة السوية، فإنه يراعي النفس البشرية ويحثها على التلذذ بالنعم.

١٧٦٤. قوله:﴿ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾فيه شيء من الاختصاص، ففيها: بيان عناية الله بالمؤمنين، ومحبته لهم. وكأنه يقول: 'أحل الله لكم أنتم دون غيركم".

١٧٦٥. تفيد أن ما أحله الله تعالى فهو طيب نافع.

١٧٦٦. تفيد: أن اللذائذ لا تطيب إلا إذا تقيدت بحدود الشرع.

١٧٦٧. فيها إشـارة إلى: أن هدي النبي هو أكمل الهدي؛ لأنه كان يأكل العسـل واللحم ويتزوج النساء..." وفي البخاري: كان يحب العسل والحلواء.

١٧٦٨. فيها التحذير من تحريم ما أحل الله، لأن المشرع المحلل والمحرم هو الله تعالى وحده.

١٧٦٩. فيها أن التشريع حق الله تعالى لا يشركه فيه غيره.

١٧٧٠. فيها أنه يجب على المسلم الوقوف عند حدود الله.

١٧٧١. فيها: رحمة الله بعباده، قال السـعدي: فإنها نعم أنعم الله بها عليكم، فاحمدوه إذ أحلها لكم، واشكروه ولا تردوا نعمته بكفرها أو عدم قبولها، أو اعتقاد تحريمها، فتجمعون بذلك بين القول على الله الكذب، وكفر النعمة، واعتقاد الحلال الطيب حراما خبيثا، فإن هذا من الاعتداء.

١٧٧٢. فيها أن تحريم الطيبات اعتداء على حق الله تعالى، لقوله ﴿ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾.

١٧٧٣. فيها أن الاعتداء كما يكون في انتهاك المحرمات يكون في تحريم المباحات.

١٧٧٤. في قوله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾ تنبيه لفقهاء الأمّة على الاحتراز في القول بتحريم شيء لم يقم الدليل على تحريمه، أو كان دليله غير بالغ قوة دليل النهي الوارد في هذه الآية.

١٧٧٥. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: ولهذا ينكر على من يتقرب إلي الله بترك جنس اللذات، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم للذين قال أحدهم: أما أنا فأصوم ولا أفطر، وقال الآخر: أما أنا فأقوم ولا أنام، وقال الآخر: أما أنا فلا أتزوج النسـاء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لكني أصوم وأفطر وأقوم وأنام، وأتزوج النساء، وآكل اللحم، فمن رغب عن سنتي

فليس مني". وقد أنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (الاستقامة ١/٣٣٩-٣٤٠).

١٧٧٦. فيها: إثبات صفة المحبة لله - جل ذكره -.

١٧٧٧. تفيد: أنه ينبغي على العبد أن يسعى سعيا حثيثا الى ما يجلب له محبة ربه، لقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ ووجهه: أنه قال: ﴿ لَا يُحِبُّ ﴾ ولم يقل: "يكره"، مع أن هذا هو المفهوم؛ لكن نفي المحبة فيه مزيد تأنيب ولوم فيمن فعل ما يصرفها.

١٧٧٨. تفيد حرمة اختصاء الآدمي، لقوله: ﴿ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ ﴾

١٧٧٩. فيها حب الله تعالى للمتبعين لشرعه؛ أخذا من مفهوم مخالفة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾.

١٧٨٠. تفيد حرمة الاعتداء عموما وخطورة الاعتداء على الشرع خصوصا.

١٧٨١. الإظهار في موضع الإضمار في نهاية الآية، بالإضافة إلى (إنَّ) الدالة على التأكيد يفيد خطورة الاعتداء.

١٧٨٢. تفيد ذم الزهد المخالف لهدي الشرع، قال القرطبي في تفسيره: قال علماؤنا رحمة الله عليهم في هذه الآية وما شابهها والأحاديث الواردة في معناها رد على غلاة المتزهدين، وعلى أهل البطالة من المتصوفين، إذ كل فريق منهم قد عدل عن طريقه، وحاد عن تحقيقه.

١٧٨٣. تفيد: أن التضييق المضر من التعدي، كما أن الإسراف - كذلك - تعدي. فالتعدي هنا: عام؛ يشمل منع النفس وحرمانها والتضييق عليها، واسرافها..

١٧٨٤. فيها إشارة إلى أنه ينبغي الاقتصاد في الأمور والتوسط في المباح؛ قال ابن كثير: وقوله ﴿ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ ﴾ يحتمل أن يكون المراد منه: ولا تبالغوا في التضييق على أنفسكم في تحريم المباحات عليكم، كما قاله من قاله من السلف. ويحتمل أن يكون المراد: كما لا تحرموا الحلال فلا تعتدوا في تناول الحلال، بل خذوا منه بقدر كفايتكم وحاجتكم، ولا تجاوزوا الحد فيه.

قال تعالى: ﴿ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴾ [المائدة: ٨٨].

١٧٨٥. مناسبتها لما قبلها أنه سبحانه وتعالى لما نهى الله تعالى عن تحريم الطيبات التي أحلها الله كما في الآية السابقة ناسب أن يؤكد ذلك بالأمر بالأكل منها حلالا طيبا.

١٧٨٦. الأمر بالأكل هنا قد يكون أمر إيجاب، أو استحباب أو إباحة، بحسب الحالة.

١٧٨٧. تفيد أن من صور تأكيد النهي والحث على اجتنابه، الأمر بضده.

١٧٨٨. المراد بالأكل هنا التمتع بألوان الطيبات التي أحلها الله، فيدخل فيه الشرب مما كان حلالا، وكذلك يدخل فيه كل ما أباحه- سبحانه- من متعة طيبة تميل إليها النفوس وتشتهيها. وعبر عن مطلق التمتع بما أحله الله بالأكل، لأنه أعظم أنواع المتع، وأهم ألوان منافع الإنسان التي عليها قوام حياته.

١٧٨٩. فيها الأمر باختيار الطيب من الأرزاق واجتناب الخبيث.

١٧٩٠. فيها أن طيب المطعم من أعظم معالم الإيمان بالله.

١٧٩١. فيها أن من حرم الطيبات عليه، وامتنع من أكلها بدون سبب شرعي فهو مذموم مبتدع، لمخالفته للأمر الإلهي، ومن أكلها بدون الشكر الواجب فيها فهو مذموم أيضا.

١٧٩٢. فيها: أنه لا ينبغي للمسلم أن يحرم ما أحل الله له من الطيبات بل يتناولها مستعينا بها على طاعة الله عز وجل.

١٧٩٣. فيها أن الأرزاق بيد الله، والخلق مستخلفون فيما أعطاهم الله إياه.

١٧٩٤. فيها منة الله تعالى على عباده بأن رزقهم الله الحلال الطيب، وأمرهم أن يأكلوا منه.

١٧٩٥. تفيد أن الإيمان يلزم العبد بتقوى الله تعالى.

١٧٩٦. تفيد الحث على التقوى بما دلت عليه في أولها ببيان منته عليهم من خلال ما رزقهم، وبما ختمت به.

١٧٩٧. فيها أن الأكل الذي أُمرنا به لابد فيه من توفر شرطين فيه: الأول: حلالا في أصله وفي كسبه. والثاني: أن يكون طيبا، أي من الطيبات ليس من الخبائث، وبينهما عموم وخصوص، لأن الطيبات من الحلال ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

١٧٩٨. فيها التلازم بين الإيمان والتقوى، فيلزم المؤمن تقوى الله فإن آمن ولم يتق دل ذلك على ضعف إيمانه ونقصه.

١٧٩٩. تفيد أن أكل الحلال الطيب مما يعين على تقوى الله؛ بدلالة التقديم.

١٨٠٠. فائدة التنبيه على كونه حلالا، في قوله: ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ﴾ يفيد: أن الحرام أيضا رزق، لكن لا يأمر الله بالأكل منه. فإن مما هو مقرر عند أهل السنة: أن الرزق يعم كل ما ينتفع به حلالا كان أو حراما؛ خلافا المعتزلة. بمعنى أن الله علم وقدر هذا الرزق قدرا لا شرعا.

١٨٠١. قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾ يفيد: أن أهل الإيمان لا غنى لهم عن التذكير بالتقوى.

١٨٠٢. فيها رد على المرجئة؛ لأمره بالتقوى مع إيمانهم، ولا تتحقق التقوى إلا بعمل الجوارح.

قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [المائدة: ٨٩].

١٨٠٣. مناسبتها لما قبلها؛ أنه تعالى ذكره لما نهى عن تحريم ما أحل من الطيبات، فتح الباب لمن أغلقه على نفسه؛ شريطة أن يكفر.

١٨٠٤. فيها لفت أنظار المؤمنين إلى ما يجب أن يحيطوا به اسم الله من تقديس واحترام، وأنهم لا ينبغي لهم أن يقسموا باسمه العظيم إلا عند الضرورة القصوى.

١٨٠٥. قوله: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ الأيمان ثلاثة أقسام: الأول: يمين لغو: لا يُعتد بها، ولا مؤاخذة عليها. وهي اليمين التي تجري على الألسنة في الأحاديث، لمجرد التأكيد مِثل: لا والله، وبلى والله، وهذا هو المروي عن عائشة في تفسير يمين اللغو. ويرى آخرون: أنه القسم الذي يعتقد المقسم أنه صحيح، ثم يتبين خطؤه. ويرى بعضهم: أنه قسم الغضبان الذي يخرجه الغضب عن اتزانه. ويعده بعضهم: يمين المكره، أو الذي يقسم وينسى قسمه، فيخالف ما أقسم عليه. وهذا كله لا كفارة فيه، على أَرجح الآراء. والقسم الثاني: هو أن يحلف الحالف على ترك أمر غير محرم ولا مكروه، فإذا رأى الأولى أن يخالف ما أقسم عليه – فعل الأولى وكفَّر عن يمينه: بإطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة. فمن لم يجد، فصيام ثلاثة أيام. وإذا أقسم الحالف على فعل معصية، أو ترك طاعة، فواجب عليه أن يخالف ما أقسم عليه، ويكفر عن يمينه. والقسم الثالث: أن يقسم كاذبًا متعمدًا ليخدع السامعين، فهذا إثمه عظيم. فعلى هذا المقسم أن يبادر بالتوبة والإنابة إلى الله. وقد روى عن النبي – صلى الله عليه وسلم –: "مَنِ اقْتَطَعَ حقَّ امْرِيءٍ مسلمٍ بيَمينِه، فَقَد أَوجبَ اللهُ له النارَ. فقال رجل: وإن كان شيئًا يسيرًا؟ قال: وإنْ كان قضيبًا منْ أَراكٍ" رواه مسلم وغيره.

١٨٠٦. فيها سعة حلم الله وجميل عفوه، حيث لم يؤاخذ عباده إلا بما تعمدوا فعله، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥].

١٨٠٧. فيها: أن محط الأعمال القلب، فالعبرة بما فيه، وهو المعيار يوم القيامة.

١٨٠٨. وفيها: أن النية والقصد معتبران في كل أمر.

١٨٠٩. فيها دليل على القاعدة الفقهية (الأمور بمقاصدها)

١٨١٠. فيها إشارة إلى: مراعاة الشرع للنفس البشرية؛ لأن التجاوز عن اللغو صورة من صور العناية بطبيعة هذه النفس التي يصدر منها الخطأ بدون عمد.

١٨١١. فيها إشارة إلى: أهمية ما يصدر من اللسان، والتبعة التي يجرها.

١٨١٢. فيها عدم المؤاخذة على الحلف من غير قصد وعزم قلب.

١٨١٣. قوله ﴿ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ﴾ تفيد أن الذي تحصل به المؤاخذة من الأيمان هو ما أكد بالقصد والتصميم.

١٨١٤. فيها إشارة إلى: خطر الحلف، وعظم شأنه.

١٨١٥. وفيها أنه لا حنث في اليمين إلا إذا كانت منعقدة على أمر مستقبلي ممكن فإن لم يقصد بها ذلك فهي لغو.

١٨١٦. يستفاد منها في باب التربية بيان مناط المؤاخذة بدقة للابن ومن في منزلته وبيان مساحة العفو التي يتمتع بها، فالله عز وجل بين عفوه عن عباده في لغو اليمين ثم حدد بدقة مناط المؤاخذة ﴿ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ﴾ ومع ذلك فتح لهم سبيلا لتصحيح الخطأ بالكفارة، وهذا يؤسس لمبدأ كسر الانغلاقات التربوية التي تؤدي الى التمرد والشرود.

١٨١٧. قوله تعالى ﴿ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ﴾ فيها تحديد الوجوه التي يمكن أن تقع بها كفارة اليمين المنعقدة، إذا حنث فيه: وهي:

أ/إطعام عشرة مساكين وجبةً واحدةً لكلّ منهم من الطعام الغالب الذي يأكله أهلوكم في بيوتكم لا من أرْدَئِه ولامن أَجودِه.

ب/ كسوة عشرة مساكين: والكسوة تختلف باختلاف البلاد والأَزمنة - كالطعام - فيجزىءُ من غالب ما يكسو به أهله، لا من الأرْدَإِ ولا من الأجود. والأعلى يجزئُ على كل حال، كما سبق في الطعام.

ج/ تحرير رقبة: أي إعتاق إنسان رقيق ذكر أو أنثى. فمن عجز عن واحد من الثلاثة المتقدمة، فعليه أَن يُكَفِّرَ بصوم ثلاثة أَيام.

١٨١٨. فيها أنه لا ينبغي الحِنث إلا إذا كان خيرا لقوله ﴿ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ ﴾ والكفارة نظير ذنب أو ما يشبهه.

١٨١٩. تفيد أنه لابد من عشرة مساكين عند الإطعام، وأن العدد مقصود؛ قال القرطبي: ولا يجوز عندنا دفع الكفارة إلى مسكين واحد وبه قال الشافعي، لأن الله- تعالى- نص على العشرة فلا يجوز العدول عنهم.

١٨٢٠. في تقديم الإطعام على العتق، قال الرازي: فإن قيل: أي فائدة في تقديم الإطعام على العتق مع أن العتق أفضل لا محالة؟ قلنا له وجوه: أحدها: أن المقصود منه التنبيه على أن هذه الكفارة وجبت على التخيير لا على الترتيب، لأنها لو وجبت على الترتيب لوجبت البداءة بالأغلظ. وثانيها: قدم الإطعام لأنه أسهل، لكون الطعام أعم وجودا، والمقصود منه التنبيه على أنه- تعالى- يراعى التخفيف والتسهيل في التكاليف.

١٨٢١. تفيد أن حاجة المسكين للطعام مقدمة على كسوتهم وحريتهم.

١٨٢٢. تفيد أن الذنوب لها كفارات بالطاعات خاصة المشروعة.

١٨٢٣. وفيها أن كفارة اليمين خاصة بالمساكين، لقوله ﴿ مَسَـٰكِينَ ﴾.

١٨٢٤. فيها إشارة إلى: عدم رغبة الإسلام في الرق، ولهذا حث على تحرير الرقاب وبين فضل العتق؛ قال رسول الله ﷺ: "من اعتق رقبة مسلمة اعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار حتى فرجه بفرجه". متفق عليه.

١٨٢٥. فيها فضل الصيام وأثره في تكفير الآثام.

١٨٢٦. فيها تربية الأمة على روح التكافل الاجتماعي الذي يسعى إليه الإسلام وذلك بتشريع إطعام المساكين في الكفارات وفي وجوه أخرى كثيرة.

١٨٢٧. فيها تربية للأمة المسلمة على تحمل تبعات الخطأ، وتخليصها من جو الجاهلية ورواسبها وتقاليدها الشخصية والاجتماعية.

١٨٢٨. قوله: ﴿ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ ﴾ يفيد أنه لا ينبغي قصد الرديء من الطعام.

١٨٢٩. تفيد الحث على التوسط في الإنفاق على الأهل دون إسراف أو تقتير.

١٨٣٠. فيها دليل على وجوب النفقة والكسوة للأهل، لقوله ﴿ تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ ﴾.

١٨٣١. تعليق كفارة اليمين إذا كانت طعاما كونها من أوسط طعام الأهل، فيها إشارة إلى اعتبار العادة، فإن الوسط هنا غير مقدر تحديدا، وإنما مرجعه إلى ما يكون وسطا في العادة، وهذا دليل على إعمال العادة والالتفات إليها في بناء الأحكام بشروطها المعروفة. والقاعدة (العادة محكمة).

١٨٣٢. قوله تعالى ﴿ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ ﴾ فيها تنبيه إلى أنه إذا كان الله تعالى لا يؤاخذهم باللغو في أيمانهم، لأنها صدرت منهم عن غير قصد ودون عمد، فإنه سبحانه سيحاسبهم على الأيمان التي قصدوها، وتعمدوا توكيد مقاصدهم بها هل بروا بها أو لم يبروا، وعليهم إذا لم يبروا بأيمانهم أن يكفروا عن تقصيرهم في البرور بها.

١٨٣٣. في الأمر بحفظ الأيمان إشارة إلى تعظيم الله تعالى بالقلب واللسان؛ فكثرة الحلف يضعف تعظيم الله في القلوب، وتسقط هيبته في النفوس.

١٨٣٤. فيها سعة معاني القرآن الكريم؛ لقوله: ﴿ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ ﴾، فإنه يشمل: اجتناب الحلف، أو الوفاء إن حلفتم، أو الكفارة إذا لم تفوا بها. قال السعدي: ﴿ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ ﴾ عن الحلف بالله كاذبا، وعن كثرة الأيمان، واحفظوها إذا حلفتم عن الحنث فيها، إلا إذا كان الحنث خيرا، فتمام الحفظ: أن يفعل الخير، ولا يكون يمينه عرضة لذلك الخير.

١٨٣٥. في الآية بيان رحمة الله تعالى وعنايته بالمسلمين. ويظهر هذا من عدة صور:

أولاً: تشريع كفارة اليمين لمن حنث في يمينه أو تراجع عنها.

ثانياً: لا كفارة في اللغو.

ثالثاً: التخيير بين الأنواع الثلاثة.

رابعاً: بدأ بذكر أسهل هذه الثلاث وهو الإطعام ثم تدرج الى الأعلى.

خامساً: جعل الإطعام (من الأوسط، ليس بالغالي المكلف ولا بالرخيص الذي لا ينفع الفقير.

سادساً: عند العجز عنها شرع الصيام.

سابعاً: جميع الكفارات الثلاث كلها رحمة بالمسلم وتعود على المسلمين بالنفع المتعدي؛ الإطعام والكسوة والعتق.

ثامناً: إذا لم يستطع نفع المسلمين فيعود النفع الخاص لنفس الحالف بالصيام وما فيه من تزكية النفس وزيادة التقوى.

تاسعاً: التنوع بين هذه الكفارات للتسهيل والتيسير على الحالف فيكفر بما هو في مقدوره ويناسب قدرته وإمكاناته.

عاشراً: الكفارات ليست عقوبات وإنما هي عبادات إلزامية نافعة يتطهر ويتحلل بها المرء مما ارتكبه أو أراد العدول عما ألزم به نفسه.

الحادي عشر: مع الأمر بحفظ الأيمان إلا أنه شرع العدول عما حلف عليه والتكفير إذا كان ذلك خيرا من إمضاء اليمين.

١٨٣٦. قوله تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ فيها أن آيات الله تعالى بينة واضحة لا لبس فيها ولا غموض..

١٨٣٧. وفيها أن العلم من نعم الله العظمى التي يجب شكرها والسعي في تحقيقها.

١٨٣٨. وفيها أن جميع أفعال الله وأحكامه معللة، ومشتملة على حكم عظيمة سواء علمت أو لم تعلم لقوله ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠].

١٨٣٩. مناسبتها لما قبلها أن الله تعالى بعد أن أمر بالأكل من الطيبات عينا ووسيلة في الآيات السابقة، ناسب أن ينهى عن الخبائث عينا ووسيلة بذكر نموذج من أعيان هذه الخبائث وهي أم الخبائث ونموذج الوسائل المحرمة وهي الميسر، ثم حذر من الأنصاب والأزلام المعبودة من دون الله بالشرك وهذا أعلى مطالب الشيطان وغايته.

١٨٤٠. فيها أن الإيمان من الدوافع إلى العمل الصالح، وترك ما حرم الله لذا صدرت الآية بتوجيه النداء إليهم على وجه الخصوص.

١٨٤١. تفيد: أن الإيمان له أثر في أعمال الجوارح؛ في تركها أو الوقوع فيها. وفي الحديث: "ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن". متفق عليه. وعليه: فمن أعظم طرق علاج الإدمان، تقوية الإيمان في قلوب الشباب، بدليل أن العلاج المادي وحده لا ينفع شريحة عريضة من هؤلاء.

١٨٤٢. فيها تحريم هذه الأربعة؛ المذكورة في الآية. وقد وصفها سبحانه وتعالى بأوصاف تعين على اجتنابها والبعد عنها منها: أنها رجس، أي: خبث، نجس معنى، وإن لم تكن نجسة حسا. والأمور الخبيثة مما ينبغي اجتنابها وعدم التدنس بأوضارها. ومنها: أنها من عمل الشيطان، الذي هو أعدى الأعداء للإنسان. ومنها: أنه لا يمكن الفلاح للعبد إلا باجتنابها، وهذه الأمور مانعة من الفلاح ومعوقة له. ومنها: أن هذه موجبة للعداوة والبغضاء بين الناس، ومنها: أن هذه الأشياء تصد القلب، ويتبعه البدن عن ذكر الله وعن الصلاة، اللذين خلق لهما العبد، وبهما سعادته.

١٨٤٣. تفيد حرص الإسلام على العقل البشري، وحفظه مما يصرفه عن ربه، وما يصلحه في دينه ودنياه.

١٨٤٤. قوله ﴿وَٱلْمَيْسِرُ﴾ يفيد أن الإسلام يأمر بالاجتهاد في الكسب والعمل، ويحرص على تشغيل المال بالطرق التي المباحة التي تعود على الناس جميعهم بالمنفعة، فيجتهدون جميعا

في السعي من أجل الحصول على المال؛ لا كأصحاب الميسر الذين يكسبونه بسهولة شديدة؛ كحال أكلة الربا.

١٨٤٥. قوله ﴿ وَٱلْمَيْسِرُ ﴾ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: دخل في الميسر الذي لم تعرفه العرب ولم يعرفه النبي صلى الله عليه وسلم: وكل الميسر حرام باتفاق المسلمين. وإن لم يعرفه النبي صلى الله عليه وسلم كاللعب بالشطرنج وغيره بالعوض فإنه حرام بإجماع المسلمين وهو الميسر الذي حرمه الله؛ ولم يكن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم والنرد أيضا من الميسر الذي حرمه الله؛ وليس في القرآن ذكر النرد والشطرنج باسم خاص؛ بل لفظ الميسر يعمها وجمهور العلماء على النرد والشطرنج محرمان بعوض وغير عوض.. (مجموع الفتاوى ٢٠٧/٣٤ - ٢٠٨).

١٨٤٦. قوله ﴿ وَٱلْأَزْلَٰمُ ﴾ يستفاد من النهي عن الأزلام فضل صلاة الاستخارة، وأنها من الرحمن لا كالشيطان الذي يأمر بالأزلام.

١٨٤٧. قوله ﴿ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ منها فهم الجمهور نجاسة الخمر، وخالفهم في ذلك ربيعة والليث بن سعد والمزني صاحب الشافعي، وبعض المتأخرين من البغداديين والقرويين فرأوا أنها طاهرة، وأن المحرم إنما هو شربها. (أفاده القرطبي).

١٨٤٨. تفيد أن أصل الشر من الشيطان، وأن الأصل في العباد هو الخير، لقوله تعالى في الحديث القدسي "إني خلقت عبادي حنفاء مسلمين، فاجتالتهم الشياطين فأحلت لهم الحرام، وحرمت عليهم الحلال" رواه البخاري.

١٨٤٩. قوله ﴿ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾فيها التحذير من الشرك وأفعال المشركين، وبيان دور الشيطان وحرصه على إيقاع الناس فيها.

١٨٥٠. فيها: اقتران الخمر بالشرك، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مدمن الخمر كعابد وثن". حسنه الألباني. وذكر القرطبي عن ابن عباس قال: لما نزل تحريم الخمر، مشى

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهم إلى بعض، وقالوا حرمت الخمر، وجعلت عدلا للشرك; يعني أنه قرنها بالذبح للأنصاب وذلك شرك.

١٨٥١. فيها حرص الإسلام على حفظ الضروريات الخمس، وتحريم كل ما يفسدها.

١٨٥٢. قوله تعالى ﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾ أبلغ من قوله اتركوه للخمر والقمار وألعابها والأصنام، وشركيات الغيب ونحوها، فالاجتناب يشمل ترك المعصية ذاتها والابتعاد عن مجالسها وقنواتها ومدنها وأصحابها وكل ماله صلة بها.

١٨٥٣. فيها تزيين الشيطان لهذه القبائح وهي الخمر والميسر والأنصاب والأزلام حتى يوقع العبد في الإثم.

١٨٥٤. فيها أن الفلاح والنجاة في اجتناب المحرمات، لقوله تعالى ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾

١٨٥٥. فيها أن فلاح المسلم مرتبط بالبعد عن تزيين الشيطان، ومكره وخداعه.

١٨٥٦. فيها أن أفعال الله تعالى معللة بالحكمة، والحكمة تتضمن شيئين: أحدهما: حكمة تعود إليه تعالى، يحبها ويرضاها. والثاني: حكمة تعود إلى عباده، فيها منفعة لهم في دينهم ودنياهم وآخرتهم.

١٨٥٧. في هذه الآية عدة عوامل وأوصاف كلها تدعو الى اجتناب الخمر والميسر والانتهاء عنها بالكلية خاصة وأن هذه هي الآية الحاسمة لتحريم الخمر بعد التدرج الذي شرعه في تحريمها لتعلق قلوبهم بها وإلفهم لها. ومن هذه العوامل والأوصاف:

أ/ أن الله قرنها بالأنصاب والأزلام التي هي عنوان الشرك والوثنيه.

ب/ أن الله وصفها بأنها رجس.

ج/ أنها من عمل الشيطان عدو الإنسان الأول.

د/ الأمر الصريح باجتنابها بعد التدرج في تحريمها.

هـ/ أن الله تعالى ربط الفلاح الذي هو مطلب الجميع باجتنابها.

و/ أنها مرادة ومحبوبة للشيطان عدو الإنسان التي يحقق بها أغراضه.

ز/ أنها من أهم أسباب تحقيق الغرض الشيطاني في الإضرار بالأمه وإيقاع العداوة والبغضاء بينها.

ح/ أنها من أعظم وسائل إفساد دينها بالصد عن ذكر الله وعن الصلاة التي بهما سعادتها وحياة قلوبها.

ط/ ختمها بهذا السؤال الإنكاري الدال على الزجر والتوبيخ (فهل أنتم منتهون) بعد بيان هذه الأمور الداعية الى ضرورة الاجتناب والانتهاء بالكلية عنها.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١].

١٨٥٨. مناسبة هذه الآية لسابقتها أنه لما بينت الآية السابقة أن الخمر والميسر رجس من عمل الشيطان بينت هذه الآية بصريح العبارة غرض الشيطان من هذا العمل المشين.

١٨٥٩. أفادت هذه الآية ثلاثة من الأغراض الشيطانية وهي: أ/ إيقاع العداوة والبغضاء بين المؤمنين. ب/ الصد عن ذكر الله عموما. ج/ الصد عن الصلاة على وجه الخصوص.

١٨٦٠. فيها بيان مفاسد المحرمات السابقة الدنيوية والدينية أما الدنيوية فهي العداوة والبغضاء، وأما الدينية فهي الصد عن ذكر الله. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الخمر تصد الإنسان عن علمه وتدبيره ومصلحته في معاشه ومعاده وجميع أموره التي يدبرها برأيه وعقله، فجميع الأمور التي تصد عنها الخمر من المصالح وتوقعها من المفاسد داخلة في قوله تعالى: ﴿ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ (مجموع الفتاوى ١٥/٣٤٦).

١٨٦١. فيها الدلالة على فضل الإسلام وحرصه على صلاح العباد في الدين والدنيا والمبدأ والمعاد.

١٨٦٢. قوله ﴿ يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ فيها ضعف سلطان الشيطان وقصوره؛ لتوقفه على الإرادة المصاحبة للتزيين دون حقيقة الفعل.

١٨٦٣. التعبير بالمضارع في قوله ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ يفيد أن كيد الشيطان مستمر، ولا يرضى من العبد العصيان مرة واحدة، إنما يدخلك في معصية ثم يسعى لردك إليها مرات أخرى أو يسعى لإيقاعك في أعظم منها.

١٨٦٤. كذلك التعبير بالفعل بصيغة المضارع ﴿ يُرِيدُ ﴾ و ﴿ يُوقِعَ ﴾ و﴿وَيَصُدَّكُمۡ﴾ فيه إيماء إلى شدة حرص الشيطان وشدة تربصه في كيده المكايد للإنسان على صفة الدوام والتكرار حتى يتمكن منه ويوقع به في مهاوي الردى والهلاك.

١٨٦٥. فيها أن الشيطان يستدرج الانسان خطوة خطوة حتى يوقعه فيما يريد من الاهداف، وهذا أيضا مستفاد من الفعل المضارع.

١٨٦٦. تفيد أن للشيطان إرادة، وله عقل وتخطيط، وله أساليبه ووسائله، وله مقاصد يعمل لتحقيقها.

١٨٦٧. تفيد أن الشيطان كما يعمل على إفساد دين الفرد وأموره يعمل على إفساد أمر الجماعة، لقوله ﴿ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ﴾.

١٨٦٨. فيها التأكيد على عداوة الشيطان لبني آدم والإشارة إلى شيء من وسائله وشباكه التي يصطاد بها فريسته.

١٨٦٩. فيها سعة علم الله سبحانه وتعالى، ورحمته بعباده؛ حيث علم مكائد الشيطان وإرادته، وحذّر عباده منها رحمة بهم لأن الشيطان يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير.

١٨٧٠. فيها رد على الجبرية؛ بإثبات أن الشيطان له إرادة يعمل بها.

١٨٧١. تفيد الآية التنفير من ثلاثة أمور: الشيطان والخمر والميسر مع الترغيب في ثلاثة أمور: الاجتماع والإلفة، وذكر الله، والصلاة في وقت واحد.

١٨٧٢. قوله ﴿أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ﴾ فيها شناعة إيقاع العداوة والبغضاء بين المؤمنين، وأنها من أبرز مقاصد الشيطان، وفي هذا تحذير من كل مسببات ذلك من أسباب حسية كما هنا أو معنويه.

١٨٧٣. تفيد حرمة البغضاء بين المؤمنين، لأنها تَنْقُضُ عُرى الدِينِ؛ وتَهْدِمُ عِمادَ الحِمايَةِ.

١٨٧٤. فيها دلالة على أن فعل السيئات يجلب مفاسد راجحة أو محضة، ويصد عن الحسنات التي تحقق المصالح الراجحة أو المحضة.

١٨٧٥. فيها دليل على تلازم الحسنات والسيئات والمصالح والمفاسد.

١٨٧٦. فيها أنه يجب على المسلم أن يتجنب كل شيء من شأنه أن يولد العداوة والبغضاء بين المسلمين لئلا يماثل الشيطان في صفاته.

١٨٧٧. مفهوم المخالفة فيه الحض على الاجتماع والألفة والمحبة، بين المسلمين.

١٨٧٨. تقديم التحذير من العداوة والبغضاء يفيد أنه أشد خطورة من الصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وذلك لما في الاجتماع من التذكير بالله والتذكير بحقوقه.

١٨٧٩. تفيد ذم حياة الكراهية والبغضاء لأنها توقف أبواب التعاون بين أفراد المجتمع وتخلق نوعا من الريبة وسوء الظن والفهم.

١٨٨٠. في الآية قصر الصفة على الموصوف وهو يفيد أن هذه الصفة التي هي إرادة إيقاع العداوة والبغضاء بين المؤمنين مقصورة على الشيطان ومن والاه من أتباعه، ومن تمثل بذلك سلوكاً عملياً، أو لفظاً قولياً، أو رغبةً قلبيةً، فإنما تمثل بعمل شيطاني قبيح.

١٨٨١. تفيد الآية الكريمة أن الشيطان لايرضى حتى يبلغ الغاية في العداوة والبغضاء، دليل هذا الاستغراق الحاصل بالألف واللام في ﴿ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ﴾.

١٨٨٢. فيها حماية جناب الوحدة الإسلامية والحرص على اجتماع الكلمة.

١٨٨٣. فيها التنبيه على الآثار المدمرة للخمر والميسر في تدمير المجتمع بإيقاع العداوة والبغضاء وتفريق صفه. وتدمير الأفراد بإفساد قلوبهم بصدهم عن مادة حياتها وهي ذكر الله والصلاة.

١٨٨٤. فيها أن من يصنع الخمر للناس، أو يعصرها لهم، ومن يبيعها لهم، أو يقدمه على موائدهم، ومن يدعو لإباحته، ومن يرغب الناس ويحببهم فيها، ومن يضع القوانين لكل ذلك باسم الحرية المدعاة المقيتة المذمومة كل واحد من هؤلاء شيطان من شياطين الإنس.

١٨٨٥. فيها أن وسائل الشيطان في الإضلال تكون مغلفة بلذة زائفة ومنفعة متوهمة.

١٨٨٦. فيها الإشارة إلى أفضلية العقل والوقت، والخمر يصد عن الصلاة بغيبوبة العقل، والميسر يصد عن الذكر بضياع الوقت في حثيث المعاودة لتدارك الربح.

١٨٨٧. قوله ﴿ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ فيها تنبيه على أهمية الصلاة والذكر، وأثرهما في توثيق العلاقة مع الله ومع عباد الله.

١٨٨٨. وجه صد الشيطان لهم عن ذكر الله وعن الصلاة بسبب تعاطيهم للخمر والميسر أن الخمر لغلبة السرور بها والطرب على النفوس. والاستغراق في الملاذ الجسمانية، فهي تلهى عن ذكر الله تعالى- وعن الصلاة.وأن الميسر إن كان اللاعب به غالبا، انشرحت نفسه، وصده حب الغلب والقهر والكسب عما ذكر، وإن كان مغلوبا حصل له من الانقباض والقهر ما يحثه على الاحتيال لأن يصير غالبا فلا يخطر بقلبه غير ذلك.

١٨٨٩. فيها أن مما يقوي المودة بين المؤمنين إقبالهم على الذكر والصلاة.

١٨٩٠. فيها تنبيه على الاهتمام بالعلاقة مع الخالق ﴿ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾، كما أن فيها تنبيها على مراعاة العلاقة مع المخلوقين ﴿ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ ﴾

١٨٩١. فيها بيان منزلة الذكر العظيمة فقد ابتدأ الله به فيما يريد الشيطان أن يصدنا عنه. ومن شواهد صده عن قيام الليل وعن صلاة الفجر ما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم:"يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاثَ عُقَدٍ، يضرب كل عقدة مكانها: عليك ليل طويل فارقُدْ، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عُقَدُه كلها، فأصبح نشيطًا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان" رواه البخاري.

١٨٩٢. خص الصلاة بالذكر مع أنها لون من ألوان ذكر الله، تعظيما لشأنها، كما هو الحال في ذكر الخاص بعد العام، وإشعارا بأن الصاد عنها كالصاد عن الإيمان، لأنها عماد الدين والفارق بين المسلم وبين الكافر.

١٨٩٣. تفيد الآية أن أعظم غاية للعبادة هي ذكر الله، وأن أعظم عبادة يتحقق فيها ذلك هي الصلاة.

١٨٩٤. تفيد المنع والتحذير من الصوارف عن ذكر الله، بدلالة النهي بصيغة الاستفهام.

١٨٩٥. تفيد أن كل صارف عن ذكر الله وعن الصلاة له حكم الخمر والميسر قال القرطبي:((فَكُلُّ لَهْوٍ دَعَا قَلِيلُهُ إِلَى كَثِيرٍ، وَأَوْقَعَ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ بَيْنَ الْعَاكِفِينَ عَلَيْهِ، وَصَدَّ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهُوَ كَشُرْبِ الْخَمْرِ، وَأَوْجَبَ أَنْ يَكُونَ حَرَامًا مِثْلَهُ)).

١٨٩٦. تكرار دخول حرف الجر في قوله ﴿ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ يفيد حرص الشيطان على الصد عن الذكر عموما وحرصه أيضا على الصد عن الصلاة خصوصا. فالصد عن كلا الأمرين داخل في مراداته.

١٨٩٧. تفيد أن بيان علل الأحكام فيه استئناس ورفق بالمخاطب، واحترام لعقله، وتهيئة كبيرة لتقبل الأمر، وإظهار لعظمة التشريع، وعناية الله تعالى بمصالح المسلمين رحمة ونعمة وفضلا.

١٨٩٨. هذه الآية تشير إلى أربعة من مقومات ومرتكزات السعادة في الحياة الدنيا للمؤمنين، وتشير إلى ما يهدم تلك المقومات وتشير إلى سبل العلاج: أما مقومات السعادة ومرتكزاتها فهي: ١/ الإخوة والتآلف بين المؤمنين والذي من خلاله يتم إشباع الحاجات الاجتماعية للإنسان عندما يعيش المؤمنون في تآلف ورحمة وصفح ومودة يسود بينهم الحب. ٢/ تناول الطيبات من المأكولات والمشروبات لإشباع الحاجة للطعام إشباعا صحيحا بتناول الحلال وتجنب الحرام. ٣/ إشباع الحاجة للتملك والاستحواذ للمال وغيره من المكتسبات بالطرق الصحيحة التي دلت عليها آيات القران والسنة ٤-إشباع الحاجة للتدين والعبادة بالذكر والصلاة. وأرشدت الآية أن تلك المقومات التي ترتكز عليها سعادة المؤمن يسعى الشيطان لهدمها بوسائله وبتزيينه لغيرها وذلك عن طريقين هما: ١-الخمر: أي المسكرات من المشروبات والأطعمة المحرمة. ٢-الميسر: أي وسائل الكسب المادي غير الشريف وغير الصحيح. ونواتج اتباع طرق الشيطان ستكون خصما على سعادة المؤمنين وصحتهم النفسية وكسبهم السوي وذكرهم وصلاتهم وعمارة الجانب الروحي وذلك بـ: ١- إشاعة السلوك العدواني والكراهية والانفعالات السالبة التي تهدم التعاون والتآلف بين المؤمنين. وذهاب الاحترام والتقدير المبني على الأخوة الإيمانية فيسعى الإنسان لتعويض ذلك بمزيد من الأساليب السالبة المدمرة للحياة الاجتماعية. ٢- الصد عن الذكر وعن الصلاة والانشغال بخلافهما مما يدمر الحياة الروحية للفرد المؤمن ويكدر حياته ويملاها هما وغما وقلقا فيقع فريسة للإدمان على المسكرات ليزيل همومه فيزداد هما ومرضا. والعلاج هو في قوله ﴿ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ أي علاج مبني على الإرادة القوية والوقفة التقويمية لمراجعة السلوك. فهو علاج عقلي معرفي سلوكي مستند على التمييز بين الصحيح وغير الصحيح وبين المفيد والضار. ولذا لابد من إشاعة المعرفة الدينية ونشرها لكي تنمو المعايير الصحيحة للمسلمين ويستطيعوا أن يقيموا ما يواجههم ويتخذوا القرارات السليمة إبان الفتن المحيطة.

١٨٩٩. توضح هذه الآية القيمة الخلقية والاجتماعية للشريعة الإسلامية وتفوقها على مختلف الشرائع الوضعية سواء من الصيغة أو المضمون فالقيمة الخلقية تتمثل في تحريم الخمر. فهو يذهب برجولة ومروءة شاربة حتى يجعله في مرتبة الأنعام أو أدنى من ذلك. وقيمة اجتماعية حيث حرم الخمر والميسر لما لهما من أثر في تفكك روابط المجتمع وفقد الثقة بين الناس وإثارة الأحقاد.

١٩٠٠. فيها وظائف متعدد تعبدية ونفسية واجتماعية، فالتعبدية تتمثل في الحث على ذكر الله ومن أعظم الذكر الصلاة. والنهي عما يصرف عنه، والوظيفة النفسية تتمثل في تزكية النفس والرقي بها في مدارج الصلاح والفلاح اللذان هما حقيقة سعادتها. والوظيفة الاجتماعية تتمثل في تنقية العلاقات الاجتماعية مما يفسدها.

١٩٠١. قوله ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ تفيد رقي الخطاب القرآن ولطافته وهو يلامس شغاف القلوب، ويحرك سواكن العقول لذا سارعت القلوب الحية بقوله تعالى:(انتهينا يا ربنا) فهو استفهام يحمل دلالة متنوعة وتأثيرات متعددة سبحانك ما أعظم خطابك!

١٩٠٢. قوله ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ فيها أن هذا الاستفهام هو بمعنى الأمر. أي انتهوا

١٩٠٣. فيها: أن اللائق بحال المسلم بعد أن عرف قصد الشيطان، وغايته في تزيينه لهذه المنكرات أن يتركها ولا يأتي لشيء منها.

١٩٠٤. تدل صيغة الجمع في قوله ﴿مُّنتَهُونَ﴾ على أهمية العلاج الجماعي.

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢].

١٩٠٥. فيها أن الآيات السابقات لما جاءت مؤكدة النهي والاجتناب عن بعض المنهيات التي هي من عمل الشيطان ناسب أن يأتي الأمر الإلهي بعد ذلك بتأكيد قاعدة العبودية العامة وهي الأمر بطاعة الله، وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في فعل المستطاع من المأمورات

واجتناب المنهيات. وأكد ذلك بالحذر من التقصير في طاعة الرحمن، والانتهاء عن كل ما يخالف أمر الله وأمر رسوله ﷺ.

١٩٠٦. فيها أن الأمر باجتناب ما حرم شرعا إذا أتبع بالأمر بطاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم دل ذلك على المبالغة، والتأكيد في تحريم ذلك الشيء وخطورته.

١٩٠٧. تفيد هذه الآية –عطفا على ما سبق- أن حقيقة طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ إنما تتحقق بامتثال ما أمر الله به والانتهاء عما نهى عنه، واتباع رسول الله ﷺ فيما جاء به.

١٩٠٨. تفيد أن طاعة الله تعالى مقترنه بطاعة الرسول ﷺ فمن أطاع الله، فقد أطاع الرسول، ومن أطاع الرسول فقد أطاع الله. وذلك شامل للقيام بما أمر الله به ورسوله من الأعمال، والأقوال الظاهرة والباطنة، الواجبة والمستحبة، المتعلقة بحقوق الله وحقوق خلقه والانتهاء عما نهى الله ورسوله عنه كذلك. وهذا الأمر أعم الأوامر، فإنه كما ترى يدخل فيه كل أمر ونهي، ظاهر وباطن.. (أفاده السعدي).

١٩٠٩. أمر- سبحانه- بطاعته وبطاعته رسوله مع أن طاعة رسوله طاعة له- سبحانه- لتأكيد الدعوة إلى هذه الطاعة، ولتكريم الرسول ﷺ حيث جعلت طاعته مجاورة لطاعة الله- تعالى-. (الوسيط في التفسير)..

١٩١٠. فيها أن طاعة النبي ﷺ مستقلة، بمعنى أنه إذا أمر النبي ﷺ بشيء لا نقول: هل يوجد في القرآن هذا الأمر أو لا يوجد، بل طاعته مستقلة. (ابن عثيمين).

١٩١١. فيها بيان كمال الاستقامة في الطاعة وأنه يكون بالتزام أمر الله ورسوله مع الحذر من مخالفتهما، ولهذا قال في الفاتحة ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦ – ٧] فسأل ربه الهداية مع طلب السلامة من المخالفة.

١٩١٢. حذف معمول الفعل في ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ يفيد وجوب طاعة الله والرسول في كل ما أمرا به.

١٩١٣. تكرار الأمر بالطاعة ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ للاهتمام به، والتأكيد على امتثاله.

١٩١٤. قوله ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ فيها مكانة السنة في التشريع بدلالة عطف الأمر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم على طاعة الله عز وجل.

١٩١٥. فيها أن الرسالة من أفخر الأوصاف التي يتصف بها العبد؛ لقوله: ﴿الرَّسُولَ﴾، ولا شك أن الرسول يفضل ويشرف بحسب منزلة مرسِله. (ابن عثيمين).

١٩١٦. تفيد حجية السنة، ووجوب العمل بها.

١٩١٧. قوله ﴿ وَٱحۡذَرُواْ ﴾ فيها التحذير من معصية الله عز وجل ومعصية رسوله صلى الله عليه وسلم، فإن في ذلك الشر والخسران المبين.

١٩١٨. قوله ﴿ وَٱحۡذَرُواْ ﴾ تفيد أن الأصل في أوامر الله ورسوله الوجوب؛ لأن التحذير لا يكون إلا من شيء يأثم به الإنسان، فإن ما لا إثم فيه لا يكون الحذر منه.:

١٩١٩. تفيد أن على المسلم أن يكون حذرا وجلا من المعاصي لا يجازف بدينه ولا يستهين بمعصية.

١٩٢٠. حذف مفعول ﴿ وَٱحۡذَرُواْ ﴾ لِيُنزّلَ الفعلُ منزلة اللازم لأنّ القصد التلبّس بالحذر في أمور الدين، أي الحذر من الوقوع فيما يأباه الله ورسوله، وذلك أبلغ من أن يقال واحذروهما، لأنّ الفعل اللازم يقرُب معناه من معنى أفعال السجايا، ولذلك يجيء اسم الفاعل منه على زِنة فَعِلٍ كفرحٍ ونَهِمٍ. (التحرير والتنوير).

١٩٢١. إطلاق الأمر بالحذر وعدم تقيده بمتعلق يفيد أن على المؤمن الاتصاف به في كل الأحوال لا سيما في مجابهة الأعداء الأخفياء من شياطين الجن والأعداء الموجهين من البشر.

١٩٢٢. تفيد التحذير من الوقوع في الفتنة في الدين والمصيبة في الدنيا عند مخالفة أمر الله ورسوله قال تعالى ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣].

١٩٢٣. قوله ﴿ وَٱحْذَرُوا۟ ﴾ إشارة إلى خفي طرائق الشهوات ومستتر حبائل اللذات المستوجبة للحذر واليقظة (الخمر، الميسر...).

١٩٢٤. فيها تحذير للمؤمن من مشابهة اليهود الذين عرفوا الحق وعصوا الخالق، فمعرفة الحق وحكمه تقتضي طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم.

١٩٢٥. فيها الإبداع بتنوع المعالجة في الخطاب القرآني للسلوكيات الخاطئة في المجتمع المسلم، مرة بالنداء الإيماني الجمعي ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾، ومرة بالتشنيع بقرن الخمر والميسر بالأصنام وأنها رجس خبيث، ومرة بالعقل وإعادة الأمور إلى جذورها ﴿ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾، والتفكير بالمآلات ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾، ومرة بالتأثير الاجتماعي والعاطفي بالتفرق والعدواة بين الأخوة والأصحاب، ومرة بالأمر المباشر ﴿ فَٱجْتَنِبُوهُ ﴾، ومرة بالتلطف الراقي بالسؤال وتحكيم العقل والإيمان ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾، ومرة بالتذكير بأصل الاسلام والشهادة وما يقتضيه الاستسلام لله ورسوله ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾، ومرة بالترغيب﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾، ومرة بالترهيب (﴿ وَٱحْذَرُوا۟ ﴾،وهذا التنوع في الخطاب يدل على أمرين:

أ/ خطورة شرب الخمر وآثاره السالبة على الفرد والمجتمع والأمة.

ب/ أنه من الأمور التي تحتاج إلى صبر وكثرة طرق لاستئصالها.

١٩٢٦. قوله ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ فيها النهي عن التولي والإعراض؛ قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنفال: ٢١].

١٩٢٧. فيها تهديد عظيم ووعيد شـــديد في حق من خالف وأعرض عن حكم الله وبيانه.

محاسن التأويل.

١٩٢٨. قوله ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ٩٢﴾ فيها أن الإرشـاد إلى تعديل السلوك الخاطئ إنما هو لمصلحة العبد نفسه، وأن معصيته لن تضر ربه ولا رسوله، فإن غاية ما عليه البلاغ المبين.

١٩٢٩. فيها الإشارة إلى عظم مكانة النبي صلى الله عليه وسلم عند ربه؛ لقوله﴿ رَسُولِنَا ﴾.

١٩٣٠. فيها أن عمل العبد إنما يعود عليه فإن عمل بطاعة الله عز وجل عاد بالخير عليه، وإن عمل بمعصية عادت بالضرر عليه.

١٩٣١. فيهـا أن مخـالفـة الأمر، ومجـافـاة الطـاعـة يتعـدى فوات ثواب الطـاعـة، وتحقق جزاء المعصية إلى حمل النفس على الرجوع والنكوص والإدبار؛ بدلالة لفظة ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ ﴾ العصيان مع الإعراض والإدبار.

١٩٣٢. فيها توجيه الدعاة إلى الحرص على البلاغ المبين الواضـح اقتداء بسـيد الدعاة عليه الصلاة والسلام.

١٩٣٣. فيها أن على الدعاة مســؤولية البيان الشـــافي الكافي وليس عليهم مســؤولية هداية الناس.

١٩٣٤. قوله ﴿ فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ للتنبيه على أهمية الخبر والبلاغ.

١٩٣٥. تفيد الأمر بالعلم.

١٩٣٦. تفيد أن بلاغ الرسول ﷺ بلاغ مبين، لا عي فيه ولا تعقيد ولا إشكال، بل هو بين في نفسه مبين لغيره؛ لقوله:﴿ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ٩٢ ﴾

١٩٣٧. يؤخذ من الآية أن ورود التولي مع البلاغ المبين تقرير للزوم حســن البيان وجميل البلاغ حال الدعوة دون اقتضاء دوام الاستجابة.

١٩٣٨. فيها أنه لا وقوف في الطريق إلى الله، فإما إقدم بطاعة أو تول ونكوص بمخالفة. ومنه ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ﴾ [المدثر: ٣٧].

١٩٣٩. في وصف الله البلاغ بالمبين دليل على أن الداعية إلى الله لايسقط عنه وجوب التبليغ حتى يقيم الحجة على العباد، لأن العلماء ورثة الأنبياء.

قال تعالى: ﴿ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [المائدة: ٩٣].

١٩٤٠. فيها سماحة الإسلام حيث لا يؤاخذ من شرب الخمر قبل تحريمها أو لم يبلغه تحريمها.

١٩٤١. تفيد أن الأحكام الشرعية لا تجب قبل العلم بها، لأنها نزلت في بيان حال من مات قبل تحريم الخمر، وأنه لا جناح عليهم.

١٩٤٢. يدخل في هذه الآية الكريمة، من طعم المحرم، أو فعل غيره بعد التحريم، ثم اعترف بذنبه وتاب إلى الله، واتقى وآمن وعمل صالحا، فإن الله يغفر له، ويرتفع عنه الإثم في ذلك. (السعدي).

١٩٤٣. فيها أن من حسن الإدارة وسياسة الناس عدم التوقف عند المنع والاكتفاء به، بل يجب التفكير بالحلول والبدائل، وحل المشكلات القائمة، والعفو عمّا كان، حتى يجد الناس مناخاً ملائماً ومحفّزاً للتغيير.

١٩٤٤. فيها حث للمؤمنين على الازدياد من الإيمان والتقوى والعمل الصالح وأن أهلها سيتجاوز الله عن زلاتهم.

١٩٤٥. في تكرار التقوى ثلاث مرات، الأول للماضي والثاني للحال والثالث في المستقبل، دلالة على أهمية دوام التقوى، واصطحابه في كل الأزمنة والأمكنة، قال العلامة السعدي: تأملت في تكرار التقوى ثلاث مرات في هذه الآية، فوقع لي في وجهين: ١- أحدهما: أن الأول للماضي والثاني للحال والثالث في المستقبل. الثاني: أن الأول في مقام الإسلام، والثاني في مقام

الإيمان، والثالث في مقام الإحســان: والمؤمن لا تكمل تقواه حتى يترك ما حرم الله ولا يتم دينه إلا بهذه المقامات الثلاثة، وقال محمد بن جرير: الاتقاء الأول هو الاتقاء بتلقي أمر الله بالقبول، والتصــديق والدينونة به والعمل، والاتقاء الثاني الاتقاء بالثبات على التصــديق، والثالث الاتقاء بالإحســان، والتقرب بالنوافل، وقال ابن عطية:" والتكرار في قوله ﴿ ٱتَّقَواْ ﴾ يقتضــي في كل واحدة زيادة على التي قبلها وفي ذلك مبالغة في هذه الصفات لهم.

١٩٤٦. أيضـــا في هذا دعوة إلى الثبات على تقوى الله تعالى. قال البقاعي:" لازموا التقوى إلى أن أوصلتهم إلى مقام المراقبة ".

١٩٤٧. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في الآية: هي بينة في الإصلاح والتقوى والإحسان، موجبة لرفع الحرج وأن المؤمن العامل الصالحات المحسن لا حرج عليه ولا جناح فيما طعم، فإن فيه عونا له وقوة على الإيمان والعمل الصــالح والإحســان؛ ومن ســواهم على الحرج والجناح؛ لأن النعم إنما خلقها الله ليستعان بها على الطاعة، والآية مدنية، وهي من آخر ما نزل من القرآن. (مجموع الفتاوى ٢٠/١٥٣).

١٩٤٨. فيها أن تقوى الله والإيمان يقودان العبد نحو الصـــلاح فيما يخص معاشـــه ودينه وحياته. قال ابن خويز منداد: تضـمنت هذه الآية تناول المباح والشـهوات، والانتفاع بكل لذيذ من مطعم ومشرب، ومنكح، وإن بولغ فيه وتنوهي في ثمنه.

١٩٤٩. في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ دليل على أن المتقي المحســن أفضــل من المتقي المؤمن الذي عمل الصــالحات ؛ وفضـله بأجر الإحسان.

١٩٥٠. فيها عظم مراقبة الله عز وجل وتقواه بالبعد عما يغضبه ويسخطه.

١٩٥١. فيها أن من استشعر مراقبة الله عز وجل له قاده هذا إلى إتقان العمل وإحسانه.

١٩٥٢. فيها فضيلة لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال ابن عاشور: وقد يَلُوح ببادئ الرأي أنّ حال الذين تُوُفُّوا قبل تحريم الخمر ليس حقيقاً بأن يَسأل عنه الصحابةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم للعلم بأنّ الله لا يؤاخذ أحداً بعمل لم يكن محرّماً من قبل فعله، وأنّه لا يؤاخذ أحداً على ارتكابه إلاّ بعد أن يعلم بالتحريم، فالجواب أنّ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا شديدي الحذر ممّا ينقص الثواب حريصين على كمال الاستقامة فلمّا نزل في الخمر والميسر أنّهما رجس من عمل الشيطان خَشُوا أن يكون للشيطان حظّ في الذين شربوا الخمر، وأكلوا اللحم بالميسر، وتُوفُّوا قبل الإقلاع عن ذلك، أوْ ماتوا والخمر في بطونهم مخالطة أجسادهم، فلم يتمالكوا أن سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن حالهم لشدّة إشفاقهم على إخوانهم، فكان القصد من السؤال التثبّت في التفقّه وأن لا يتجاوزُوا التلقّي من رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمور دينهم.

١٩٥٣. تفيد أن العبد لن يصل إلى رتبة الإحسان دفعة واحدة بل بالتدرج في مراقي العمل الصالح، الذي يمحو السيئات ويرفع الدرجات ويعين على الثبات ويزيد الإيمان إلى درجة الإحسان.

١٩٥٤. تفيد: أن الحسنات يذهبن السيئات، لقوله: ﴿ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فاشترط: التقوى والإيمان، والعمل الصالح، والإحسان؛ الذي من جملته التقرب إليه بالنوافل.

١٩٥٥. عطف الجمل بـ" ثم" الدالة هنا على التراخي في الزمان والتراخي في الرتب فيه إشارة إلى أن الوصول إلى أعلى مراتب الدين – أعني مرتبة الإحسان- يحتاج إلى علم وصبر ومكابدة للعبادة وطول ملازمة للتقوى. كما قال ثابت البناني: "كابدت الصلاة عشرين سنة وتنعمت بها عشرين سنة ".

١٩٥٦. فيها الإشارة إلى مرتبتي الإيمان والإحسان، وأن الإحسان أعلى درجة ولذلك خص المحسنين بالمحبة.

١٩٥٧. فيها بيان لأفضـــلية درجة الإحســـان، وذلك من وجهين: تدرجه من درجة التقوى والإيمان مرتين حتى ارتقى في الثالثة إلى درجة الإحســـان مســـتخدما أداة العطف (ثم) للتراخي الرتبي. ختم الآية الكريمة بحب الله تعالى للمحسنين.

١٩٥٨. فيها: إثبات صفة المحبة لله عز وجل.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [المائدة: ٩٤].

١٩٥٩. مناســبتها لما قبلها أنها أســفرت عن عظيم صــفات المحســنين وأنها هي مخافة الله ومراقبته غيبا، كأن المعنى انتظم" والله يحب المحسنين الذين يخافونه بالغيب.

١٩٦٠. تفيد أن العبد قد يُبتلى ويُمكّن من المعصية ليرى الله قوة إيمانه وصدق توبته بعيداً عن الأعين؛ فعليه أن يردد دائما: أسألك خشيتك في الغيب والشهادة.

١٩٦١. فيها أن على العبد ألا يغتر بما يفتح عليه من الدنيا، فهو على سبيل الابتلاء.

١٩٦٢. تفيد أن إيجاد المحرمات في كتاب الله عز وجل تنطوي تحته حكمة عظيمة وهي اختبار العباد وابتلاؤهم.

١٩٦٣. الآية تعالج قضــية خطيرة وقعت في هذه الأزمنة وهي ســهولة الوصــول للفواحش- أعاذنا الله وإياكم- عن طريق الأجهزة الذكية تناله الأيدي والجوارح ليعلم الله من يخافه بالغيب.

١٩٦٤. التنوين في قوله ﴿ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ ﴾ للتقليل والتحقير. وإنما امتحنوا بهذا الشــيء الصــغير، تنبيها إلى أن من لم يثبت ويعصــم نفســه عن ارتكاب هذه الأشــياء الصــغيرة فإنه لن يثبت أمام التكاليف الكبيرة. قال صــاحب الكشــاف: فإن قلت ما معنى التقليل والتصــغير في قوله: بشــيء من الصــيد؟ قلت: قلل وصــغر ليعلم أنه ليس بفتنة من الفتن العظام التي تدحض عندها أقدام الثابتين- كالابتلاء ببذل الأرواح والأموال- وإنما هو شبيه بما ابتلى به أهل أيلة من صيد السمك، وأنهم إذا لم يثبتوا عنده فكيف شأنهم عند ما هو أشد منه».

١٩٦٥. فيها بيان فضل هذه الأمة، ووجهه كما قال الشيخ طنطاوي في الوسيط: "هذا، ولقد نجحت الأمة الإسلامية وخصوصا سلفها الصالح في هذا الاختبار فقد تجنب أبناؤها وهم محرمون أو في الحرم مصيد البر مهما أغراهم قربه منهم، وحبهم له على صيده والانتفاع به. بينما أخفق بنو إسرائيل فيما يشبه هذا الاختبار فقد نهاهم الله- تعالى- عن الصيد في يوم السبت، فكانت الأسماك تظهر لهم في هذا اليوم امتحانا من الله لهم، فما كان منهم إلا أن تحايلوا على صيدها، بأن حبسوها في يوم السبت ليصيدوها في غيره.. فاستحقوا من الله اللعنة والمسخ واستحقت الأمة الإسلامية أن تكون خير أمة أخرجت للناس.

١٩٦٦. فيها رد على المرجئة؛ لقوله:﴿ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ﴾

١٩٦٧. فيها تربية على مراقبة الله تعالى، وتقواه في الغيب والشهادة، والسر والعلانية.

١٩٦٨. تفيد تحريم الصيد حال الإحرام، وأنه من العدوان، ومن الكبائر لتوعد من فعله بالعذاب الأليم.

١٩٦٩. فيها أن الرغبة في الصيد راسخة في نفس الإنسان، يستمتع بها الإنسان في ذاتها.

١٩٧٠. فيها: خص الله تعالى الأيدي بالذكر لأنها المباشرة لمثل هذه التصرفات.

١٩٧١. فيها خص الرماح بالذكر لأنها أعظم ما يجرح به الصيد، وفيها يدخل السهم ونحوه.

١٩٧٢. فيها: كره مالك صيد أهل الكتاب ولم يحرمه، لقوله تعالى:﴿ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ﴾ يعني أهل الإيمان، ولقوله تعالى في صدر الآية:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ فخرج عنهم أهل الكتاب، وخالفه جمهور أهل العلم، وهو عندهم مثل ذبائحهم، وأجاب المالكية بأن الآية إنما تضمنت أكل طعامهم، والصيد باب آخر فلا يدخل في عموم الطعام، ولا يتناوله مطلق لفظه. قال القرطبي:" هذا بناء على أن الصيد ليس مشروعا عندهم فلا يكون من طعامهم، فيسقط عنا هذا الإلزام ; فأما إن كان مشروعا عندهم في دينهم فيلزمنا أكله لتناول اللفظ له، فإنه من طعامهم، والله أعلم.

١٩٧٣. تفيد: أن خوف العبد من ربه بالغيب دلالة على قوة إيمانه وشدة المراقبة له جل شأنه.

١٩٧٤. تفيد أن الخوف من الله تعالى عبادة عظيمة، ولا تكون إلا لله رب العالمين.

١٩٧٥. في الآية إشارة إلى أنه من أسباب قبول توبة العبد ومن كمالاتها الاستقامة على الطاعة، والثبات على الهداية، والارتقاء في مدارج الإحسان حتى يلقى العبد ربه.

١٩٧٦. فيها رحمة الله بخلقه حيث لم يؤاخذهم بناء على علمه الأزلي فيهم، وإنما المؤاخذة بظهور ذلك وحصوله منهم؛ فالعلم في الآية ﴿ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ﴾ علم الظهور.

١٩٧٧. فيها أن الله سبحانه وتعالى لا يرى في الدنيا؛ قال الجمل: وقوله ﴿ بِٱلْغَيْبِ ﴾ حال من فاعل يخافه، أي: يخاف الله حالة كونه غائبا عن الله، ومعنى كون العبد غائبا عن الله، أنه لم ير الله تعالى. أو حال من المفعول. أي: يخاف الله حال كونه- تعالى- ملتبسا بالغيب عن العبد، أب غير مرئي له. انتهى. أما الرؤية في الآخرة فثابتة.

١٩٧٨. فيها إشارة إلى صفة من صفات المؤمنين وهي الإيمان بالغيب.

١٩٧٩. فيها بيان لسوء عاقبة المخالف لأوامر الله، والمتجاوز لحدوده.

١٩٨٠. فيها الاعتبار بمن يخافه بالغيب، وعدم حضور الناس عنده، وأما إظهار مخافة الله عند الناس فقد يكون ذلك لأجل مخافة الناس.

١٩٨١. تفيد أن من كان جاهلًا فإنه لا إثم عليه إذا فعل المعصية؛ لقوله: ﴿ بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾

١٩٨٢. فيها أن التعدي على محارم الله – تبارك وتعالى –وانتهاكها، توقع صاحبها الهلاك والعذاب في الدنيا، وهذا من تعجيل العقوبة.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيَۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ

ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ [المائدة: ٩٥].

١٩٨٣. تفيد الآية وجوب تعظيم حرمات الله.

١٩٨٤. فيها أن المؤمن قد يضعف وتصدر منه المعصية عمدا، لتوجيه الخطاب لأهل الإيمان ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ ﴾.

١٩٨٥. قوله ﴿ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ ﴾ المراد بالصيد: المصيد. وخصه بعض الفقهاءِ بما يؤكل لحمه؛ لأَنه الغالب فيه عرفا. والجمهور، على أن غير المأكول يحرم قتله أيضًا. ولا يستثنى من ذلك، إلا ما نصَّ عليه في قوله عليه الصلاة والسلام: "خَمْسُ فواسق: يُقتَلْنَ في الْحِلِّ وَالحَرَم: الغرابُ، والحدأةُ، والعقربُ، والفأْرةُ، والكلبُ العقورُ" أخرجه الشيخان

١٩٨٦. قوله ﴿ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ ﴾ فيها دقة العبارة القرآنية فالصيد يتوصل إليه غالبا بالقتل لا بالذبح.

١٩٨٧. فيها إنما سماه قتلا لأنه لا يحل أكله للمحرم وغيره حتى ولو ذبح وسال منه الدم، لذا سماه قتلا.

١٩٨٨. يشمل النهي عن قتله النهي عن مقدمات القتل، وعن المشاركة في القتل، والدلالة عليه، والإعانة على قتله، حتى إن من تمام ذلك أنه ينهى المحرم عن أكل ما قُتل أو صيد لأجله، وهذا كله تعظيم لهذا النسك العظيم، أنه يحرم على المحرم قتل وصيد ما كان حلالا له قبل الإحرام.

١٩٨٩. يفيد قوله تعالى: ﴿ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ ﴾ تحريمه في حال إحرامكم، أو إذا كنتم في الحرم.

١٩٩٠. فيها سعة معاني القرآن الكريم وبلاغته؛ لأن قوله ﴿ حُرُمٞۚ ﴾ جمع حرام. وهذا اللفظ يتناول المحرم بالحج أو بالعمرة أو بهما وإن كان في الحل، كما يتناول من كان في الحرم وإن كان حلالا.

١٩٩١. فيها إفادة العموم في قوله ﴿ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾ فيشمل الرجال والنساء والأحرار والعبيد. أفاده القرطبي.

١٩٩٢. فيها أن الله تعالى لا يؤاخذ إلا من كان متعمدا، أما إذا كان عن جهل أو نسيان أو عن غير قصد فإن الله لا يؤاخذ عليه، لقوله ﴿ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا ﴾

١٩٩٣. فيها: بيان عفو الله عز وجل وكرمه على من قتل الصيد قبل التحريم وشدة انتقامه على من قتله بعد التحريم.

١٩٩٤. فيها أن التعمد له أثر في تشديد الحكم كما في غيره من الأحكام.

١٩٩٥. تفيد الآية أن انتهاك حرمات الله مع العلم بها داع إلى حلول نقم الله، فإن الإتلاف في الخطأ والنسيان مضمون.

١٩٩٦. تفيد: جواز قتل الصيد في حالة مهاجمته المحرم إذا لم يكن ثم سبيل لدفعه إلا بالقتل (كالحمار الوحشي مثلا إذا خشي منه التلف)؛ لقوله: ﴿ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا ﴾

١٩٩٧. فيها أن للذنوب عقوبات عاجلة.

١٩٩٨. فيها أن العدالة شرط في الحاكم، لقوله ﴿ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾.

١٩٩٩. وجه الحاجة إلى حكم العدلين أن المماثلة بين النعم والصيد مما يخفى على أكثر الناس، وما لا مثل له بوجه من الوجوه يحكمان فيه بالقيمة.

٢٠٠٠. فيها: رد على الخوارج؛ لقوله ﴿ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾.

٢٠٠١. تفيد أن من تمام حكم الحاكم وتحقيق العدالة استشارته لغيره، لقوله ﴿ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾.

٢٠٠٢. فيها بيان تعظيم الكعبة وتعظيم شعيرة الإحرام، لقوله ﴿ هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ ﴾

٢٠٠٣. فيها دليل لمن قال إن مساجد مكة كلها تضاعف فيها الصلاة كالمسجد الحرام؛ لقوله: ﴿ هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ ﴾ والمراد بالكعبة جميع الحرم.

٢٠٠٤. فيها جزاء من قتل صيدا وهو محرم كما قال تعالى ﴿ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا ﴾. أي: فعليه جزاء مثل ما يماثله من النعم، فإن لم يكن له مثلٌ أطعم أو صام، يُقوّم بالطعام فيتصدق به، أو يصوم لكل مدٍّ يومًا.

٢٠٠٥. فيها أن التنوع في الكفارة رحمة بالمسلمين، وتيسير عليهم لقوله ﴿ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا ﴾.

٢٠٠٦. فيها أن هذه الكفارة على التخيير وهو مذهب الجمهور، وهو الذي يقتضيه العطف بأو، ومذهب ابن عباس أنها مرتبة، وكيفية التخيير هنا: أن يخير الحكمان القاتلَ فإن أراد الجزاء عينوا له ما يهدي، وإن أراد الإطعام قوموا الصيد بالطعام في ذلك المحل، فيطعم مُدًا لكل مسكين، وإن أراد الصيام صام يومًا لكل مُدّ، وكمل لكسره، فإذا قوم بعشرة مثلاً ونصف مُدّ، صام أحد عشر يومًا.

٢٠٠٧. فيها أثر إطعام المساكين في تكفير الخطأ والذنب، وفضل الإسلام الذي شرع في كثير من الكفارات إطعام المساكين.

٢٠٠٨. فيها بيان حكمة هذا الجزاء، فقال: ﴿ لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ﴾ أي: فعليه الجزاء أو الإطعام أو الصيام ليذوق عقوبة سوء فعله، وسوء هتكه لحرمة الإحرام.

٢٠٠٩. تبين أن الكفارة فيها معنى العقوبة، لأن الذنب هنا مخل بحرمة يشدد فيها الإسلام تشديداً كبيراً: لذلك يعقب عليها بالعفو عما سلف، والتهديد بانتقام الله ممن لا يكف.

٢٠١٠. فيها أن ما كان قبل بيان الحكم الشرعي فهو عفو، لقوله ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ﴾

٢٠١١. فيها أن معاودة الذنب عرضة للعقاب الشديد، لقوله ﴿ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾.

٢٠١٢. فيها أن الجزاء الدنيوي إنما يمنع عقاب الآخرة إذا لم يتكرر الذنب، فإن تكرر استحق صاحبه الجزاء في الدنيا والعقاب في الآخرة.

٢٠١٣. فيها بيان صفة العزة والقدرة والانتقام من العصاة لله تعالى.

قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المائدة: ٩٦].

٢٠١٤. قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ﴾ فيه دليل على حل صيد البحر للمحل والمحرم من غير إسراف، وفيه غنى عن صيد البر وتوسعة على الحجاج والعمار القادمين عن طريق البحر.

٢٠١٥. الإضافة في قوله ﴿صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ تقتضي العموم، أي جميع حيوان البحر حلال، إلا ما نص الدليل على حرمته. ولهذا احتج بهذه الآية من ذهب من الفقهاء إلى أنه تؤكل دواب البحر ولم يستثن من ذلك شيئا.

٢٠١٦. تفيد الحث على استكشاف البحار والاكتساب منها.

٢٠١٧. فيها: بيان الحكمة في حل صيد البحر دون البر للمحرم، لأن صيد البحر خفي وتناوله سهل وليس فيه لهو على غرار صيد البر.

٢٠١٨. ظاهر الآية يدل أيضا على أنه لو وجد ماء فيه سمك داخل حدود الحرم فهو حلال، وهذا الراجح من أقوال العلماء.

٢٠١٩. تفيد أن العام يبقى على عمومه حتى يرد ما يخصصه، فلما كان تحريم الصيد يشمل البري والبحري استثنى الله تعالى الصيد البحري.

٢٠٢٠. تفيد أن صيد البحر هنا يشمل البحار والأنهار.

٢٠٢١. تفيد أن البحر ملك مشاع في البشرية لا يمنع طعامه ولا صيده عن أحد.

٢٠٢٢. تفيد أن الله عز وجل يحب لعباده التمتع بما أخرج لهم من البر ومن البحر، وخاصة أن هذا التمتع إنما هو في طاعته وعبادته سبحانه وتعالى.

٢٠٢٣. فيها بيان كمال فضل الله على بني آدم حيث سخر لهم ما في البر والبحر.

٢٠٢٤. فيها أن الله عز وجل لم يجعل في الدين من حرج، فما منع شيئا إلا وأباح دونه ما يسد مسده وأكثر.

٢٠٢٥. فيها دليل على جواز السفر في البحر، وأما حديث: لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر، أو غاز في سبيل الله، فإن تحت البحر نارا وتحت النار بحرا، فرواه أبو داود ولكنه ضعيف. ضعفه الألباني وغيره.

٢٠٢٦. يؤخذ من لفظ "الصيد" أنه لا بد أن يكون وحشيا، لأن الإنسي ليس بصيد. ومأكولا، فإن غير المأكول لا يصاد ولا يطلق عليه اسم الصيد. (السعدي).

٢٠٢٧. قوله ﴿ وَطَعَامُهُۥ ﴾ يدل أيضا على أن كل ما يطعم مما في البحر من أسماك وأشجار فهو حلال، ولا يختص الحل بما تحصل عليه من الصيد، أو ما صيد حيا فحسب، بل يدخل فيه ما يقذفه البحر حيا أو ميتا أو جفت عنه فهو الماء. وفي الحديث قال النبي صلى الله عليه وسلم عن البحر: هو الطهور ماؤه الحل ميتته. رواه الترمذي وغيره.

٢٠٢٨. تفيد طيب طعام البحر حيث بين الله تعالى هنا بأنه متاع.

٢٠٢٩. قوله ﴿ وَلِلسَّيَّارَةِۖ ﴾ تنبيه أن صيد البحر حلال المحرم الذي ركب البحر أو كان ممن يسير في البر، لكيلا يتوهم أن الحل لمن ركب البحر فقط

٢٠٣٠. قوله ﴿ وَلِلسَّيَّارَةِۖ ﴾ في إشارة إلى ادخار لحم البحر.

٢٠٣١. فيها: حرمة صيد البر للمحرم.

٢٠٣٢. تفيد حل صيد البر لغير المحرم.

٢٠٣٣. يستمر تحريم صيد البر ما دام الشخص متلبسا بالإحرام، فإذا قضى نسكه وتحلل من إحرامه جاز له الصيد.

٢٠٣٤. تفيد شـــدة تحريم الصـــيد على المحرم لتكرره في هذه الآيات الثلاث، وتوعد الله عز وجل بالانتقام ممن فعله بعد النهي.

٢٠٣٥. في تحريم الصيد البري الذي يعيش في مناطق الحرم، تكريم لهذه المناطق، وتشريف لها، وإعلاء لشأنها ومكانتها. فهي أماكن الأمان والاطمئنان والسلام. لا للبشر وحدهم، بل للبشر ولغير البشر من مخلوقات الله التي نهت شريعته عن التعرض لها بسوء. (الوسيط في التفسير).

٢٠٣٦. تفيد أن الإســلام جاء ليقرر قضــية الأمن التي كان يعظمها أهل الجاهلية، فإذا كان الاعتداء على الصيد وهو من الحلال لحرمة البيت فالأولي الأمن لمن هو أرفع درجة منه.

٢٠٣٧. في تقابل لفظي أحل وحرم دلالة على سماحة ويسر الشريعة الغراء فما حرم من شيء إلا اتت بمثلها أو خير منها

٢٠٣٨. تفيد الآية أن من مقاصد العبادة اختبار العباد في الاستجابة لله تعالى.

٢٠٣٩. في الآية تدريب على الطاعة المطلقة لله في كل وقت، وذلك بتحريم ما هو حلال في بعض المواطن والظروف.

٢٠٤٠. ويســتفاد من الآية أن الدين بالتلقي وليس بالرأي، لأن قائلا ســيقول ما الفرق بين الاصطياد وهو محرم وعدمه في عدم إحرامه.

٢٠٤١. تفيد وجوب تقوى الله عز وجل والتحذير من مخالفته فيما فرض من أحكام.

٢٠٤٢. فيها إشـــارة إلى ربط تدريس الأحكام بالترغيب والترهيب والتذكير بتقوى الله عز وجل، والآخرة حثا على امتثال الأوامر واجتناب النواهي.

٢٠٤٣. فيها: أن التزام المسلم بالحلال والحرام مرتبط بتقواه لمولاه.

٢٠٤٤. تفيد فضل التقوى وأنها تزجر عن المحرمات وتعظم بها شعائر الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ سورة الحج.

٢٠٤٥. تفيد، وبضميمة ما قبلها: أن الحكمة من التحليل والتحريم، تحقيق التقوى.

٢٠٤٦. في الآية حث على تنفيذ الحكم بدون تردد للأمر بالتقوى والتهديد بالعرض على الله في الحشر يوم الحساب.

٢٠٤٧. تفيد الحث على التقوى في كل الأحوال خاصة حال الإحرام.

٢٠٤٨. تفيد أن من تقوى الله إتيان رخصه، واستعمال مباحه.

٢٠٤٩. يفيد ذكر تقوى الله في سياق حل صيد البحر إشارة إلى أنه كما نجاكم من الموت جوعا في عرض البحار فإنه ينجيكم من الموت غرقا إذا اتقيتموه والتزمتم حدوده، فاتقوه.

٢٠٥٠. تفيد أن الوقوف عند محارم الله دليل على تقواه بدلالة عطف التحريم بالأمر بالتقوى.

٢٠٥١. ناسب التهديد بالحشر مع السير إلى الحشر الأصغر في الحج ليتذكر به الحشر الأكبر يوم القيامة، وما أعد الله فيه من الحساب على الأوامر والزواجر.

٢٠٥٢. وفيها: إثبات الْيَوْمَ الآخر والتحذير من العقوبة فيه.

٢٠٥٣. وفيها أن الحشر لله وحده فهو سبحانه من يُثيب ويعاقب.

٢٠٥٤. فيها أن تذكر يوم القيامة وما فيه من الحشر والحساب باعث على تقوى الله جل وعلا.

٢٠٥٥. تفيد أن العلم بالحشر وما فيه من حساب يحمل العبد على تقوى الله تعالى.

٢٠٥٦. تفيد أن في ذكر التقوى والحشر في سياق صيد البحر إشارة إلى أنه ينبغي لمن كانوا فيها أن يتأملوا أنهم كما حشروا في تلك السفن ويطلبوا فيها نجاتهم ووصولهم إلى بر الأمان، وإلى مكان لم يكونوا بالغيه إلا من طريقه ويعلموا أنهم محشورون إلى الله، ولا ينجيهم منه إلا تقواه، ولا يصلون إلى مرادهم في الآخرة إلا بتقواه، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

٢٠٥٧. تفيد عظمة الله تعالى وكمال سلطانه حيث يحشر الخلائق إليه جميعاً للحساب والجزاء.

قال تعالى: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٩٧].

٢٠٥٨. تفيد دقة المناسبة بين الآيات، فلما ذكر الله تعالى في الآية السابقة ما به قوام الناس جسديا، ذكر بعدها ما به قوام الناس روحيا فقال: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾، وفي التصريح بالقيام هنا إشارة إلى أن القيام الجسدي لا يستغني عن القيام الروحي.

٢٠٥٩. وأيضا من أوجه التناسب أن الله- تعالى- حرم في الآية المتقدمة الاصطياد على المحرم، فبين أن الحرم كما أنه سبب لأمن الوحش والطير، فكذلك هو سبب لأمن الناس عن الآفات والمخالفات، وسبب لحصول الخيرات والسعادات في الدنيا والآخرة.

٢٠٦٠. تفيد أن الله عز وجل هو الذي جعل هذه البلدة حراما ولم يحرمها الناس؛ لقوله ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾.

٢٠٦١. قوله ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾ تفيد أن الله تعالى هو الذي يرفع من شأن الأشياء، ويجعل لها قيمة وفائدة.

٢٠٦٢. قوله ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ ﴾ فيه أن كل ما جاور الكعبة فهو من البيت الحرام، وفي ذلك إشارة خفية إلى أنه سبحانه وتعالى خفف على عباده ووسع عليهم، وأن كل حدود الحرم هو بيت الله الحرام.

٢٠٦٣. قوله ﴿ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ ﴾ بيان للكعبة، قصد من هذا البيان التنويه والتعظيم، إذ شأن البيان أن يكون موضّحاً للمبيّن بأن يكون أشهر من المبيّن. ولما كان اسم الكعبة مساوياً للبيت الحرام في الدلالة على هذا البيت فقد عبّر به عن الكعبة في قوله تعالى ﴿ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ ﴾ [المائدة: ٢]، فتعيّن أنّ ذكر البيان للتعظيم، فإنّ البيان يجيء لما يجيء له النعت من

توضيح ومدح ونحو ذلك، ووجه دلالة هذا العلم على التعظيم هو ما فيه من لمح معنى الوصف بالحرام قبل التغليب. وذكر البيت هنا لأنّ هذا الموصوف مع هذا الوصف صارا علماً بالغلبة على الكعبة. (التحرير والتنوير).

٢٠٦٤. في إطلاق اسم البيت الحرام على الكعبة إشعار بالطمأنينة والراحة وقضاء الحاجات لأن من قصد بيته وجد راحته وحاجته فكيف بمن قصد بيت الكريم الرحيم؟

٢٠٦٥. فيها أن الله تعالى قد جعل مكة آمن منطقة في الأرض، إذ يأمن فيها الشجر والحجر والطير والدواب فضلاً عن الناس، كما أنها أمان اقتصادي لاتنقطع عنها الأرزاق.

٢٠٦٦. قوله ﴿ قِيَمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ ﴾ فيها أن قيام مصالح الناس الدنيوية والأخروية مرتبطة بعمارة المسجد الحرام وأداء حقوقه، ففيه يتم إسلامهم، وبه تحط أوزارهم، وتحصل لهم - بقصده - العطايا الجزيلة، والإحسان الكثير، وبسببه تنفق الأموال، وتتقحم - من أجله - الأهوال، ويجتمع فيه من كل فج عميق جميع أجناس المسلمين، فيتعارفون ويستعين بعضهم ببعض، ويتشاورون على المصالح العامة، وتنعقد بينهم الروابط في مصالحهم الدينية والدنيوية.

٢٠٦٧. تفيد أن وجود البيت الحرام هو أمن وأمان للعباد وصلاح لدينهم ودنياهم، ورحم الله الإمام القرطبي حيث يقول: «والحكمة في جعل الله- تعالى- هذه الأشياء قياما للناس، أن الله- سبحانه- خلق الخلق على سليقة الآدمية من التحاسد والتقاطع والسلب والغارة. فلم يكن بد في الحكمة الإلهية من وازع يزعهم- أي يزجرهم- عن التنازع، ويحملهم على التآلف، ويرد الظالم عن المظلوم، فقد روى مالك أن عثمان بن عفان كان يقول: ما يزع الإمام أكثر مما يزع القرآن». فجعل- سبحانه- الخليفة في الأرض حتى لا يكون الناس فوضى، وعظم في قلوبهم البيت الحرام، وأوقع في نفوسهم هيبته، فكان من لجأ إليه معصوما به، وكان من اضطهد محميا بالكون فيه. ولما كان لهذا البيت موضع مخصوص- ومكان معين- لا يدركه كل مظلوم،

فقد جعل- سبحانه- الأشهر الحرم ملجأ آخر. وقرر في قلوبهم حرمتها، فكانوا لا يروعون فيها سربا- أي نفسا- ولا يطلبون فيها دما، حتى كان الرجل يلقى قاتل أبيه وابنه وأخيه فلا يؤذيه. ثم شرع لهم الهدى والقلائد، فكانوا إذا أخذوا بعيرا وأشعروه دما، أو علقوا عليه قلادة أو فعل ذلك الرجل بنفسه. لم يروعه أحد حيث لقيه».

٢٠٦٨. فيها أنه إذا كانت الكعبة قياما للناس في إيمانهم وتوحيدهم فيلزم من ذلك أنها سبب في إزالة بدعتهم وضلالهم.

٢٠٦٩. فيها أنه بقدر تعظيم هذا البيت بقدر ما يكون لهم قياما.

٢٠٧٠. في قوله تعالى قوله ﴿ لِّلنَّاسِ ﴾ ولم يقل للمسلمين عموم ليشمل سكان العالم، ولتكون الكعبة قياماً لهم وأمناً وكل بحسبه، فهي قيام لدين المسلمين ودنياهم، وقيام لدنيا غير المسلمين ومصدر للأمن، إذ بزوالها يزول العالم وتقوم القيامة.

٢٠٧١. في الآية أن أمر الناس لا يصلح بدون وازع يأمرهم وينهاهم سواء كان ملكا أو أمرا شرعيا كما هو الشأن في الكعبة، والأشهر الحرم والهدي والقلائد، لولا أن الله أوجدها لحكمة يعلمها لكاد العرب يفني بعضهم بعضا كما نبه على ذلك البقاعي رحمه الله.

٢٠٧٢. وفيها أن العرب قبل الإسلام كانوا على تعظيم الكعبة، والأشهر الحرم والهدي والقلائد.

٢٠٧٣. فيها عناية الله تعالى وكرامته المستمرة لجيران بيته الحرام من الفقراء والمساكين حيث شرع لهم الهدي والقلائد. ولله المثل الأعلى فإن الكريم من الناس يسعد بكرمه من كان جارا لبيته.

٢٠٧٤. فيها أن البيت الحرام هو رمز للوحدة الإسلامية، وتذكير بالله الذي يقصد في التوجه والتعبد، فالبيت بيت الله، والعبيد خلق الله.

٢٠٧٥. تفيد أن العباد لا يقدرون على سن ما تقوم به دنياهم وأخراهم معا.

٢٠٧٦. تفيد تعظيم الهدي والقلائد وعدم التعرض لها بسوء، وأن سوق الهدي وتقليده من تعظيم هذا البيت العتيق.

٢٠٧٧. تفيد الآية أن وجود الكعبة سبب لأمن الناس واستقرارهم واستمرار الحياة في الأرض، ولهذا هدم الكعبة وتخريبها، إذن بخراب العالم، فبقاؤها علامة خير للعالم.

٢٠٧٨. تفيد أن الكعبة سبب الهداية إلى التوحيد واتّباع الحنيفية، فكان الحج إليها من أفضل الأعمال، وبه تكفّر الذنوب، فكانت الكعبة من هذه الحيثية قيامًا للناس في أمور أخراهم.

٢٠٧٩. تفيد أنّ في اجتماع المسلمين من كل أنحاء العالم في هذه البقعة المباركة فيه اجتماع لعقولهم، وتلاقح لأفكارهم، ومن هذه الحيثية فإن الكعبة المشرفة، والبيت الحرام قيام للناس لإيجاد الحلول، ووضع الأمور في نصابها لجميع ما يحتاجون إليه في معاشهم ومعادهم.

٢٠٨٠. فيها بيان أن سبب تحريم بعض الأشهر حتى تقوم مصالح الخلق ولا تنقطع بسبب الحروب.

٢٠٨١. تفيد تعظيم الأشهر الحرم.

٢٠٨٢. تفيد أن شعيرة الهدي بها قوام وسد لحاجة فقراء الحرم وغيرهم.

٢٠٨٣. فيها إشارة إلى عناية الله بعباده، وعلمه بمصالحهم.

٢٠٨٤. تفيد كمال علمه جل وعلا بما في السموات والأرض وأنه لا يغيب عن علمه شيء.

٢٠٨٥. قوله ﴿ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ فيها: كرر- سبحانه- «ما. وفي» في المعطوف والمعطوف عليه للإشارة إلى دقة العلم وشموله، وأنه- سبحانه- لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

٢٠٨٦. تفيد فضل العلم بأسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله؛ لقوله:﴿ ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾.

٢٠٨٧. وفيها تعظيم توحيد الأسماء والصفات.

٢٠٨٨. تفيد أن على العبد طلب العلم الموصل إلى معرفة الله وتعظيمه.

٢٠٨٩. تفيد أن لله آيات كونية وشرعية ينبغي النظر والتفكر فيها بما يوصلنا للعلم بالله الذي يورث الخشية.

٢٠٩٠. فيها مزيد التعظيم لله تعالى وذلك بوضع الظاهر موضع المضمر ﴿ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾

٢٠٩١. تفيد أن العموم بعد الخصوص يفيد التأكيد ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ تَعْمِيمٌ إِثْرَ تَخْصِيصٍ لِلتَّأْكِيدِ.

٢٠٩٢. تفيد عظمة الله تعالى الذي جعل وشرع لعباده ﴿ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ أيْ: لِتَعْلَمُوا أنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ تَفاصِيلَ أمْرِ السَّماواتِ والأرْضِ ويَعْلَمُ مَصالِحَكُمُ الدِّينِيَّةَ والدُّنْيَوِيَّةَ فَإنَّها مِن جُمْلَةِ ما فِيهِما، فَكُلُّ ما شَرَعَهُ لَكم فَهو جَلْبٌ لِمَصالِحِكم، ودَفْعٌ لِما يَضُرُّكم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾، وهذه العقيدة هي التي تدفع للتسليم والاتباع والاطمئنان.

٢٠٩٣. فيها: إحاطة علم الله بكل شيء.

٢٠٩٤. فيها الحث على مراقبة الله في الخلوة والجلوة.

قال تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة: ٩٨].

٢٠٩٥. في تصدير الآية بفعل الأمر ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ﴾ تنبيه شديد إلى أهمية ما سيلقى عليهم.

٢٠٩٦. تفيد وجوب العلم عن يقين، لقوله: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ﴾.

٢٠٩٧. فعل الأمر في أول الآية دل على وجوب العلم بصفات الله وأفعاله على وجه الإجمال.

٢٠٩٨. أمر بالعلم والمعرفة في هذا وذاك ليعبد الله على علم بين الرجاء والخوف.

٢٠٩٩. فيها: إثبات صفة العلم لله، وأهمية العلم بذلك لقوة أثرها في الاستقامة؛ قال السعدي: أي: ليكن هذان العلمان موجودين في قلوبكم على وجه الجزم واليقين، تعلمون أنه شديد العقاب العاجل والآجل على من عصاه، وأنه غفور رحيم لمن تاب إليه وأطاعه. فيثمر لكم هذا العلمُ الخوفَ من عقابه، والرجاءَ لمغفرته وثوابه، وتعملون على ما يقتضيه الخوف والرجاء.

٢١٠٠. فيها جملة من العلوم عن الله ينبغي على العبد معرفتها.

٢١٠١. فيها أن من كان أعلم بالله، وأخوف منه، وأرجى له كان أكثر لزوما للسنة، وأشد مراقبة للعلانية والسريرة.

٢١٠٢. في تقديم ﴿ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ ما يشير إلى أن الراجح أن يكون الخوف غالبا على المؤمن حال الصحة والقوة لأنه يدفع للعمل، والرجاء غالب عند حلول الأجل.

٢١٠٣. وفيها: التهديد والوعيد لكل من خالف أمره سبحانه.

٢١٠٤. فيها أن العقاب واقع لا محالة على مستحقيه كما هو الثواب.

٢١٠٥. فيها: الجمع بين الخوف والرجاء. وفائدته أن يكون المؤمن بين الخوف والرجاء، فلا يقنط من رحمة الله، ولا يجترئ على ارتكاب ما يخالف أمر الله..

٢١٠٦. فيها إشارة إلى: تسلية الداعي إلى الله إن هم أعرضوا عنه.

٢١٠٧. في الآية جمع بين البشارة والنذارة.

٢١٠٨. تكررَ ذكر لفظ الجلالة في الآية الأولى لتربية المهابة في النفس.

٢١٠٩. فيها: إثبات الاسمين (الغفور الرحيم) له سبحانه، وإثبات مادلا عليه من صفات.

٢١١٠. ذكر في الأول شديد العقاب، ولم يذكر الداعي لذلك وهو المعصية وذكر في الثاني غفور رحيم ولم تذكر المثوبة، وفي ذلك إيماء إلى أن المغفرة والرحمة في حد ذاتها مثوبة للعبد لما يترتب عليهما، أي أن القياس عند ذكر شديد العقاب أن يكون المقابل عظيم الثواب..

٢١١١. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه الآية: فجعل الرحمة صفة له مذكورة في أسمائه الحسنى، وأما العذاب والعقاب فجعلهما من مفعولاته غير مذكورين في أسمائه.. (مجموع الفتاوى ١٥/٢٩٥).

٢١١٢. فيها التحذير والتخويف من عقاب الله عز وجل، وبيان شدته.

قال تعالى: ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ [المائدة: ٩٩].

٢١١٣. تفيد إثبات رسالة النبي صلى الله عليه وسلم؛ لقوله:﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ ﴾

٢١١٤. قوله﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ فيها: بيان مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم تجاه الناس وهي البلاغ لا غير، وليس عليه هداية الناس ولا توفيقهم، وقد قام بهذا الأمر خير قيام وبلغ عليه الصلاة والسلام.

٢١١٥. في قوله ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ هذا القصر إضافي لأنّ على الرسول أموراً أخر غير البلاغ مثل التعبّد لله تعالى، والخروج إلى الجهاد، والتكاليف التي كلّفه الله بها مثل قيام الليل، فتعيّن أنّ معنى القصر: ما عليه إلاّالبلاغ، أي دون إلجائكم إلى الإيمان، فالقصر إضافي فلا ينافي أنّ على الرسول أشياء كثيرة.

٢١١٦. تفيد أن أهل العلم الذين هم ورثة الأنبياء إذا بلّغوا برئت ذمتهم.

٢١١٧. الإتيان بحرف الجر ﴿ عَلَى ﴾ دون (اللام) ونحوها مؤذن بأنّ المردود شيء يتوهّم أنّه لازم للرسول من حيث إنّه يدّعي الرسالة عن الله تعالى. (التحرير والتنوير)

٢١١٨. فيها أنه سبحانه لم يذكر واجب المبلغين وهو الاستجابة، وفي ذلك إشارة إلى أن الغالب رد الدعوة، ورفض الاستجابة، وتفاوت الناس فيها حال حدوثها.

٢١١٩. فيها أن قلوب الناس بيد الله تعالى، لا يملكها أحد كي يقذف فيها الهداية.

٢١٢٠. فيها تأديب لكل الدعاة لتحسين الخطاب ومعرفة المسؤولية، فالعلم بالسابق له أثر على تفصيل أساليب الدعوة..

٢١٢١. قوله ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ تعني وجوب إبلاغ الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم.

٢١٢٢. فيها: تحذير المبلغين من مخالفة أمره وطريقته.

٢١٢٣. في الآية إشارة إلى العمل بالعلم وأن الله عليم بأحوال الناس فيما يبدونه ويخفونه.

٢١٢٤. في قوله ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ فيها أن أعمال العباد على قسمين منها ما هو ظاهر، ومنها ما هو خفي.

٢١٢٥. في قوله ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ بعد بيان وظيفة الرسول ما يحذر من النفاق والرياء

٢١٢٦. تكرار صفة العلم في هذه الآيات دليل على أنها من أعظم صفات الباري جل وعلا.

٢١٢٧. فيها التذكير بأنّ الله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء من أعمالهم ظاهرها وباطنها.

٢١٢٨. قال ابن عاشور: وتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي هنا لإفادة تقوّي الحكم، وليس لإفادة التخصيص لنبوّ المقام عن ذلك.

٢١٢٩. وذكر ﴿ مَا تُبْدُونَ ﴾ مقصود منه التعميم والشمول مع ﴿ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ وإلاّ فالغرض هو تعليمهم أنّ الله يعلم ما يسرّونه أمّا ما يبدونه، فلا يُظنّ أنّ الله لا يعلمه.

٢١٣٠. فيها الرد على الجبرية الذين يقولون: إن الإنسان ليس له إرادة؛ لقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ فالإنسان يريد أن يبدي ويريد أن يكتم..

قال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ١٠٠].

٢١٣١. مناسبتها لما قبلها أن الله تعالى لما أباح، وحث على الأكل من طيبات ما أحل الله لنا في الآيات السابقات، أردف ذلك بالأمر باجتناب الخبائث.

٢١٣٢. تصدير الحكم ب﴿ قُل ﴾ يدل على العناية به؛ وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان مأمورا أن يقول جميع القرآن للناس ويبلغه، لكن إذا نص على شيء معين، دل هذا على أخصيته، فهو كالتخصيص بعد التعميم.(أفاده ابن عثيمين).

٢١٣٣. فيها الأمر بالمعروف وبيان محاسنه، والنهي عن المنكر وبيان مفاسده؛ لقوله:﴿ قُل ﴾.

٢١٣٤. فيها التنبيه إلى حاجة البشرية إلى الرسالة، لقلة علومهم، وقصور فهومهم.

٢١٣٥. فيها بيان القاعدة التي فيها أن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، خطاب لامته؛ لقوله:﴿ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ ﴾ ثم قال: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾.

٢١٣٦. قوله:﴿ قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ ﴾ أي من كل شيء، فلا يستوي الإيمان والكفر، ولا الطاعة والمعصية، ولا أهل الجنة وأهل النار، ولا الأعمال الخبيثة والأعمال الطيبة، ولا المال الحرام بالمال الحلال.

٢١٣٧. فيها أن حذف الموصوف وإقامة الصفة مكانه دليل على إرادة العموم في الموصوف، لأن الخبيث والطيب يشمل القول الخبيث، والعمل الخبيث والمال الخبيث، والوصف الخبيث وهكذا، وكذلك الطيب.

٢١٣٨. تفيد أن الاستلذاذ بالخبيث والإعجاب به لا يقف في وجه الطيب على قدم المساواة لأن جوهره خبيث، وأثره خبيث، وعاقبته خبيثة.

٢١٣٩. فيها أن وصف الخبيث والطيب يكون في الأعمال والأعيان، فالمؤمن طيب في ذاته وعمله.

٢١٤٠. في تقديم الخبيث إشارة إلى كثرته، وكثرة من يغتر به، وأن اجتناب الخبيث أولى ففيها ايماء إلى قاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

٢١٤١. تفيد أن الخبيث ضعيف في ذاته، مفتقر إلى ما يجذب النفوس إليه من كثرة أو تزيين.

٢١٤٢. فيها تأكيد على أن الحسن ما حسنه الشرع والقبيح ما ذمه الشرع.

٢١٤٣. قوله ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾ فيها زيادة في التنفير من الشيء الخبيث، وحض على التمسك بما هو طيب.

٢١٤٤. تفيد أن القليل الحلال النافع خير من الكثير الحرام الضار، كما جاء في الحديث: لقوله ﷺ: " ما قل وكفى، خير مما كثر وألهى" مصنف ابن أبي شيبة ٣٥٦٣٤-

٢١٤٥. فيها أن من صوارف الإقامة على الحق الاغترار بالكثرة والإعجاب بها.

٢١٤٦. يفهم من الآية الاعتبار بالكثرة إن تلبست بالحق لقوة تأثيرها، وما عيبت الكثرة في هذا المحل إلا لتلبسها بالخبيث.

٢١٤٧. فيها أن النفس قد تهوى، وتعجب بما فيه حتفها فقد ترى حسنا ما ليس بالحسن فوجب تنبيهها شرعا بما فيه صلاحها وتحذيرها مما فيه هلاكها.

٢١٤٨. تفيد أن الاعجاب بالمظاهر، دون النظر إلى الجواهر والمآلات يؤدي إلى مهالك.

٢١٤٩. فيها إشارة إلى الاهتمام بكيفية العمل، وإتقانه، وألا ينصرف الاهتمام إلى الكم والكثرة على حساب الكيفية والإتقان، فالخبيث وإن كان كثيرا لا يساوي الطيب وإن كان قليلا.

٢١٥٠. فيها إشارة إلى القناعة، وليكن البال منصرفا إلى حصول البركة؛ التي هي أعم من الكثرة الظاهرة.

٢١٥١. تفيد أن الاعجاب ليس مقياسا في إثبات الحق.

٢١٥٢. تفيد أن الخبيث قد يكون جذابا وبراقا ومثيرا لكن مآله إلى البوار.

٢١٥٣. تفيد أن للطيب والخبيث آثارا نفسية وأخلاقية على الفرد والأمة.

٢١٥٤. فيها تسلية لمن ابتلي وقدر عليه في معاشه، وهو يعاين من يكثر ماله بالحرام.

٢١٥٥. فيها التنبيه على الحكم والعلل في التحريم والتحليل؛ فإن الخبيث حرام ولو كثر، والطيب حلال وإن قل، ولا يستويان.

٢١٥٦. قوله ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ فيها: وجوب تقوى الله في كل شيء فهي وصيته سبحانه للأولين والآخرين.

٢١٥٧. قوله ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ فيها أن تمييز الأمور على حقائقها، والغوص في أعماقها، ومعرفة معانيها وأسرارها، والاهتمام بالكيف لا الكم، من صفات العقلاء والأذكياء، وأن من يغتر بالكثرة هم الدهماء وقليلو التفكير.

٢١٥٨. فيها ربط العقل والذكاء بالتقوى، لقوله﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ حتى يضبط مسيرة العقل ويوجه بوصلته بالاتجاه الصحيح.

٢١٥٩. التذييل بالأمر بالتقوى، فيه إشارة إلى: أن بالتقوى يبصر العبد الخبيث من الطيب. وكأنه يقول: لا يعجبكم الخبيث ولو كثر، وعليكم بالتقوى لتدركوا هذا، ولتميزوا بينهما.

٢١٦٠. فيها أن أصحاب العقول النيرة هم الذين يتعظون بآيات القرآن الكريم ويتخيرون الطيب من القول والعمل.

٢١٦١. قوله : ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ فيها خاطب الناس بهذه الصفة ليومئ إلى أنّ خلق العقول فيهم يمكّنهم من التمييز بين الخبيث والطيّب لاتّباع الطيّب ونبذ الخبيث. قال السعدي: فأمر أُولي الألباب، أي: أهل العقول الوافية، والآراء الكاملة، فإن الله تعالى يوجه إليهم الخطاب. وهم الذين يؤبه لهم، ويرجى أن يكون فيهم خير.

٢١٦٢. فيها أن التقوى سبب للفلاح والنجاة والنجاح، وأهلها هم أصحاب العقول الراشدة الحية.

٢١٦٣. فيها أن تقوى الله عز وجل علامة على كمال العقل ورجاحة الرأي.

٢١٦٤. فيها الحث على أعمال الفلاح وأحوال المفلحين؛ ومن ذلك اجتناب الخبيث والحرص على الطيب.

٢١٦٥. تفيد أن الفلاح متوقف على التقوى التي هي موافقة الله في أمره ونهيه، فمن اتقاه أفلح كل الفلاح، ومن ترك تقواه حصل له الخسران وفاتته الأرباح.

٢١٦٦. تفيد أن التقوى سبب لاجتناب الخبيث لأنها فرقان يفرق به المؤمن بين الخبيث والطيب ويعرف به الخير من الشر، ولذلك علقت الآية الفلاح عليها.

٢١٦٧. فيها أن العقل من أعظم النعم الإلهية، لأن العاقل لا يمكن أن يساوي بين الخبيث والطيب لأن العقل نور، فكيف إذا انضم إليه نور الشرع "نور على نور.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾ [المائدة: ١٠١].

٢١٦٨. توجيه النداء لهم بصفة الإيمان، لتحريك حرارة العقيدة في نفوسهم، حتى يستجيبوا بسرعة ورغبة إلى ما كلفوا به.(الوسيط).

٢١٦٩. تفيد أن مما ينافي كمال الإيمان أن يسأل المؤمن عن شيء لم يكلف به في زمن نزول الوحي؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾.

٢١٧٠. في الآية تأديب من الله تعالى لعباده المؤمنين، أن لا يكثروا السؤال عما لم ينص الشارع عليه بعد. وفي الحديث "فإنما أهلك من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم" متفق عليه من حديث أبي هريرة.

٢١٧١. فيها النهي للمؤمنين عن السؤال عن الأشياء التي إذا بُيّنت لهم ساءتهم وأحزنتهم وذلك كسؤال بعض المسلمين لرسول الله ﷺ عن آبائهم، وعن حالهم في الجنة أو النار، فهذا ربما أنه لو بين للسائل لم يكن له فيه خير، وكسؤالهم للأمور غير الواقعة. وكالسؤال

الذي يترتب عليه تشديدات في الشرع ربما أحرجت الأمة، وكالسؤال عما لا يعني، فهذه الأسئلة، وما أشبهها هي المنهي عنها، وأما السؤال الذي لا يترتب عليه شيء من ذلك فهذا مأمور به، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٧].

٢١٧٢. فيها تحذير المسلم من أن يكون سببا فيما فيه المشقة والعنت على الأمة وقد جاء في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن أعظم المسلمين على المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرّم لأجل مسألته". متفق عليه.

٢١٧٣. تفيد التوجيه إلى السؤال المفيد؛ قال بعض العلماء: السؤال على قسمين: أحدهما: السؤال عن شيء لم يجر ذكره في الكتاب والسنة بوجه من الوجوه. فهذا السؤال منهى عنه بقوله: ﴿ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ﴾ .والنوع الثاني من السؤال: السؤال عن شيء نزل به القرآن لكن السامع لم يفهمه كما ينبغي فهاهنا السؤال واجب، وهو المراد بقوله: ﴿ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ ﴾ قال ابن عبد البر : السؤال اليوم لا يخاف منه أن ينزل تحريم ولا تحليل من أجله ، فمن سأل مستفهما راغبا في العلم ونفي الجهل عن نفسه، باحثا عن معنى يجب الوقوف في الديانة عليه ، فلا بأس به، فشفاء العي السؤال؛ ومن سأل متعنتا غير متفقه ولا متعلم فهو الذي لا يحل قليل سؤاله ولا كثيره؛ قال ابن العربي: الذي ينبغي للعالم أن يشتغل به هو بسط الأدلة، وإيضاح سبل النظر، وتحصيل مقدمات الاجتهاد، وإعداد الآلة المعينة على الاستمداد؛ فإذا عرضت نازلة أتيت من بابها، ونشدت في مظانها ، والله يفتح في صوابها .

٢١٧٤. تفيد أن من طبائع البشر أنه قد يسوؤهم بعض ما يشرعه الله تعالى لهم في كتابه وعلى لسان رسله؛ لقوله تعالى: ﴿ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ﴾؛ ولكن كراهة المؤمن لذلك إنما هو

من حيث الطبيعة البشرية لا من حيث كونه شرعا لله عز وجل؛ ولهذا قال تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

٢١٧٥. تفيد أن كل الأسئلة الموجهة من الصحابة إلى النبي ﷺ فيما يجب بيانه؛ فلا بد وأن يجاب عنها أثناء نزول الوحي إما بكلام الله تعالى أو بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ﴾.

٢١٧٦. تشير الآية إلى أن الإحفاء والإلحاح في السؤال ينافي لازم حق رسول الله صلى الله عليه وسلم من التوقير، وكذا حق ورثته من العلماء؛ فلا يلحف ويشدد عليهم في السؤال توقيرا واحتراما لهم لأن السؤال من بعده صلى الله عليه وسلم يوجه إلى العلماء، والله أعلم.

٢١٧٧. تفيد أن ما سكت الله عنه فهو عفو؛ لقوله تعالى: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ وقال ﷺ: ((الحلال ما أحلّ الله في القرآن، والحرام ما حرم الله في القرآن، وما سكت عنه فقد عفا عنه)) .أخرجه الطبراني في "الكبير" (٦ / ٣١٩ - ٣٢٠ رقم ٦١٥٩).

٢١٧٨. تفيد ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن من أدب في طلبه للعلم قصد معرفة الحق، ومعرفة الأحكام الشرعية، ومراعاته للأولويات والتأدب مع المعلم.

٢١٧٩. تفيد: علم الله بما يكون لو كان كيف يكون، لقوله ﴿ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ﴾.

٢١٨٠. فيها: رد على القدرية؛ لقوله: ﴿ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ وكأنه يقول: احذروا أن تسألوا عن أشياء لا تعنيكم في دينكم، فإنكم إن فعلتم ينزل الجواب والحكم بما قد يشق عليكم.

٢١٨١. فيها عبر «بإن» المفيدة للشك وعدم القطع بوقوع الشرط والجزاء للإشارة إلى أن هذا الشك كاف في تركهم للسؤال عن هذه الأشياء، فإن المؤمن الحق يبتعد عن كل ما لا فائدة من ورائه من أسئلة أو غيرها.

٢١٨٢. تفيد علو الله تعالى؛ لقوله تعالى: ﴿ حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ ﴾.

٢١٨٣. تفيد أن القرآن الكريم منزّل من عند الله عز وجل؛ لقوله ﴿ حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ ﴾.

٢١٨٤. تفيد أن النبي صلى الله عليه وسلم مبلغ عن الله تعالى، ولم يخف شيئا مما انزله الله عليه من الوحي؛ لقوله تعالى: ﴿ تُبْدَ لَكُمْ ﴾.

٢١٨٥. تفيد بيان قاعدة (أن الأصل براءة الذمة) لقوله تعالى: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾.

٢١٨٦. تفيد إثبات صفات وأسماء الباري عز وجل العفو والغفور والحليم.

قال تعالى: ﴿ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ١٠٢].

٢١٨٧. فيها بيان الحكمة من النهي عن السؤال وهو الإشارة إلى ما كان من الأمم السابقة أنهم كانوا يكثرون السؤال على أنبيائهم فتنزل التشريعات فثقلت عليهم فكفروا بها.

٢١٨٨. فيها: التحذير من سلوك طريق الأمم الماضية وهو سؤالهم الآيات ثم كفرهم بها.

٢١٨٩. تفيد أهمية أخذ العبر مما حدث لسالف الأمم، قال ابن عاشور: والمراد بالقوم بعض الأمم التي كانت قبل الإسلام، سألوا مثل هذه المسائل، فلمّا أعطوا ما سألوا لم يؤمنوا، مثل ثمود، سألوا صالحاً آية، فلمّا أخرج لهم ناقة من الصخر عقروها، وكما وقع لليهود في خبر إسلام عبد الله بن سَلام.

٢١٩٠. فيها: نكر- سبحانه- لفظ ﴿ قَوۡمٞ﴾ لأنه ليس الغرض تعيين ذواتهم، بل الغرض النهى عن التشبه بهم مهما كانت أجناسهم أو أزمانهم.

٢١٩١. جاء العطف في الآية ب ﴿ ثُمَّ ﴾ المفيدة للتراخي، للدلالة على التباعد المعنوي بين اللجاجة في السؤال، وبين الجحود والكفر بعد ذلك فكأنهم كانوا يريدون حكما يناسب أهواءهم فلما جاءهم الحكم الذي لا يهوونه كفروا به. (الوسيط في التفسير).

٢١٩٢. تفيد أن السؤال ينتفع به إذا كان على سبيل الاسترشاد لا على وجه التعنت والعناد.

٢١٩٣. فيها عناية الله تعالى بهذه الأمة بإرشادها إلى ما فيه صلاحها، وتحذيرها من أخطاء الأمم قبلها.

٢١٩٤. فيها إشارة إلى أن يتعظ الإنسان بغيره فلا يسلك سبل الهلاك التي سار فيها من سبق فأوصلتهم إلى الشقاء والهلاك.

٢١٩٥. قوله: ﴿ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴾ يؤذن بأنهم قبل السؤال عن تلك الأشياء، أو قبل الخوض في تلك الأسئلة لم يكونوا كافرين، ولكنهم أصبحوا بسبب الخوض فيها، والتفتيش عنها كافرين لأنهم لم يمتثلوا ما أجيبوا به، وإنما نبذوه وراء ظهورهم. (الوسيط).

٢١٩٦. فيها خطورة البحث عن الشبهات، والتنطع، والخوض والسؤال عما لا فائدة فيه، وعواقبه الوخيمة التي قد تصل إلى الكفر والعياذ بالله تعالى.

٢١٩٧. *الباء في قوله ﴿ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴾ يجوز أن تكون للسببية، فتتعلّق بِ ﴿ أَصۡبَحُواْ ﴾، أي كانت تلك المسائل سبباً في كفرهم، أي باعتبار ما حصل من جوابها، ويحتمل أن تكون «للتعدية» فتتعلّق ب ﴿ كَٰفِرِينَ ﴾، أي كفروا بها، أي بجوابها بأن لم يصدّقوا رسلهم فيما أجابوا به، وعلى هذا الوجه فتقديم المجرور على عامله مفيد للتخصيص، أي ما كفروا إلاّ بسببها، أي كانوا في منعة من الكفر لولا تلك المسائل، فقد كانوا كالباحث على حتفه بظلفه، فهو تخصيص ادّعائي، أو هو تقديم لمجرّد الاهتمام للتنبيه على التحذير منها. (التحرير والتنوير).

٢١٩٨. فعل ﴿أَصۡبَحُواْ﴾ مستعمل بمعنى صاروا، وهو في هذا الاستعمال مشعر بمصير عاجل لا تريّث فيه لأنّ الصباح أول أوقات الانتشار للأعمال. (ابن عاشور).

٢١٩٩. فيها أن الإنسان ربما يكون سببا في هلاك نفسه.

٢٢٠٠. فيها بيان خطورة اللسان.

٢٢٠١. فيها كفر من أنكر شيئا من القرآن.

قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣].

٢٢٠٢. فيها بطلان ما يعتقده المشركون، أو ما يشرعونه من شرائع جائرة لأنهم خالفوا مراد الله تعالى وتعدوا عليه.

٢٢٠٣. تفيد إطلاق الجعل على التشريع، لقوله: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ﴾ (ابن عثيمين).

٢٢٠٤. دخول " من " الاستغراقية على النكرات يفيد الشمول والاستغراق في إبطال جميع تلك الجهالات، وكذا دخول " لا " بعد واو العطف يفيد تأكيد نفي أن يكون الله قد شرع أمرا واحدا منها. وكل هذا مما يزيد المعنى قوة في رد وإبطال تلك الأمور المحدثة. وفي هذا فائدة وهي أن المتكلم في رد بدعة أو أمر لم يشرعه الله حسن أن يأتي بالألفاظ التي تقرر المعنى وتقويه في ذهن السامع.

٢٢٠٥. فيها أنه لا يجوز للإنسان أن يحرم ما أحلّ الله ولا يحلل ما حرّم الله، ويرجع في التحريم إلى كتاب الله عزّ وجل، وإلى سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

٢٢٠٦. تفيد ضرر الجاهلية والجهل في الدين والدنيا فقد حرموا على أنفسهم طيبات أحلت لهم؛ قال تعالى ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٠].

٢٢٠٧. تفيد أن ما فعله المشركون من البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي هو افتراء على الله عز وجل ولم يشرعه الله تعالى لهم.

٢٢٠٨. تفيد تحريم وخطر الافتراء على الله الكذب؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴾ [النحل: ١١٦].

٢٢٠٩. تفيد ما كان عليه المشركون من جاهلية جهلاء وضلالة عمياء في افترائهم هذه الأشياء.

٢٢١٠. تفيد أن كل ما ابتدع بذريعة التقرب إلى الله تعالى، مما لم يشرعه هو سبحانه يعتبر كذبا عليه جل جلاله.

٢٢١١. تفيد استمرار الذين كفروا بتكذيبهم، وافترائهم على الله لأنه عبر عنه بالفعل المضارع ﴿ يَفۡتَرُونَ ﴾

٢٢١٢. فيها ذم للتقليد بدون حجة أو برهان؛ لأن أكثر الذين كانوا يفعلون هذه الأمور فعلوها لمجرد التقليد لمن سن هذه الأمور المحدثة، ولهذا وصفهم الله بقوله ﴿ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾.

٢٢١٣. فيها حث على النظر والتدبر وطلب الحجج والبراهين.

٢٢١٤. عبر- سبحانه- بقوله ﴿ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ إنصافا للقلة العاقلة التي خالفت هذه الأوهام الباطلة، واستجابت للحق عند ظهوره.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾ [المائدة: ١٠٤].

٢٢١٥. تفيد دعوة الكفار والمعرضين، وحثهم على الإيمان والاتباع للكتاب والسنة؛ لقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ﴾

٢٢١٦. لم يذكر– سبحانه– القائل في قوله:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ﴾ للإشارة إلى أن الذين يدعونهم إلى طريق الحق متعددون، فالنبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم، والمؤمنون يدعونهم. والأدلة الدالة على صدق هذا الدين تدعوهم. ومع كل ذلك فهم في ضلالهم سادرون، وتحت سلطان سادتهم خانعون.

٢٢١٧. الفعل ﴿ تَعَالَوۡاْ ﴾ يفيد علو الحق، وفيه أن الحق يجب أن يؤتى إليه.

٢٢١٨. الأمر﴿ تَعَالَوۡاْ ﴾ يفهم منه قوة الطرح ووضوح الهدف، لا تمييع ولا تضييع للقضية.

٢٢١٩. قوله ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ ﴾ في ذلك إشارة إلى أهمية العلاج الجذري واقتلاع الباطل بتأصيل وتثبيت مصدر التلقي. والذي يؤكد ذلك ما في (ما) من دلالة العموم.

٢٢٢٠. تفيد فضل القرآن وأنه منزل من عند الله عز وجل؛ لقوله:﴿ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾.

٢٢٢١. تفيد وجوب التحاكم إلى الكتاب والسنة؛ لقوله: ﴿ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ ﴾.

٢٢٢٢. تفيد منزلة السنة في التشريع للجمع بالواو.

٢٢٢٣. التعبير بقوله تعالى ﴿ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ ﴾ بحذف المضاف يشير إلى أهمية اتباع السنة كلها قولا، وفعلا، وتقريرا، ووصفا، لأن كل ذلك بيان لما أنزل الله جل وعلا.

٢٢٢٤. في الآية دلالة على أن الواجب على المسلم الاستجابة لله وللرسول صلى الله عليه وسلم.

٢٢٢٥. فيها أن الواجب تقديم أمر الله عز وجل وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم على أمر كل أحد كائنا من كان ولو كان أقرب قريب.

٢٢٢٦. تفيد أن التحاكم الى الكتاب والسنة هو فيصل التفرقة بين أهل الإيمان وأهل الزندقة من الكفار والمنافقين وأشياعهم.

٢٢٢٧. فيها حُســنُ الجدال في القرآنِ الكريم؛ حيث أقام الحُجَّة على هؤلاء الذين: ﴿ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾ بأنَّ آباءَهم لَا يَعْلَمُونَ شَــيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ، فهم ضــالُّون في عِلمهم، وفي عَمَلِهم.

٢٢٢٨. فيها إشـارة إلى المسـافة بين الهوى والحق أصـالة، ثم هذه المسـافة قد تزيد وقد تنقص بحسب كمال الإيمان، حتى يصير الكُمّل هواهم تبعا لما جاء به الشرع.

٢٢٢٩. قوله ﴿ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ ﴾ فيها إعجاز غيبي، لأن هذه العبارة هي غالب رد المدعوين إلى يومنا هذا الاعتداد والاستدلال بما كان عليه الآباء.

٢٢٣٠. ﴿ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ ﴾ تومئ إلى ضحالة وخفة عقولهم، إذ لم يكلفوا أنفسهم بإضافة شيء إلى ما ورثوه من الآباء، وخاتمة الآية السابقة تؤكد ذلك.

٢٢٣١. فيها أن من أعظم العوائق عن اتباع الكتاب والسنة هو التقليد الأعمى، واتباع الآباء والأجداد ولو كانوا على ضلال وجهل، وهو سبب ضلال أكثر الناس.

٢٢٣٢. فيها: التحذير الشديد من التقليد الذي فيه مخالفة لأمر الله عز وجل.

٢٢٣٣. فيها أنَّ مَن تعصَّــب لقولِ إمامٍ والْتزمَه، وأصـرَّ عليه مع عِلْمِه بمخالفةِ قوله للكتابِ والسُّــنَّة، ففيه شَـبَهٌ من هؤلاء الكفَّار؛ لأنَّه إذا قيل له: تعالَ إلى ما أنزَلَ اللهُ وإلى الرسـولِ قال: حسبي إمامي؛ فيكون فيه شَبَهٌ من هؤلاء الكفَّارِ.

٢٢٣٤. فيهـا إشـــارة إلى أن مـا وافق الكتـاب والســـنة من العادات والتقاليـد والأعراف الاجتماعية فهي محمودة حسنة لا نكير على فاعليها.

٢٢٣٥. تفيد أن الحق يعرف بالحجة والاستدلال لا بالآباء والرجال.

٢٢٣٦. في دحض قولهم بقوله تعالى ﴿ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ مناسبة قوية لقولهم ﴿ قَالُواْ حَسْبُنَا ﴾ لأنهم لما رفضوا كل دعوة نافعة بقولهم (حسبنا)، أي يكفينا ذلك ولا نريد سواه،

نفى عنهم كل طريق للنفع بنفي العلم عن آبائهم ذاتيا كان بالتعقل والتفكر وغيرهما أو خارجيا كان بالتلقي أو غير ذلك.

٢٢٣٧. قوله ﴿ وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾ فيها إشارة إلى نفي الهداية عنهم وإلى ربط العلم بالاهتداء.

٢٢٣٨. وفيها إشارة إلى أهمية طلب العلم.

٢٢٣٩. قوله ﴿ شَيۡـٔٗا ﴾ للتقليل وذلك أبلغ في نفي علمهم فنفى أصل العلم عنهم.

٢٢٤٠. قوله ﴿ وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾ فيها أنهم جمعوا بين شيئين قبيحين الجهل والضلالة وهذا من أسوأ ما يكون، فكيف يكون إتباع لمن كان بهذه الصفة؟

٢٢٤١. فيها إشارة إلى أنه ينبغي للمسلم أن يأخذ أحكام دينه من عالم مهتد بنور الوحي تبرأ به الذمة يوم القيامة.

٢٢٤٢. ليس المراد أن آباءهم لو كانوا يعلمون شيئا، أو يهتدون إلى شيء لجاز لهم ترك ما أنزل الله، وإنما المراد هنا تسجيل الواقع المظلم الذي كانوا عليه وكان عليه آباؤهم من قبلهم. فآباؤهم كانوا كذلك يتبعون ما شرعه لهم آباؤهم بدون تأمل أو تفكير.

٢٢٤٣. فيها زيادة في توبيخهم وتوبيخ آبائهم لأنهم جميعا مشتركون في الانغماس في الضلال والجهل.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [المائدة: ١٠٥].

٢٢٤٤. تفيد الحث على الاهتمام بإصلاح النفس خاصة وقت الفتن ﴿ عَلَيۡكُمۡ ﴾: اسم فعل، وفاعله مستتر فيه وجوبًا، و ﴿ أَنفُسَكُمۡۖ ﴾ مفعول به على حذف مضاف أي: الزموا شأن أنفسكم. قاله الأزهري.

٢٢٤٥. هذه الآية واردة في سياق الآية التي سبقتها، وهي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ ﴾ فها هنا دعوة موجهة إلى المشركين

من الرسـول والمؤمنين، ليتركوا ما هم عليه من ضـلال وخبال، لكنهم يصرون على تقليدهم الأعمى، ويأبون الاستجابة إلى الدعوة الإسلامية. وما دام الأمر هكذا، وما دام الرسول والمؤمنون قد بذلوا كل ما في وسعهم للقيام بتوجيه الدعوة وتبليغ الرسالة، وحاولوا بكل الوسائل إقناع المشركين دون جدوى، فقد برئت ذمتهم ولم يبق أمامهم إلا العمل على نجاة أنفسهم وخلاصها، ولن يحاسبوا على ضلال من أصر على الضلال، بعد دعوتهم لهم باستمرار، ورفضه لدعوتهم بكامل الرفض ومزيد من الإنكار.

٢٢٤٦. ليس معنى هذه الآية الإذن للمسلم بالتخلي عن واجباته نحو المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية، وإنما هي إخبار عن حال الإنسان إذا فسد المجتمع من حوله وذلك بأن يثبت على فعل ما أمره الله به وترك ما نهى عنه مع القيام بواجبه في الإصلاح قدر الطاقة.

٢٢٤٧. من فوائد هذه الآية ما ذكره شيخ الإسلام منها: أن لا يخاف المؤمن من الكفار والمنافقين فإنهم لن يضروه إذا كان مهتديا.

٢٢٤٨. منها أن لا يحزن عليهم ولا يجزع عليهم، فإن معاصيهم لا تضره إذا اهتدى، والحزن على ما لا يضر عبث، وهذان المعنيان مذكوران في قوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧].

٢٢٤٩. منها أن لا يركن إليهم، ولا يمد عينه إلى ما أوتوه من السلطان والمال والشهوات، كقوله: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ الحجر: ٨٨، فنهاه عن الحزن عليهم والرغبة فيما عندهم في آية ونهاه عن الحزن عليهم والرغبة منهم في آية. فإن الإنسان قد يتألم عليهم ومنهم إما راغبا وإما راهبا.

٢٢٥٠. منها أن لا يعتدي على أهل المعاصي بزيادة على المشروع في بغضهم أو ذمهم، أو نهيهم أو هجرهم، أو عقوبتهم؛ بل يقال لمن اعتدى عليهم: عليك نفسك لا يضرك من ضل إذا اهتديت، كما قال تعالى: كما قال: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ﴾ [المائدة:٨]، وقال: ﴿

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [البقرة:١٩٠]، وقال: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:١٩٣]، فإن كثيرًا من الآمرين الناهين قد يعتدي حدود الله إما بجهل وإما بظلم، وهذا باب يجب التثبت فيه، وسواء في ذلك الإنكار على الكفار والمنافقين والفاسقين والعاصين). "الفتاوى" (١٤/٤٨١-٤٨٢).

٢٢٥١. منها أن يقوم بالأمر والنهي على الوجه المشروع، من العلم والرفق والصبر، وحسن القصد، وسلوك السبيل القصد، فإن ذلك داخل في قوله: ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ وفي قوله: ﴿إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾.

٢٢٥٢. فيها أنَّ المطِيعَ لا يُؤاخَذُ بِذُنُوبِ العَاصِي.

٢٢٥٣. قيل إن هذه الآيَةَ مَخْصُوصَةٌ بالكُفَّار المصرّين على الكُفْرِ، ولا يَتْرُكُون الكُفْر بسببِ الأمْر بالمعْرُوفِ، فَهَهُنَا يَجِبُ على الإنْسَانِ مُخَالَفَةُ الأمرِ بالمعْرُوفِ.

٢٢٥٤. وقيل مَخْصُوصَةٌ بِمَا إذا خَافَ الإنْسَانُ عند الأمْرِ بالمعْرُوفِ، والنَّهْي عَنِ المنْكَرِ على نَفْسِهِ وعِرضه وماله.

٢٢٥٥. فيها أنه ينبغي للمسلم أن يحفظ نفسه من ملابسة الذنوب والإصرار على المعاصي.

٢٢٥٦. وفيها وجوب السعي إلى إصلاح النفس، والعمل على خلاصها من عذاب الله عز وجل.

٢٢٥٧. فيها التخفيف والرفق بأهل الإيمان، وتسليتهم عما يعتريهم عند رؤيتهم بقاء الكفار على كفرهم، والإصرار على معاصيهم، مع اجتهادهم في إيصال إليهم. فقيل لهم في هذه الآية: عليكم أنفسكم واجتهدوا في صلاحهم لا يضركم ضلال الضالين ولا جهل الجاهلين إذا كنتم مهتدين.

٢٢٥٨. لا يفهم من هذه الآية ترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لما أخرجه الترمذي عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنه قال: أيها الناس إنكم

تقرؤون هـذه الآيـة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ ولا تضعونها موضعها ولا تدرون ما هي وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الناس إذا رأوا ظالما فلم يأخذوا على يديه أو شك أن يعمهم الله بعقاب منه» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

وعن أبي أمية قال: "سألت أبا ثعلبة رضي الله عنه فقلت يا أبا ثعلبة كيف تقول في هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ قال: أما والله لقد سألت عنها خبيرا. سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيتم شحا مطاعا، وهوى متبعا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك ودع عنك العوام؛ فإن من ورائكم أياما الصابر فيهن مثل القابض على الجمر؛ للعامل فيهن أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم. قلنا: منا أم منهم؟ قال: بل منكم" رواه أبو داود والترمذي.وعليه يكون المعنى لا يضركم من ضل إذا اهتديتم أمرتم ونهيتم فلم يسمع لأن من الاهتداء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإذا أدى الذي عليه فلا ضرر عليه من ضلال من لا يأتمر أو ينتهي.

٢٢٥٩. فيها حثٌّ على أن يغيّر الإنسان على نفسه قبل أن ينكره على غيره، وهو خطاب للعامة.

٢٢٦٠. فيها أنَّ الغرباء المتمسكين بالسنة المشروع في تعاملهم مع المخالفين اعتزالهم كما في حديث حذيفة– رضي الله عنه– المتفق عليه في قوله ﷺ:(فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ).

٢٢٦١. فيها أنه بعد وصول الحق إلى المخالفين وعدم قبولهم له، فإن الله عز وجل يهدي من يشاء ويُضِلُّ من يشاء فلا يجزع من هداه الله للحق الذي كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه– رضي الله عنهم–.

٢٢٦٢. فيها الحث على الاستقامة في الغربة وأنه ينبغي للمؤمن أن يستقيم ويحرص على الاستقامة عند غربة الناس ولا يغتر بكثرة الهالكين.

٢٢٦٣. تفيد أنه إذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الواجبات أو المستحبات، فالواجبات والمستحبات لا بد أن تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة؛ فحيث كانت مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته، لم يكن مما أمر الله به، وإن كان قد تُرك واجب وفُعل محرم.

٢٢٦٤. فيها بيان أن المسلمين وحدة منفصلة عمن سواهم، متضامنون متكافلون فيما بينهم. فقيل لهم عليكم أنفسكم فزكوها وطهروها، وعليكم جماعتكم فالتزموها وراعوها، ولا عليكم أن يضل غيركم إذا أنتم اهتديتم.

٢٢٦٥. تفيد أن هذه الأمة المسلمة هي حزب الله. ومن عداها من الأمم فهم حزب الشيطان، ومن ثم لا يقوم بينها وبين الأمم الأخرى ولاء ولا تضامن، لأنه لا اشتراك في عقيدة ومن ثم لا اشتراك في هدف أو وسيلة ولا اشتراك في تبعة أو جزاء.

٢٢٦٦. تفيد أنه على الأمة المسلمة أن تتضامن فيما بينها، وأن تتناصح وتتواصى، وأن تهتدي بهدي الله الذي جعل منها أمة مستقلة منفصلة عن الأمم غيرها.. ثم لا يضيرها بعد ذلك شيئاً أن يضل الناس حولها ما دامت هي قائمة على الهدى.

٢٢٦٧. قوله ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ فيها وعد للمهتدين، ووعيد للضالين، وأنه لا يُؤَاخِذُ أحدا بذنب غيره.

٢٢٦٨. فيها إثبات البعث والتذكير به.

٢٢٦٩. فيها شمول علم الله عز وجل الذي لا يغيب عنه شيء.

٢٢٧٠. فيها حفظه لأعمال عباده، وإحصاؤه لما يعملون.

٢٢٧١. فيها رد على الجبرية الذين يقولون إن العبد لا كسب له.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ

بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ﴾ [المائدة: ١٠٦].

٢٢٧٢. مناسبة الآية لما قبلها: أنها استئناف مسوق لبيان الأحكام المتعلقة بأمور دنياهم، إثر بيان الأحوال المتعلقة بأمور دينهم، وفي هذا بيان أن الإسلام جاء بصلاح الدين والدنيا، ففيها رد على العلمانيين الذين يريدون تنحية الشرع عن الحكم في أمور الدنيا.

٢٢٧٣. قوله تعالى ﴿ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ ﴾ تفيد أن للموت حضورا، والمراد به أن ينزل بالإنسان ملك الموت وأعوانه لقبض روحه كما قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [الأنعام: ٦١].

٢٢٧٤. تفيد أن الموت لابد منه لكل أحد؛ لقوله: ﴿ أَحَدَكُمُ ﴾

٢٢٧٥. قوله تعالى ﴿ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ﴾ تفيد أن الموت حق، وأن المؤمن يتعامل معه بثبات ولذا يوصي ويشهد ويرتب أموره من بعده بما ينبغي.

٢٢٧٦. قوله: ﴿ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ﴾ بدل من الظرف. وفي هذا الإبدال تنبيه على أن الوصية لا ينبغي أن يتهاون فيها. ولأجل تأكيد ذلك - والله أعلم - جاء هذا التفصيل الدقيق لحال الشهادة، والشهود، وبيان الحكم في حال تبين كذب الشهود.

٢٢٧٧. قوله ﴿ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾ فيها إشارة إلى أن الخبر إن كان من غير العدل فلا يقبل.قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ولم يصف الرجلين نفسهما بأنهما عدل بل وصفهما بأنهما ذوا عدل–أي صاحبا عدل. والعدل في المقال هو الصدق والبيان الذي هو ضد الكذب والكتمان، كما بينه تعالى في قوله: ﴿ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، والعدل في كل زمان ومكان وفي كل طائفة بحسبها. فيكون الشهيد في كل قوم من كان ذا عدل فيهم، وإن كان لو كان في غيرهم لكان عدله على وجه آخر.. (المستدرك نقلا عن الإنصاف ٥/٢٠٢-٢٠٣).

٢٢٧٨. فيها التأكيد على حفظ الحقوق المالية وأدائها كاملة إلى أصحابها.

٢٢٧٩. قوله تعالى ﴿ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ فيها التأكيد على التمييز بين المسلمين وغيرهم.

٢٢٨٠. فيها تقوية لشخصية المسلم، وبناء للتميز الحضاري للأمة.

٢٢٨١. بالنظر إلى سبب نزولها تفيد أن المسلم معرض للعيش في ظروف مختلفة فيتعايش معها، وتنزل الأحكام الشرعية وفق الواقع الممكن ومن هنا جاء في أحد تأويلات ﴿ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ أنها غيرية الدين فيستشهد غير المسلم عند تعذر الشاهد المسلم لاسيما في السفر .

٢٢٨٢. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقد استدل من جوز شهادة أهل الذمة بعضهم على بعض بهذه الآية. ثم قال من أخذ بظاهر هذه الآية من أهل الكوفة: دلت هذه الآية على قبول شهادة أهل الذمة على المسلمين، فيكون في ذلك تنبيه ودلالة على قبول شهادة بعضهم على بعض بطريق الأولى، ثم نسخ الظاهر لا يوجب نسخ الفحوى والتنبيه، وهذه الآية الدالة على نصوص الإمام أحمد وغيره من أئمة الحديث الموافقين للسلف في العمل بهذه الآية وما يوافقها من الحديث أوجه وأقوى، فإن مذهبه قبول شهادة أهل الذمة على المسلمين في الوصية في السفر، لأنه موضع ضرورة، فإذا جازت شهادتهم لغيرهم فعلى بعضهم أجوز وأجوز. (مجموع الفتاوى ٢٩٩/١٥).. وفي هذا رحمة وتيسير خصوصا على الأقليات المسلمة التي تعيش في بلاد الكفار ويحتاجون إلى إشهادهم لكي لا تضيع حقوقهم. والله أعلم.

٢٢٨٣. قوله ﴿ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ تفيد جواز الضرب في الأرض للتجارة وغيرها، وهذا من فضل الله عز وجل ونعمه التي امتن بها على عباده.

٢٢٨٤. قوله تعالى ﴿ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ فيها أن من أعظم مصائب الدنيا هي مصيبة الموت.

٢٢٨٥. تفيد أهمية الاستعداد للموت حتى لا يفجأ الإنسان على حين غرة.

٢٢٨٦. قوله ﴿ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ قال القرطبي :"هذه الآية أصل في حبس من وجب عليه حق. (القرطبي"

٢٢٨٧. وفيها وجوب التثبت قبل صدور الأحكام.

٢٢٨٨. قوله ﴿ مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾فيها أهمية وقت الصلاة وقداستها، وحضور الملائكة لها، وصفاء النفس في هذا الوقت.

٢٢٨٩. تفيد تعظيم ومنزلة وفضل صلاة العصر، لأنها المقصودة بقوله:﴿ مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾

٢٢٩٠. تفيد تعظيم القسم بالله وخصوصا إذا كان بعد صلاة العصر، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال : ((ثلاثةٌ لا يكلمُهم اللهُ ولا ينظرُ إليهم يومَ القيامةِ ولا يزكيهم ولهم عذابٌ أليمٌ: رجلٌ على فضلِ ماءٍ يمنعُه ابنَ السبيلِ فيقولُ اللهُ له يومَ القيامةِ: اليومَ أمنعُك فضلي كما منعتَ فضلَ ما لم تعملْ يداك، ورجلٌ بايع إمامًا لا يبايعُه إلا لدنيا إن أعطاه رضيَ وإن لم يعطِه سخِط، ورجلٌ حلف على سلعةٍ بعد العصرِ كاذبًا لقد أُعطىَ بها أكثرَ مما أعطي. رواه البخاري ومسلم.

٢٢٩١. فيها أن للصلاة أثرا عظيما على تزكية النفوس وسداد الألسن.

٢٢٩٢. تفيد أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ومن ذلك الكذب في الشهادة أو كتمها، وإنما كان الحلف بعد الصلاة، لأنها داعية إلى النطق بالصدق، وناهية عن الكذب والزور.

٢٢٩٣. فيها أن من عظم الله في صلاته بصدق عظم الحلف به بعدها.

٢٢٩٤. فيها إشارة إلى أن الصلاة الحقيقية هي التي تدفع صاحبها إلى أداء الحقوق والقيام بالواجبات.

٢٢٩٥. فيها أن يكون الحلف في مجمع من الناس بعد الصلاة وهذا لاستجاشة الوجدان الديني، والتحرج من الفضيحة في المجتمع عند ظهور الكذب والخيانة.

٢٢٩٦. قال القرطبي :" هذه الآية أصل في التغليظ في الأيمان.

٢٢٩٧. قوله ﴿ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ ﴾ تفيد أن القسم لا يكون إلا بالله عز وجل؛ وقد قال رسول الله ﷺ: "من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك".

٢٢٩٨. فيها أن القسم بالله تعالى مما يؤكّد به الكلام والأحكام ولا حرج فيه إذا تطلب الأمر ذلك.

٢٢٩٩. فيها أخذ اليمين للاستيثاق فيما يشك في صحته.

٢٣٠٠. فيها قوة العلاقة بين الشهادة والقسم.

٢٣٠١. تفيد أن هذا الحكم عند الارتياب لقوله: ﴿ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ ﴾ في شهادتهما، فإن صدقتموهما، فلا حاجة إلى القسم بذلك، فقوله إِنِ ارْتَبْتُمْ شرط لا يتوجه تحليف الشاهدين إلا به، ومتى لم يقع ريب ولا اختلاف فلا يمين.

٢٣٠٢. قوله ﴿ لَا نَشْتَرِي بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ تفيد القسط والعدل في الشهادة ولو على القريب.

٢٣٠٣. تفيد أن الله- تعالى- قد أكد هذا القسم بجملة من المؤكدات منها: أن الحالفين يحلفان بأنهما لا يحصلان بيمين الله ثمنا مهما كانت قيمته، وبأنهما لن يحابيا إنسانا مهما بلغت درجة قرابته، وبأنهما لن يكتما الشهادة التي أمرهما الله بأدائها على وجهها الصحيح، وبأنهما يقران على أنفسهما باستحقاق عقوبة الآثم المذنب إن كتما، أو خانا، أو حادا عن الحق، وهذا كله لأجل أن تصل وصية الميت إلى أهله كاملة غير منقوصة.

٢٣٠٤. قوله ﴿ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ﴾ فيها التأكيد على أداء الشهادة وعدم كتمانها ولذا نسبها الله تعالى إلى ذاته العلية تشريفا وتأكيدا.

٢٣٠٥. فيها التنبيه إلى الحث على نشر العلم وتعليمه. وأن كتمه من الإثم المستحق للعنة قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٩].

٢٣٠٦. تفيد أن من أعظم الإثم كتم الشهادة.

٢٣٠٧. تفيد أن المسلم يتنزه عن الآثام حتى لا يكون من الآثمين.

قال تعالى: ﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة: ١٠٧].

٢٣٠٨. تفيد أن الأصل في الشهود العدالة والصدق؛ لقوله: ﴿ فَإِنْ ﴾ التي تستعمل فيما لا يتحقق وقوعه.

٢٣٠٩. قال القرطبي: هذه الآية أصل في حبس من وجب عليه حقّ.

٢٣١٠. فيها وجوب التثبت قبل صدور الأحكام.

٢٣١١. في قوله: ﴿ ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا ﴾ رد على الجبرية.

٢٣١٢. قوله ﴿ فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ ﴾ فيها: أن يقام عند العثور على أن الشاهدين كاذبان اثنان من الذين استحق عليهم ويكون الاثنان هم الأوليان يعني الأحقان بحق الميت.

٢٣١٣. تفيد أن الخائن يستبدله الله بغيره، من أهل الأمانة، وأن الله يقيض من يدافع عن المظلوم ولو كان ميتا.

٢٣١٤. تفيد منزلة القرابة وأنهم أولى بالميت وأحرص على حقوقه.

٢٣١٥. قوله ﴿ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ ﴾ تفيد أن القسم لا يكون إلا بالله عز وجل؛ لقوله: وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك". حديث صحيح. أخرجه الترمذي (١٦١٥)

٢٣١٦. فيها أن القسم من أعظم ما يؤكد الشهادات.

٢٣١٧. تفيد: أنه لا ينبغي قول: "أُقسم"، فحسب. بل يقول: أقسم بالله.

٢٣١٨. فيها: رد اليمين على المدعي.

٢٣١٩. فيها: أن رد الأولين بشهادة الشاهدين أعظم اعتداء من تغيير الشهادة من الشاهدين. أفاده العلامة أبن عثيمين رحمه الله.

٢٣٢٠. قوله ﴿ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا ﴾تفيد أن الشهادة قد تكون بمعنى اليمين، ومنه قوله تعالى:﴿ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ ﴾ [النور: ٦].

٢٣٢١. فيها: أن المدعى عليه لا يجزم ببطلان شهادة التي تبين فيها شيئا من الخلل لقوله﴿ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا ﴾بهذا اللفظ ولم يقل باطلة.

٢٣٢٢. تفيد النهي عن الاعتداء والظلم.

٢٣٢٣. قوله:﴿ وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ ﴾ يدخل فيه شهادة الزور. وعليه تفيد: أن شاهد الزور من الظالمين.

٢٣٢٤. أن شهادة الزور، اعتداء على الحقوق.

٢٣٢٥. تفيد أن الشهادة الكاذبة من الظلم لأنها تضيع الحقوق.

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡمَعُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة: ١٠٨].

٢٣٢٦. فيها أنَّه كلَّما كان الشيءُ أقربَ إلى استنتاجِ الصوابِ والحقِّ في الشهادة فهو أَوْلى أن يُتَّبَع، لِقَوْلِه:﴿ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ ﴾ لأنَّ الإنسانَ إذا فَهِم أنَّ مِن ورائِه أناسًا سيقومون بردِّ شهادتِه والإقسامِ على بُطلانها، فلا بدَّ أن يتحرَّى الصدقَ فيما يشهدُ به.

٢٣٢٧. قوله سبحانه ﴿ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ ﴾ أي أقرب إلى الحق وأبعد عن الباطل؛ لأن معرفة الحق من كل وجوهه وجزئياته، مرجعها إلى الله العليم بخفايا الأمور وبواطنها وبواعثها. أما الحاكم فإنه يحكم على حسب ما يظهر له من حق، وحكمه قابل للخطأ والصواب. (الوسيط في التفسير).

٢٣٢٨. فيها أهمية الحضور في الشهادة، واختيار القضاة للوقت المناسب الذي يكون فيه صفاء القلب والروح دبر الصلوات أو العصر للشاهد، وقد يكون الحالف صادقا مع ربه خائفا

من عقابه، وقد يكون منافقا خائفا من الفضـــيحة وفي كل خير للمجتمع واســـتقرار أحواله، والعاقل من ينظر إلى الباقية ويعمل لها.

٢٣٢٩. فيها إنَّما جمَع الضَّمائرَ في ﴿ يَأْتُوا ﴾ وما بعدَه، وإن كان السابق مثنًّى، فلم يُثنِّها كما سَبَق؛ لأنَّه حُكمٌ يعمُّ الشُّهودَ كلَّهم؛ فإنَّه لا يعودُ إلى الشَّاهِدَينِ بخُصوصيَّتهما، بل إلى النَّاسِ الشُّهودِ، والتقدير: ذلك أدْنَى أنْ يحذرَ الناسُ الخيانةَ فيَشْهَدوا بالحقِّ خوفَ الفضيحةِ في ردِّ اليمينِ على المدَّعِي. وقيل: هو عائدٌ على الشَّاهِدَينِ باعتبارِ الصِّنفِ والنَّوعِ.

٢٣٣٠. فيها إشارة إلى ثقل وخطر الشهادة، لقوله ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ ﴾. قال ابن عاشور: ومعنى ﴿ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ أن يؤدّوا الشهادة. جُعل أداؤها والإخبار بها كالإتيان بشيء من مكان.

٢٣٣١. فيها الحث على الإتيان بالشهادة على أكمل وأفضل الوجوه؛ لأن معنى قوله ﴿ عَلَىٰ وَجْهِهَآ ﴾ أي على سنّتها وما هو مقوّم تمامها وكمالها.

٢٣٣٢. تفيد: ذم التنطع في الشهادة؛ ووجوب أدائها على حقيقتها؛ من غير وكس ولا شطط؛ لقوله: ﴿ عَلَىٰ وَجْهِهَآ ﴾ وما روي عن عمر رضي الله عنه عنا ببعيد (لقد تنطعت في الشهادة).

٢٣٣٣. وسنّة الشهادة وكمالها هو صدقها والتثبّت فيها، والتنبّه لما يغفل عنه من مختلف الأحوال التي قد يستخفّ بها في الحال، وتكون للغفلة عنها عواقب تضيّع الحقوق، أي ذلك يعلّمهم وجه التثبّت في التحمّل والأداء وتوخّي الصدق، وهو يدخل في قاعدة لزوم صفة اليقظة للشاهد. (التحرير والتنوير).

٢٣٣٤. قوله ﴿ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ﴾ تفيد أن رد الشهادة، وعدم قبولها من العقوبات الشرعية، ومن ذلك قوله تعالى في القاذف: «ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون».

٢٣٣٥. تفيد أن المسلم عليه أن يبتعد عما يخدش في عدالته، ويرد شهادته وذلك بالاستقامة وترك الفسق.

٢٣٣٦. جمع ﴿الأيمان﴾ باعتبار ة عموم حكم الآية لسائر قضايا الوصايا التي من جنسها، على أنّ العرب تعدل عن التثنية كثيراً.

٢٣٣٧. قوله ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ تفيد التذكير بتقوى الله عز وجل، وأثر ذلك في أداء الشهادة على وجهها.

٢٣٣٨. قوله ﴿وَٱسۡمَعُواْۗ﴾ فيها الأمر بالسمع والطاعة.

٢٣٣٩. فيها إشارة إلى أهمية عمل القلب، وتأثيره على الجوارح؛ إذ أن المراد بالسماع هنا القبول الإذعان، والعمل بمقتضاه لأنه مصدق له؛ وليس مجرد سماع الجارحة (الأذن).

٢٣٤٠. تفيد أن الهداية بيد الله سبحانه وتعالى، وأن الضلال له أسباب منها الفسق.

٢٣٤١. قوله ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ تفيد النهي والتحذير من الفسق وهو الخروج عن طاعة الله عز وجل.

٢٣٤٢. فيها أن التخويف من العقاب الدنيوي ولو كان عقابا معنويا له أثر في استقامة الناس على الحق.

قال تعالى: ﴿ يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩].

٢٣٤٣. مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما تمّ الكلام على الاستشهاد على وصايا المخلوقين ناسب الانتقال إلى شهادة الرسل على وصايا الخالق تعالى، فإنّ الأديان وصايا الله إلى خلقه.

٢٣٤٤. فيها: قوله: ﴿ يَوۡمَ يَجۡمَعُ ﴾ ظرف، والأظهر أنه معمول لعاملٍ محذوف يقدّر بنحو: اذكر يوم يجمع الله الرسل، أو يقدّر له عامل يكون بمنزلة الجواب للظرف، لأنّ الظرف إذا تقدّم يعامل معاملة الشرط في إعطائه جواباً. وقد حذف هذا العامل لتذهب نفس السامع كلّ

مذهب ممكن من التهويل، تقديره يوم يجمع الله الرســـل يكون هول عظيم لا يبلغه طُولُ التعبير فينبغي طيّه.

٢٣٤٥. فيها: إثبات ليوم الجمع (القيامة).

٢٣٤٦. قوله تعالى ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ ﴾ تفيد عظمته تعالى من خلال هذا الجمع والسؤال لخير الخلق.

٢٣٤٧. فيها عظيم ذلك وشدته وهوله حيث فيه جمع الأولين والآخرين وجمع الرسل.

٢٣٤٨. فيها: تعريض بأهل المحشر؛ فهو - سبحانه - وإن كان سائلا الأنبياء، إلا أنه عرض بأهل المحشر ليتأهبوا للنقلة.

٢٣٤٩. فيها إثبات الرسالات والنبوات.

٢٣٥٠. خص- سبحانه- الرسل بالذكر- مع أن الرسل وغيرهم سيجمعون للحساب يوم القيامة- لإظهار شرفهم وللإيذان بعدم الحاجة إلى التصريح بجمع غيرهم من الأقوام لأن هؤلاء الأقوام إنما هم تبع لهم.

٢٣٥١. فيها إثبات صفة الكلام لله سبحانه وتعالى لقوله: ﴿ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمۡۖ ﴾

٢٣٥٢. قال طنطاوي في الوسيط: وقال- سبحانه- ﴿ مَاذَآ أُجِبْتُمۡۖ ﴾ ولم يقل- مثلا- «هل بلغتم رسالتي أولا»؟ للإشعار بأن الرسل الكرام قد بلغوا رسالة الله على أكمل وجه وأن الذين خالفوهم من أقوامهم سيتحملون وزر مخالفتهم يوم القيامة.

٢٣٥٣. الاستفهام في قوله ﴿ مَاذَآ أُجِبْتُمۡۖ ﴾ مستعمل في الاستشهاد، ينتقل منه إلى لازمه، وهو توبيخ الذين كذّبوا الرسل في حياتهم أو بدّلوا وارتدّوا بعد مماتهم.

٢٣٥٤. تفيد تحقق وقوع هذا الخطاب والجواب؛ لقوله: ﴿ قَالُواْ ﴾ بصيغة الماضي، فكأنه وقع وانتهى، قال ابن عاشور: وعبّر في جواب الرسل ب ﴿ قَالُواْ ﴾ المفيد للمضي مع أنّ الجواب لم يقع، للدلالة على تحقيق أنّه سيقع حتى صار المستقبل من قوة التحقّق بمنزلة الماضي في التحقّق.

٢٣٥٥. فيها: رد على الغلاة المارقين، الذين يدعون للأولياء أو غيرهم علم الغيب، لقول الرسل: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾.

٢٣٥٦. قوله تعالى عن الرسل ﴿قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ تفيد: أن الرسل قد ينتشر أتباعهم أو لا؛ في محياهم أو بعد مماتهم، ولا علم للأنبياء بحصر من اتبعوهم أو أعرضوا عنهم وهم أحياء، فكيف بعد الممات؟

٢٣٥٧. تفيد هذه الآية ضرورة تجريد الدعوة عن مقاييس النجاح والإخفاق البشري وتوحيد الهم بالدعوة، حيث لم يتردد الأنبياء في الاعتراف بعدم العلم بثمرات دعوتهم، ولم يعاتبهم الله على ذلك فدل على ضرورة ذلك بالنسبة للدعاة بعد الأنبياء.

٢٣٥٨. تفيد: خوف الرسل، وهيبتهم، وأدبهم مع ربهم؛ حيث نفوا عن أنفسهم مجرد العلم، فلم يقولوا – مثلا –: اللهم أنت أعلم. بل كان من تمام أدبهم أن قالوا: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾.

٢٣٥٩. فيها دلالة على أن أثر الدعوات في البشر من الغيوب التي لا يعلمها إلا الله وتلك حقيقة فإن الدعوة تسري في قلوب وعقول الناس جيلا بعد جيل بحسب ما كتب لها من القبول وبالتالي لا يتسنى للأنبياء عليهم السلام بله من بعدهم من أتباعهم أن يعلموا على وجه اليقين مدى استجابة الناس لدعوتهم.

٢٣٦٠. فيها: أجمع الرسل في الجواب على تفويض العلم إلى الله، أي أنّ علمك سبحانك أعلى من كلّ علم وشهادتك أعدل من كلّ شهادة، فكان جواب الرسل متضمّناً أموراً: أحدها: الشهادة على الكافرين من أممهم بأنّ ما عاملهم الله به هو الحقّ. الثاني: تسفيه أولئك الكافرين في إنكارهم الذي لا يجديهم. الثالث: تذكير أممهم بما عاملوا به رسلهم لأنّ في قولهم: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾، تعميماً للتذكير بكلّ ما صدر من أممهم من تكذيب وأذى وعناد. ويقال

لمن يَسأل عن شيء لا أزيدك علماً بذلك، أو أنت تعرف ما جرى. وإيراد الضمير المنفصل بعد الضمير المتّصل لزيادة تقرير الخبر وتأكيده. (التحرير والتنوير).

٢٣٦١. فيها أنه لما أدرك الرسل عِظم أمر الشهادة في هذا المقام ودقة الإجابة فقد فوضوا العلم بالجواب لله سبحانه وتعالى، ذلك أن دعوة الرسل مستمرة بعد وفاتهم ويوكلون بها أصحابهم وأتباعهم في حياتهم ومن بعد مماتهم فكانت الإجابة تقتضي الإحاطة بما لا يقدرون عليه ولا يحيطون به من العلم فكانت السلامة في تفويض العلم لله وهو كذلك.

٢٣٦٢. تفيد: كثرة المغيبات عن البشر، لقوله: ﴿ٱلۡغُيُوبِ﴾.

٢٣٦٣. تفيد إثبات صفة علم الغيب لله عز وجل وحده.

٢٣٦٤. فيها قلة علم البشر بالنسبة إلى علم الله سبحانه وتعالى؛ فإذا كان أعلم البشر وهم الرسل يقولون: «لا علم لنا» فكيف بمن دونهم؟

٢٣٦٥. فيها: تهديد لشاهد الزور، وأن الله مخرج ما في صدره من كتمان الحق يو القيامة. ولعل هذا من مناسبة ذكر علمه بالغيب – سبحانه – ﴿عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾.

قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ [المائدة: ١١٠].

٢٣٦٦. قال أبو السعود: قوله– تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾ شروع في بيان ما جرى بينه– تعالى– وبين واحد من الرسل المجموعين، من المفاوضة على التفصيل، إثر بيان ما جرى بينه– تعالى– وبين الكل على وجه الإجمال ليكون ذلك كالأنموذج لتفاصيل أحوال الباقين، وتخصيص شأن عيسى بالبيان، لما أن شأن– عليه السلام– متعلق بكلا الفريقين من

أهل الكتاب الذين نعت عليهم هذه السورة جناياتهم. فتفصيل شأنه يكون أعظم عليهم، وأجلب لحسراتهم، وأدخل في صرفهم عن غيهم وعنادهم».

٢٣٦٧. عبر بالماضي في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ مع أن هذا القول سيكون في الآخرة، للدلالة على تحقيق الوقوع، وأن هذا القول سيحصل بلا أدنى ريب يوم القيامة.

٢٣٦٨. قوله ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ ﴾ تفيد إثبات صفة الكلام لله سبحانه وتعالى، وفي هذا رد على المعطلة والجهمية والمعتزلة ونحوهم.

٢٣٦٩. قوله ﴿ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ ذكر عيسى عليه السلام باسم أمه إشارة إلى رد تهمة النصارى المزعومة، فالحر لا ينسب ابنه إلى زوجه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه الآية: وهذا كله صريح في أنه ليس هو الله، وإنما هو عبد الله فعل ذلك بإذن الله، كما فعل مثل ذلك غيره من الأنبياء، وصريح بأن الإذن غير المأذون له، والمعلم ليس المعلم، والمنعم عليه وعلى والدته ليس هو إياه، كما ليس هو والدته.. (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٤/٤٧-٤٨).

٢٣٧٠. في قوله تعالى ﴿ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى ﴾ وجوب تذكير العباد بنعم الله تعالى عليهم وعلى آبائهم، وأمهاتهم، وتعداد بعض هذه النعم لبيان كمال المنعم وجلاله سبحانه لأن رؤية المنعم في نعمه أعظم من رؤية النعم وحدها.

٢٣٧١. قوله ﴿ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ ﴾ فيها بيان إكرام الله عز وجل لنبيه عيسى بن مريم عليه السلام، وما تفضل به عليه من النعم.

٢٣٧٢. فيها التنبيه إلى وجوب استشعار نعم الله تعالى على عبده، وتذكرها والحذر من الغفلة عنها وهي من أقوى محركات القلوب إلى الله والاستقامة على دينه.

٢٣٧٣. فيها: إنما ذكّر الله تعالى عيسى نعمته عليه وعلى والدته وإن كان لهما ذاكرا لأمرين: أحدهما: ليتلو على الأمم ما خصهما به من الكرامة، وميزهما به من علو المنزلة. الثاني: ليؤكد به حجته، ويرد به جاحده. (القرطبي).

٢٣٧٤. تفيد أن أهل الفضل والسعة مطالبون بشكر أزيد لله تعالى على نعمه وفضله.

٢٣٧٥. الأمر في قوله ﴿ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي ﴾ للامتنان، إذ ليس عيسى بناس لنعم الله عليه وعلى والدته. ومن لازمه خزي اليهود الذين زعموا أنّه ساحر مفسد إذ ليس السحر والفساد بنعمة يعدّها الله على عبده. ووجه ذكر والدته هنا الزيادة من تبكيت اليهود وكمدهم لأنّهم تنقّصوها بأقذع ممّا تنقّصوه.

٢٣٧٦. قوله﴿ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ ﴾ تفيد فضل مريم الصديقة عليها السلام، وأنها من المنعم عليهم.

٢٣٧٧. فيها: العناية بالوالدة، وشكر الله على صلاحها واستقامتها، لقوله﴿ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ ﴾.

٢٣٧٨. تفيد أن النعمة على الوالدين نعمة على الأولاد، وهي من النعم التي تذكر وتشكر، والمؤسف حقا أن القليل منا من ينتبه لذلك.

٢٣٧٩. قوله: ﴿ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِي ﴾ فيها بيان بالمعجزات التي أعطاها الله لنبيه عيسى عليه السلام وأيده بها.

٢٣٨٠. قوله ﴿ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ ﴾ تفيد إثبات الملائكة، وأن الله تعالى يؤيد بها رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام.

٢٣٨١. تفيد فضل جبريل عليه السلام فهو سيد الملائكة وهو روح القدس، وسماه الله تعالى روحا لأنه يأتي بالوحي الذي تحيا به القلوب.

٢٣٨٢. ﴿أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ﴾ فيها إثبات نبوة عيسى بن مريم عليه السلام.

٢٣٨٣. فيها تأييد الله تعالى لأنبيائه بالمعجزات وهو دليل على صدق دعواهم.

٢٣٨٤. قوله تعالى: ﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ﴾ تفيد نعمة الكلام، والقدرة على مخاطبة خاصة إذا كان لنصرة الحق وبيانه للناس.

٢٣٨٥. ذكر- سبحانه- كلامه في حال الكهولة- مع أن الكلام في هذه الحالة معهود في الناس- للإيذان بأن كلامه في هاتين الحالتين- المهد والكهولة- كان على نسق واحد بديع صادر عن كمال العقل والتدبير، دون أن يكون هناك فرق بين حالة الضعف وحالة القوة. قال الرازي: وهذه خاصية شريفة كانت حاصلة له، وما حصلت لأحد من الأنبياء قبله ولا بعده.

٢٣٨٦. تفيد فضل الدعوة إلى الله تعالى فهي وظيفة الرسل؛ قال السعدي رحمه الله: ﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ﴾ المراد بالتكليم هنا، غير التكليم المعهود الذي هو مجرد الكلام، وإنما المراد بذلك التكليم الذي ينتفع به المتكلم والمخاطب، وهو الدعوة إلى الله. ولعيسى عليه السلام من ذلك، ما لإخوانه من أولي العزم من المرسلين، من التكليم في حال الكهولة، بالرسالة والدعوة إلى الخير، والنهي عن الشر، وامتاز عنهم بأنه كلم الناس في المهد.

٢٣٨٧. فيها إشارة إلى نزول المسيح عليه السلام آخر الزمان استنباطا من قوله تعالى: ﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ﴾.

٢٣٨٨. قوله ﴿وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ﴾ فيها الإشارة إلى أن من أعظم نعم الله على عبده نعمة العلم بالكتاب والحكمة تعلما وتعليما ليتحقق العمل بهما على بصيرة.

٢٣٨٩. تفيد أن تعليم الكتابة والقراءة نعمة عظيمة من نعم الله عز وجل؛ لقوله: ﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ لأن المراد بالكتاب: الكتابة. أي أن عيسى -عليه السلام- لم يكن أميا بل كان قارئا وكاتبا وقيل المراد به ما سبقه من كتب النبيين كزبور داود، وصحف إبراهيم، وأخبار الأنبياء الذين جاءوا من قبله. وتعليم الإنسان الكتابة والقراءة التي هي وسيلة العلم من أوائل النعم التي ذكرت في القرآن الكريم.

٢٣٩٠. تفيد إثبات ركن من أركان الإيمان، وهو الإيمان بالكتب التي أنزلها الله عز وجل ومنها التوراة والإنجيل.

٢٣٩١. تفيد أن: كتب الله المنزلة منة من الله، يتمنن بها على عباده.

٢٣٩٢. تفيد فضل العلم، وأنه من أعظم المنن من الله عز وجل على عباده؛ لقوله: ﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾

٢٣٩٣. تفيد أن العلم الحقيقي النافع في الدارين هو علم ما أنزل الله عز وجل على رسله وفهمه واستخراج هداياته.

٢٣٩٤. تفيد فضل الفهم والفقه في الدين، ومعرفة العلل والحكم التي في الشرع؛ لقوله: ﴿ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ قال السعدي: والحكمة هي: معرفة أسرار الشرع وفوائده وحكمه، وحسن الدعوة والتعليم، ومراعاة ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي.

٢٣٩٥. قوله﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ ﴾ فيها جواز التعبير بلفظ "خلق" على غير الله؛ وكما قال: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤].

٢٣٩٦. قوله ﴿ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ ﴾ فيها إشارة على مشروعية التداوي.

٢٣٩٧. فيها: تذكير للناس عامة، ولأهل الطب خاصة، إذا شفي مريض على أيديهم، أن يعلموا أن الشفاء حصل على الحقيقة بإذن الله وحده، وما هم إلا سبب خلقه الله، لقوله: ﴿ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ ﴾

٢٣٩٨. فيها حث للمرضى أن يجدوا في الدعاء بالشفاء، وليوقنوا أن شفاءهم بيد ربهم وحدهم.

٢٣٩٩. قوله ﴿ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِيٓ ﴾ فيها أن المعجزة تكون من جنس ما تميز به قوم كل نبي.

٢٤٠٠. فيها إشارة إلى رحمة الأنبياء والمرسلين وحرصهم على نفع البشر في دينهم ودنياهم وآخرتهم.

٢٤٠١. تفيد: عظم بلاغة القرآن، حيث قال: قوله ﴿ ٱلْأَكْمَهَ ﴾ ولم يقل – مثلا –: "الأعمى"؛ ولأن الأكمه لا يرجى برؤه، لأنه ولد أعمى لم ير الوجود.

٢٤٠٢. تفيد إثبات الإذن لله سبحانه وتعالى؛ لقوله:﴿ بِإِذْنِيٓ ﴾

٢٤٠٣. قوله ﴿ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِيٓ ﴾ فيها برهان على إمكانية البعث، فقد وقع إحياء الموتى في هذه الدنيا ومن ذلك ما ذكر في هذه الآية.

٢٤٠٤. تفيد أن الحافظ للداعية من سوء أعدائه هو اللله تعالى وحده، قال ابن عاشور: وقوله: ﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ ﴾ عطف على ﴿ إِذْ أَيَّدتُّكَ ﴾ وما عطف عليه. وهذا من أعظم النعم، وهي نعمة العصمة من الإهانة؛ فقد كفّ الله عنه بني إسرائيل سنين، وهو يدعو إلى الدين بين ظهرانيهم مع حقدهم وقلّة أنصاره، فصرفهم الله عن ضرّه حتى أدّى الرسالة، ثمّ لما استفاقوا وأجمعوا أمرهم على قتله عصمه الله منهم فرفعه إليه ولم يظفروا به، وماتت نفوسهم بغيظها. وقد دلّ على جميع هذه المدّة الظرف في قوله:﴿ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ فإنّ تلك المدّة كلّها مدّة ظهور معجزاته بينهم.

٢٤٠٥. قوله﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ فيها أن التأييد والنصرة والكفاية والثبات يكون على قدر ما في قلبك من اليقين، وتحقيق التوحيد.

٢٤٠٦. تفيد أن الله عز وجل يدافع عن الرسل والأنبياء والمؤمنين؛ قوله﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾.

٢٤٠٧. قوله﴿ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ تفيد أن الرسل يأتون بالبينات الواضحة التي لا لبس فيها.

٢٤٠٨. قوله ﴿ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ فيها أن جحود البشر للحق ماض في كل زمان ومكان والمعصوم من عصمه الله تعالى.

٢٤٠٩. فيها التنبيه إلى سنة من سنن الله تعالى الكونية، وهي أنه ما قام نبي ولا مصلح من ورثة الأنبياء بالبينات من الحق، ودعوة الناس إليها إلا عودي لقوله﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ ولكن الله يدافع عن أنبيائه وأوليائه.

٢٤١٠. فيها من سنن الله تعالى الصراع بين الحق والباطل.

٢٤١١. فيها التنبيه إلى النفسية الإسرائيلية الغالبة على أكثرهم، وهي معاداة الحق، وإيذاء دعاته من الأنبياء فمن دونهم.

٢٤١٢. فيها بيان حجة العاجز الذي لا يجد له حجة أمام براهين وبينات الحق ﴿ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾.

٢٤١٣. فيها أن رؤية الكافر مهما بلغ لا تصيب الحق، ﴿ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ مع أنهم يمتلكون كل أدوات التبصر.

٢٤١٤. تفيد تربية المسلم على الإنصاف والعدل مع المخالفين فضلا عن الموافقين؛ لقوله: ﴿ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ ﴾ فلم يعممهم. وهذا من دقة القرآن وإنصافه.

٢٤١٥. قوله﴿ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ تفيد وجود السحر من قديم وانتشاره في الأمم السابقة فإذا جاءتهم الآيات المبهرة، وعجزوا عن ردها نسبوها إلى السحر ووصفوا الأنبياء والرسل بالسحرة.

٢٤١٦. فيها أن حيلة العاجز دائما وأبدا الطعن، والسب، والشتم، وعدم مقارعة الحجة بالحجة.

٢٤١٧. فيها توبيخ اليهود والنصارى بتفريط اليهود في عيسى، وغلو النصارى فيه.

٢٤١٨. قال ابن عاشور: واقتصر من دعاوي تكذيبهم إيّاه على قولهم ﴿ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٌ مُّبِينٌ﴾، لأنّ ذلك الادّعاء قصدوا به التوسّل إلى قتله، لأنّ حكم الساحر في شريعة اليهود القتل إذ السحر عندهم كفر، إذ كان من صناعة عبدة الأصنام، فقد قرنت التوراة السحر وعِرافةَ الجانّ بالشرك، كما جاء في سفر اللاويّين في الإصحاح العشرين.

٢٤١٩. فيها: قرأ الجمهور: ﴿ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٌ مُّبِينٌ ﴾، والإشارة بِ ﴿ هَٰذَآ ﴾ إلى مجموع ما شاهدوه من البيّنات. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف ﴿ إِلَّا سِحۡرٌ﴾. والإشارة إلى عيسى المفهوم من قوله: ﴿ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾، ولا شك أنّ اليهود قالوا لعيسى كلتا المقالتين على التفريق أو على اختلاف جماعات القائلين وأوقات القول.

قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ﴾ [المائدة: ١١١].

٢٤٢٠. مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى إنما ذكر- قوله﴿ وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ ﴾ في معرض تعديد النعم لأن صيرورة الإنسان مقبول القول عند الناس محبوبا في قلوبهم، من أعظم نعم الله على الإنسان. قال ابن عاشور: فإنّ إيمان الحواريّين نعمة على عيسى إذ لو لم يؤمنوا به لما وجد من يتّبع دينه فلا يحصل له الثواب المتجدّد بتجدد اهتداء الأجيال بدينه إلى أن جاء نسخه بالإسلام.

٢٤٢١. قوله ﴿ وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ ﴾ تفيد أن الوحي قد لا يراد به وحي النبوة بل يراد به الإلهام، ففيها رد على من أثبت نبوة بعض النساء كأم موسى عليه السلام.

٢٤٢٢. تفيد مكانة ومنزلة الحواريين، قال ابن عاشــور: وخُصّ الحواريّون به هنا تنويهاً بهم حتّى كأنّ الوحي بالدعوة لم يكن إلاّ لأجلهم، لأنّ ذلك حصل لجميع بني إسرائيل فكفر أكثرهم على نحو قوله تعالى: ﴿ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ ﴾ [الصف: ١٤]، فكان الحواريّون سابقين إلى الإيمان لم يتردّدوا في صدق عيسى.

٢٤٢٣. تسمية أنصار عيسى بالحواريين؛ لأنهم أخلصوا لله نياتهم، وطهروا نفوسهم من النفاق والخداع فصاروا في نقائهم وصفائهم كالشيء الأبيض الخالص البياض.

٢٤٢٤. تفيد منة الله تعالى على المسيح عليه السلام بالحواريين والأصحاب.

٢٤٢٥. تفيد فضل صحبة الرسل ونصرهم وكون الإنسان من خاصتهم، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لكل نبي حواري وحواريّ الزبير".[رواه البخاري ٤١١٣].

٢٤٢٦. فيها بيان فضل الله على أوليائه بإلهامهم الإيمان وصالح الأعمال.

٢٤٢٧. ﴿ أَنْ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي ﴾ تفيد أن الإيمان بالله لا يتم إلا بالإيمان برسله.

٢٤٢٨. قوله ﴿ وَبِرَسُولِي ﴾ فيها أن الإيمان بالأنبياء ركن من أركان الإيمان.

٢٤٢٩. قوله﴿ وَبِرَسُولِي ﴾ فيها إشارة إلى مقامه من الله- عز وجل- وانفصال شخصه عن ذات الله- سبحانه- وأن عيسى ما هو إلا رسول من رب العالمين وأن من زعموا أنه غير ذلك جاهلون وضالون. (الوسيط في التفسير).

٢٤٣٠. تفيد مكانة وشرف عيسى عليه السلام حيث أضافه تعالى إليه.

٢٤٣١. تفيد عظيم لطف الله وكرمه بعباده إذ لم يتركهم بلا رســـول، ولا كتاب بل هداهم، ووفقهم للإيمان بالله وبرسوله وجازاهم على ذلك.

٢٤٣٢. تفيد أهمية الاقتداء بالصالحين من الأمم السالفة.

٢٤٣٣. تفيد أنه ينبغي على العالم والداعي، أن يستشعر أن الذي منّ عليه بالأتباع والطلبة، هو الله وحده؛ فيحمله على شكر الله وحمده؛ لأن هذا في معرض امتنانه على عبده ورسوله – عيسى عليه السلام –.

٢٤٣٤. قوله ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾ تفيد فضل الحواريين، وسرعة استجابتهم لله ورسوله.

٢٤٣٥. فيها بيان سرعة استجابة المؤمن لأمر الله تعالى وأمر رسوله.

٢٤٣٦. تفيد أن الإيمان لابد فيه من قول اللسان؛ لقوله: ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾.

٢٤٣٧. قوله تعالى: ﴿ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ﴾ فيها أن الإسلامَ دينُ الله الذي ابتعثَ به عيسى والأنبياءَ قبله، لا النصرانية ولا اليهوديةَ، وتبرئة من الله لعيسى عليه السلام ممن انتحل النصرانية ودان بها كما برأ إبراهيم عليه السلام من سائر الأديان غير الإسلام.

٢٤٣٨. قوله ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ﴾ قال السعدي: جمعوا بين الإسلام الظاهر، والانقياد بالأعمال الصالحة، والإيمان الباطن المخرج لصاحبه من النفاق ومن ضعف الإيمان.

٢٤٣٩. قدموا ذكر الإيمان لأنه صفة القلب، وأخروا ذكر الإسلام لأنه عبارة عن الانقياد الظاهر فكأنهم قالوا: لقد استقر الإيمان في قلوبنا استقرارا مكينا، كان من ثماره أن انقادت ظواهرنا لكل ما يأمرنا الله به على لسانك يا عيسى. (الوسيط في التفسير).

٢٤٤٠. تفيد: مشروعية إشهاد الله على قول أو فعل ما؛ وفي الحديث: "اللهم فاشهد".

٢٤٤١. تفيد: أن الإيمان والإسلام، شيء واحد إذا افترقا؛ لقوله: ﴿ ءَامِنُواْ بِي ﴾ فأشهدوا ربهم بقولهم ﴿ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ﴾ وكان المناسب أن يقال: "مؤمنون".

٢٤٤٢. تفيد أن الله تعالى خير شاهد على أعمال العباد، وكفى بها شهادة.

قال تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١١٢ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن

قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [المائدة:١١٢- ١١٣].

٢٤٤٣. تفيد مناسبة اسم السورة لمضمون هذه الآية التي وردت في خاتمتها؛ حيث سميت باسم المائدة التي طلبها الحواريون.

٢٤٤٤. قوله ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ إثبات أن لعيسى عليه السلام أصحابا على منهجه.

٢٤٤٥. فيها أن الحواريين قد ذكروه باسمه ونسبوه إلى أمه- كما حكى القرآن عنهم- لئلا يتوهم أنهم اعتقدوا ألوهيته أو ولديته. (الوسيط في التفسير).

٢٤٤٦. فيها شهادة الحواريين بأن عيسى ابن مريم، فلم ينادوه؛ يا عيسى ربنا. والله أعلم.

٢٤٤٧. في قوله تعالى عنهم:﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾ قال البغوي:(وَلَمْ يَقُولُوهُ شَاكِّينَ فِي قُدْرَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَكِنْ مَعْنَاهُ: هَلْ يُنَزِّلُ رَبُّكَ أَمْ لَا؟ كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ لِصَاحِبِهِ هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْهَضَ مَعِي وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَسْتَطِيعُ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ هَلْ يَفْعَلُ ذَلِكَ أَمْ لَا وَقِيلَ: يَسْتَطِيعُ بِمَعْنَى يُطِيعُ، يُقَالُ: أَطَاعَ وَاسْتَطَاعَ بِمَعْنًى وَاحِدٍ، كَقَوْلِهِمْ: أَجَابَ وَاسْتَجَابَ، مَعْنَاهُ: هَلْ يُطِيعُكَ رَبُّكَ بِإِجَابَةِ سُؤَالِكَ؟).

٢٤٤٨. قال ابن سعدي رحمه الله:(وهذا ليس منهم عن شك في قدرة الله واستطاعته على ذلك. وإنما ذلك من باب العرض والأدب منهم.

٢٤٤٩. القراءة السبعية الأخرى (هل تستطيع ربَّك) يؤخذ منها طلب الدعاء من أهل الفضل والصلاح لأن الحواريين طلبوا من عيسى عليه السلام لمكان نبوته أن يسأل ربه.

٢٤٥٠. في توجيه قراءة ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾ وقراءة (هل تستطيع ربك) فقوله ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾ بالياء مسنداً إلى الرب، وبالتاء الفوقانية مسنداً إلى عيسى عليه السلام ونصب الرب، ومعناهما واحد يرجع إلى التهييج والإلهاب بسبب الاجتهاد في الدعاء بحيث تحصل الإجابة، وتكون هذه العبارة أيضاً للتلطف كما يقول الإنسان لمن يعظمه: هل تقدر أن تذهب

معي إلى كذا؟ وهو يعلم أنه قادر، ولكنه يكنى بذلك عن أن السائل يحب ذلك ولا يريد المشقة على المسؤول ".

٢٤٥١. فيها إشارة لجواز مراجعة وطلب الحاجة لمن هو أعلم منك.

٢٤٥٢. قوله تعالى ﴿أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ﴾ فيها أن الشواهد المحسوسة ضرورية لإحداث التعلم والوصول لمستوى الاطمئنان واليقين.

٢٤٥٣. فيها إشارة إلى علو الله سبحانه وتعالى؛ لقولهم: ﴿يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ﴾

٢٤٥٤. تفيد إثبات عقيدتهم في علو الله تعالى بدلالة ينزل علينا مائدة من السماء.

٢٤٥٥. قوله تعالى ﴿أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ﴾ فيها جواز الأكل على الموائد؛ و«المائدة» الخوان إذا كان عليه الطعام.

٢٤٥٦. فيها فضل صحابة النبي صلى الله عليه وسلم الذين لم يطلبوا شواهد مادية للتأكد من صدقه.

٢٤٥٧. لما كان سؤال آيات الاقتراح منافيا للانقياد للحق، وكان هذا الكلام الصادر من الحواريين ربما أوهم ذلك، وعظهم عيسى عليه السلام فقال: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.

٢٤٥٨. وقيل: بأن هَذا كانَ في أوَّلِ مَعْرِفَتِهِمْ قَبْلَ أنْ تَسْتَحْكِمَ مَعْرِفَتُهم بِاللَّهِ، وإلا فقد وصف الله تعالى الحواريين بأنهم قد قالوا: ﴿ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١].

٢٤٥٩. فيها الأمر بتقوى الله عز وجل، وأن ذلك دليل صدق الإيمان؛ لقوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.

٢٤٦٠. قول عيسى حين أجابهم ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ أمر بملازمة التقوى وعدم تزلزل الإيمان، ولذلك جاء بِ ﴿إِن﴾ المفيدة للشكّ في الإيمان ليعلم الداعي إلى ذلك السؤال خشية أن يكون نشأ لهم عن شكّ في صدق رسولهم، فسألوا معجزة يعلمون بها صدقه بعد أن آمنوا به. (التحرير والتنوير).

٢٤٦١. تفيد: أن الإيمان هو الأصل في كل خير، وأنه يؤثر في الجوارح؛ لقوله: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾.

٢٤٦٢. تفيد أن مجرد تذكير المخالف بتقوى الله، إنكار عليه، وأمر بمعروف ونهي عن منكر.

٢٤٦٣. فيها تنبيه الداعية للمدعوين؛ بما هو أولى لهم أن يشتغلوا به، ويعود عليهم بالنفع.

٢٤٦٤. في تعليق الشرط بإن في جواب عيسى عليه السلام وقوله: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ دلالة على شرف الإيمان وفضله وأنه يحث صاحبه على التقوى.

٢٤٦٥. فيه دلالة على أنّ التعليق بإن يجيء للإلهاب والتهييج. قال ابن عطية: كما تقول: افعل كذا وكذا إن كنت رجلا، ولا خلاف أحفظه في أن الحواريين كانوا مؤمنين، وهذا هو ظاهر الآية.

٢٤٦٦. في جواب عيسى عليه السلام أيضا كما ذكر البقاع إشارة إلى أن المعجزات إنما تطلب لإيمان من لم يكن آمن، فيكون قول عيسى عليه السلام زجرا لهم عن مثل هذا السؤال.

٢٤٦٧. تفيد وجوب اختيار الألفاظ المناسبة في حق الله تعالى، فلما قالوا: ﴿ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾، قال عيسى: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾

٢٤٦٨. فيها اهتمام عيسى عليه السلام بتربيتهم تربية ايمانية، حيث علق ذلك بإيمانهم.

٢٤٦٩. تفيد النهي عن اقتراح الآيات بعد الإيمان.

٢٤٧٠. تفيد أن العبد محتاج إلى زيادة العلم واليقين والإيمان كل وقت، ولهذا قالوا: ﴿ وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ أي: نعلم صدق ما جئت به، أنه حق وصدق، ﴿ وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ فتكون مصلحة لمن بعدنا، نشهدها لك، فتقوم الحجة، ويحصل زيادة البرهان بذلك.

٢٤٧١. فيها الشهادة بالحق والإخبار به وعدم كتمانه؛ لقولهم: ﴿ وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ أي: ونشهد أنها آية من عند الله، ودلالة وحجة على نبوتك وصدق ما جئت به.

٢٤٧٢. فيها مشروعية طلب وسائل زيادة الإيمان واليقين ولا يلزم أن يكون ذلك عن شك. ولذا قال تعالى عنهم ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّٰهِدِينَ﴾

قال تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المائدة: ١١٤].

٢٤٧٣. نسبته إلى أمه في قوله تعالى ﴿عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ إثبات لبشرية عيسى عليه السلام.

٢٤٧٤. فيها أنه لا عيب ولا كراهية في ذكر اسم المرأة سواء كانت أماً أو غيره.

٢٤٧٥. فيها بيان أدب من آداب الدعاء وهو الثناء على الله والاعتراف له بالربوبية ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ﴾، وكذلك قوله ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

٢٤٧٦. فيها أن الجمع في الدعاء بين الألوهية التي تثبت عبودية العبد لله بما تتضمنه من تمام الافتقار له سبحانه، وإظهار التذلل التام لله سبحانه، وبين الربوبية التي تتضمن كمالات الرب جل وتقدس في ذاته وصفاته، من أرجى صيغ الدعاء.

٢٤٧٧. فيها رد على النصارى، وبيان أن عيسى عليه السلام عبد فقير إلى الله عز وجل يتضرع إليه ويساله الحاجات وليس إلها كما زعموا فالإله لا يحتاج إلى غيره.

٢٤٧٨. قال ابن عاشور: كرّر النداء مبالغة في الضراعة. وليس قوله: ﴿رَبَّنَآ﴾ بدلاً ولا بياناً من اسم الجلالة، لأنّ نداء ﴿ٱللَّهُمَّ﴾ لا يتبع عند جمهور النحاة لأنّه جار مجرى أسماء الأصوات من أجل ما لحقه من التغيير حتى صار كأسماء الأفعال. ومن النحاة من أجاز إتْباعه، وأيّاً ما كان فإنّ اعتباره نداء ثانياً أبلغ هنا لا سيما وقد شاع نداء الله تعالى ﴿رَبَّنَآ﴾ مع حذف حرف النداء كما في الآيات الخواتم من سورة آل عمران.

٢٤٧٩. فيها جمع عيسى بين النداء باسم الذات الجامع لصفات الجلال وبين النداء بوصف الربوبية له وللحواريّين استعطافاً لله ليجيب دعاءهم.

٢٤٨٠. تتضمن ما اشتمل عليه نبي الله عيسى من صدق الرغبة أن يجيب الله دعاءه حتى يهتدي قومه ويثبت دينهم، وهو ما ينبغي أن يترسخ في قلوب العلماء والدعاة من صدق النصح للناس والرغبة الحقيقية في هدايتهم للحق، من خلال التواضع لهم وبذل كل ما في الوسع في ذلك.

٢٤٨١. فيها أن التوسل إلى الله عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى من أسباب إجابة الدعاء؛ لقوله: ﴿ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ ﴾ فتوسل بربوبية الله تعالى.

٢٤٨٢. تفيد استحباب الدعاء وسؤال الله جل وعلا الحاجات، ومن أهمها للإنسان الرزق، واختيار الكلمات المناسبة للدعاء، ولذا ناسب طلب الرزق قوله﴿ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾

٢٤٨٣. تفيد أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يستطيعون أن يأتوا بكل ما يُطلَب منهم، وأنهم كغيرهم مفتقرون إلى الله يسألونه ويلجئون إليه. (ابن عثيمين).

٢٤٨٤. قوله ﴿ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾عبر عن مجيء المائدة بالإنزال من السماء للإشارة إلى أنها هبة رفيعة، ونعمة شريفة، آتية من مكان عال مرتفع في الحس والمعنى، فيجب أن تقابل بالشكر لواهبها- عز وجل- وبتمام الخضوع والإخلاص له. (الوسيط في التفسير).

٢٤٨٥. فيها تأكيد على علو العلي الغفار، لقوله ﴿ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾.

٢٤٨٦. وفيها تأكيد على أن الرزق في السماء، لقوله ﴿ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾.

٢٤٨٧. تفيد تحريف وكذب ادعاء النصارى وإنكارهم لقصة المائدة التي نزلت عليهم.

٢٤٨٨. قوله ﴿ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا ﴾ فيها استحباب أن يعين يوم يجتمع فيه الناس، يفرحون فيه بفضل الله ومنته عليهم، وسمي العيد عيدا لاجتماع الخلق فيه.

٢٤٨٩. فيها أن الأعياد من الشرائع، وأنها قد تختلف من شريعة إلى أخرى؛ قال السعدي: أي: يكون وقت نزولها عيدا وموسما، يتذكر به هذه الآية العظيمة، فتحفظ ولا تنسى على مرور

الأوقات وتكرر السنين. كما جعل الله تعالى أعياد المسلمين ومناسكهم مذكرا لآياته، ومنبها على سنن المرسلين وطرقهم القويمة، وفضله وإحسانه عليهم.

٢٤٩٠. تفيد فقه عيسى عليه السلام في الدعاء،قال السعدي: فسأل عيسى عليه السلام نزولها وأن تكون لهاتين المصلحتين، مصلحة الدين بأن تكون آية باقية، ومصلحة الدنيا، وهي أن تكون رزقا.

٢٤٩١. فيها جواز الفرح والسرور في الأعياد الشرعية؛ لأن كلمة العيد تستعمل بمعنى الفرح والسرور.

٢٤٩٢. فيها تأكيد على ضرورة إرسال الرسل معلمين ومزكِّين، حيث قدم عليه السلام الأولى والأهم في دعائه، وهو ما يتعلق بالدين والتربية الإيمانية، فقال عليه السلام: ﴿ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

٢٤٩٣. فيها تأكيد على ضرورة التوازن بين متطلبات الروح وحاجات البدن.

٢٤٩٤. قدم القوم الأغراض الدنيوية منها، وأما هو فقدم الأغراض الدينية.

٢٤٩٥. على القول الذي نُقل عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير: ﴿ لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا ﴾ دلالة على أن البركة من الله يضعها حيث يشاء فهذه المائدة يأكل منها آخر الناس كما يأكل منها أولهم من غير أن ينقص منها شيئا.

٢٤٩٦. فيها بيان إقرار ورضى نبي الله عيسى عليه السلام بمسألة قومه له في إنزال المائدة؛ ولهذا عندما دعا ربه قال: ﴿ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً ﴾ ولم يقل (أنزل عليهم)

٢٤٩٧. تفيد بإشارة لطيفة إلى أنه ينبغي أن لا يخجل ذوو الهيئات والمروءة في حال الوساطة والرفع لمن هم أعلى منهم مقاما أن يدخلوا أنفسهم في ضمن من تشملهم المكرمة في هذه الوساطة وخصوصا إذا كانوا في حاجة إليها.

٢٤٩٨. تفيد أن التمتع بملذات الدنيا من طعام وشراب والسعي في الحصول عليها هي قضية مركوزة في النفوس؛ وأن العباد يؤجرون بهذا التمتع وهذا السعي بحسن نواياهم.

٢٤٩٩. قوله تعالى ﴿ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ تفيد أن الرزق من الله عز وجل وأنه تعالى خير الرازقين.

٢٥٠٠. تفيد أن الله عز وجل من أوصـــافه العظيمة أنه خير الرازقين، لأنه هو الرازق لجميع خلقه بكل أنواع الرزق بصورة مستمرة دائمة في كل زمان ومكان.

٢٥٠١. تفيد إطلاق الرزق على غير الله عز وجل، بمعنى أنه يصـــح أن نصـــف غير الله بأنه رازق؛ لأن الرزق بمعنى العطاء، ولكن الرزق الأكمل والأوفى هو رزق الله تبارك وتعالى. (ابن عثيمين).

قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة: ١١٥].

٢٥٠٢. تفيد إثبات القول لله تعالى، وهي عقيدة أهل السنة والجماعة.

٢٥٠٣. تفيد العلو لله تعالى، لقوله ﴿ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ ﴾.

٢٥٠٤. مذهب الجمهور أن هذه المائدة قد أنزلت عليهم، وهذا ما رجحه ابن جرير حيث قال: والصواب من القول عندنا في ذلك أن يقال: إن الله أنزل المائدة، لأن الله لا يخلف وعده، ولا يقع في خبره الخلف وقد قال- تعالى- مخبرا في كتابه عن إجابة نبيه عيســى حين ســأله ما سأله من ذلك إ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ ﴾ وغير جائز أن يقول الله ﴿ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ ﴾ ثم لا ينزلها، لأن ذلك منه- تعالى- خبر، ولا يكون منه خلاف ما يخبر. وقد علق ابن كثير على ما رجحه ابن جرير فقال: وهذا القول هو- والله أعلم- الصـــواب، كما دلت عليه الأخبار والآثار عن السلف، وغيرهم. ومن الآثار ما خرجه الترمذي عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلت المائدة من السماء خبزا ولحما، وأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا

لغد: فخانوا وادخروا ورفعوا لغد فمسخهم قردة وخنازير. قال الترمذي: وقد روى عن عمار من طريق موقوفا وهو أصح. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شهاب عن ابن عباس، أن عيسى ابن مريم قالوا له ادع الله أن ينزل علينا مائدة من السماء. قال: فنزلت الملائكة بالمائدة يحملونها. عليها سبعة أحوات وسبعة أرغفة. فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولهم.

٢٥٠٥. تفيد التخويف من عذاب الله عز وجل، والتحذير من أسبابه، ومنها الكفر بآيات الله تعالى، ذكر البغوي في معالم التنزيل عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "إن أشد الناس عذابا يوم القيامة المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون".

٢٥٠٦. تفيد الابتعاد عن الفتن وعدم التعرض لما قد يهلك الإنسان في دينه ودنياه وآخرته؛ فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: قالت قريشٌ للنَّبيِّ ﷺ: ادْعُ لنا ربَّك أن يجعَلَ لنا الصَّفا ذهبًا ونُؤمِنُ بك! قال: وتفعلون؟ قالوا: نعم. فدعا، فأتاه جبريلُ فقال: إنَّ ربَّك يقرأُ عليك السَّلامَ ويقولُ: إن شئتَ أصبح لهم (الصَّفا) ذهبًا، فمن كفر بعد ذلك منهم؛ عذَّبتُه عذابًا لا أُعذِّبُه أحدًا من العالمين، وإن شئتَ فتحتُ لهم بابَ التَّوبةِ والرَّحمةِ. قال: بل بابُ التَّوبةِ والرَّحمةِ" السلسلة الصحيحة ٣٣٨٨ وقال: صحيح على شرط مسلم.

٢٥٠٧. تفيد أن المعصية بعد وضوح الحجة أشد من المعصية ابتداء.

٢٥٠٨. في الشرط الوارد في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ﴾ إشارة إلى زجر هذه الأمة عن اقتراح الآيات (البقاعي).

٢٥٠٩. فيها أن الكفر درجات وما كان منه عن عناد فالعذاب المترتب عليه أشد وأفظع.

٢٥١٠. تفيد تفاوت العذاب في النار وأن أهل النار بعضهم أشد عذابا من بعض، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ أهوَنَ أهلِ النَّارِ عذابًا يومَ القيامةِ رجلٌ، على أخمَصِ قدمَيْه جَمْرتان، يَغلي منهما دماغُه كما يَغلي المرجَلُ بالقُمْقمِ". رواه البخاري.

٢٠١١. تفيد رحمة الله بخلقه مسلمهم وكافرهم في عدم إنزال الآيات التي يطلبها الكفار من أنبيائهم.

٢٠١٢. فيها أن الحكمة من عدم إنزال الآيات التي يطلبها الكفار من الأنبياء وهي وقوع أشد العذاب إذا انكروها نزولها.

٢٠١٣. وفيها: خطورة طلب آيات بعينها من الأمم، فمجيء الآيات تعريض للهلاك، وقد ذكر أهل العلم أنه متى طلبت الأمة آية بعينها وحصلت لهم؛ حق عليهم العذاب.

٢٠١٤. فيها: أن من رأى الآيات كفره أعظم ممن لم يرها، لأن من رأى رآها عين يقين، ومن لم يرها علم يقين، أي بواسطة.

٢٠١٥. فيها أن الله مع لطفه ورحمته وإمهاله إلا إنه شديد العقاب فعلى العبد خشيته، ومخافة انتقامه.

٢٠١٦. فيها لطف الله بعباده الحواريين حيث لم يوجه التهديد لمجموعهم بل قصره على من يكفر، حيث قال تعالى ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

٢٠١٧. فيها أكد- سبحانه- عذابه للكافر بآيات الله بعد ظهورها، وقيام الأدلة على صحتها بمؤكدات منها: حرف (إن) في قوله ﴿فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، ومنها: المصدر في قوله ﴿فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ إذ المفعول المطلق هنا لتأكيد وقوع الفعل وهو العذاب. ومنها: وصف هذا العذاب بأنه لا يعذب مثله لأحد من العالمين. وهذه المؤكدات لوقوع العذاب على الكافر بآيات الله بعد وضوحها من أسبابه: أن الكفر بعد إجابة ما طلبوه، وبعد رؤيته ومشاهدته وبعد قيام الأدلة على وحدانية الله وكمال قدرته، وبعد ظهور البراهين الدالة على صدق رسوله سيكون سببه الجحود والعناد والحسد، والجاحد والمعاند والحاسد يستحقون أشد العذاب، وأعظم العقاب. (الوسيط في التفسير)

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ

﴿قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

٢٠١٨.

٢٠١٩. مناسبتها لما قبلها أنه بعد أن ذكر ما سبق من ذكر النعم العظيمة على نبي الله عيسى عليه السلام جاء بيان ما سيلقاه من سؤال الله له يوم القيامة، لإظهار ما كان عليه قومه من الافتراء والزيغ والضلال، ليتبرأ منهم ومن إفكهم.

٢٠٢٠. قوله تعالى ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾ إثبات القول لله حقيقة وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة.

٢٠٢١. النداء بقوله- سبحانه-﴿يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾ أي: بغير ذكر النبوة، للإشارة إلى الولادة الطبيعية التي تنفي أن يكون إلها أو ابن إله أو فيه عنصر الألوهية بأي وضع من الأوضاع لأن الألوهية والبشرية نقيضان لا يجتمعان فلا يمكن أن يكون البشر فيه ألوهية، ولا إله فيه بشرية.

٢٠٢٢. الاستفهام في قوله ﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ استفهام توبيخي للذين اتخذوا عيسى وأمه إلهين من دون الله.

٢٠٢٣. قوله تعالى ﴿يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ فيها أن سؤال الله عز وجل لعيسى عليه السلام مع علمه سبحانه يدل على التوبيخ من الله عز وجل لقوم عيسى، وتعظيم أمر هذه المقالة.

٢٠٢٤. فيها أن الله تعالى أراد أن يظهر إقرار عيسى عن نفسه بالعبودية فيسمع قومه ويظهر كذبهم عليه أنه أمرهم بذلك. أفاده البغوي رحمه الله.

٢٠٢٥. قال القرطبي: واختلف أهل التأويل في معنى هذا السؤال وليس هو باستفهام، وإن خرج مخرج الاستفهام على قولين: أحدهما: أنه سأله عن ذلك توبيخا لمن ادعى ذلك عليه

ليكون إنكاره بعد السؤال أبلغ في التكذيب، وأشد في التوبيخ والتقريع. الثاني: قصد بهذا السؤال تعريفه أن قومه غيروا بعده، وادعوا عليه ما لم يقله.

٢٥٢٦. فيها أن الله يعلم أنّ عيسى لم يقل ذلك ولكن أريد إعلان كذب من كفر من النصارى.

٢٥٢٧. تفيد بإشارة لطيفة أنه يجوز للقاضي أو السائل المحقق أن يسأل الآخر عن سؤال يعرف إجابته مسبقا لأغراض يقتضي السياق.

٢٥٢٨. تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي في قوله: ﴿ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ ﴾ يدلّ على أنّ الاستفهام متوجّه إلى تخصيصه بالخبر دون غيره مع أنّ الخبر حاصل لا محالة. فقول القائلين: اتّخِذوا عيسى وأمّه إلهين، واقع. وإنّما ألقي الاستفهام لعيسى أهو الذي قال لهم ذلك؟ تعريضاً بالإرهاب والوعيد بتوجّه عقوبة ذلك إلى من قال هذا القول إن تنصّل منه عيسى فيعلم أحبارهم الذين اخترعوا هذا القول أنّهم المراد بذلك. والمعنى أنّه إن لم يكن هو قائل ذلك فلا عذر لمن قاله لأنّهم زعموا أنّهم يتّبعون أقوال عيسى وتعاليمه، فلو كان هو القائل لقال: اتّخذوني وأمّي، ولذلك جاء التعبير بهذين اللفظين في الآي، والمراد بالناس أهل دينه. (التحرير والتنوير)

٢٥٢٩. تدل الآية على هول ذلك اليوم وشدته، وأن التوبيخ فيه على رؤوس الخلائق شيء عظيم.

٢٥٣٠. فيها إشارة إلى أن سؤال التوبيخ نوع من التأديب والعقاب. قوله: ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ ﴾ متعلّق بِ ﴿ ٱتَّخِذُونِي ﴾، وحرف ﴿ مِن ﴾ صلة وتوكيد.

٢٥٣١. فيها ذُكر هذا المتعلّق إلزاماً لهم بشناعة إثبات إلهية لغير الله لأنّ النصارى لما ادّعوا حلول الله في ذات عيسى توزّعت الإلهية وبطلت الوحدانية. (التحرير والتنوير.. باختصار وتصرف يسير).

٢٠٣٢. التعبير بقوله ﴿ ٱتَّخِذُونِي ﴾ يدل على أنه ليس له حقيقة، بل هو في ذاته اتخاذ بما لا أصل له. (الوسيط في التفسير).

٢٠٣٣. قوله ﴿ سُبۡحَٰنَكَ ﴾ بدأ بالتسبيح قبل الجواب لأمرين: أحدهما: تنزيها له عما أضيف إليه. الثاني: خضوعا لعزته، وخوفا من سطوته. (الجامع لأحكام القرآن).

٢٠٣٤. قال ابن عاشور: وجواب عيسى عليه السلام بقوله:﴿ سُبۡحَٰنَكَ ﴾ تنزيه لله تعالى عن مضمون تلك المقالة. وكانت المبادرة بتنزيه الله تعالى أهمّ من تبرئته نفسه، على أنّها مقدّمة للتبرّي لأنّه إذا كان ينزّه الله عن ذلك فلا جرم أنّه لا يأمر به أحداً.

٢٠٣٥. قوله ﴿ سُبۡحَٰنَكَ ﴾ تفيد أن التسبيح يساق ليس فقط للتعجب، بل وللإنكار.

٢٠٣٦. يستفاد منها أن من سئل سؤالا يتضمن أمرا منكرا، ينبغي أن يبدأ بإنكاره، قبل إجابة السائل، لأن عيسى عليه السلام أنكر قولهم بقوله:﴿ سُبۡحَٰنَكَ ﴾ قبل أن يجيب.

٢٠٣٧. تفيد فضل التسبيح وتنزيه الله سبحانه وتعالى عما لا يليق به؛ ﴿ سُبۡحَٰنَكَ ﴾

٢٠٣٨. تفيد أن من ألهم التسبيح والتنزيه لله تعالى قبل إجابة سؤال الله له فقد لقن الإجابة الصحيحة؛ ومن تأمل في كثير من إجابات الرسل والملائكة لأسئلة ربهم في القرآن الكريم لظهر له ذلك؛ ومن تأمل في إجابات ابليس لأسئلة ربه لظهر له خلاف ذلك.

٢٠٣٩. قوله تعالى عن عيسى عليه السلام ﴿ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ ﴾ فيها براءة المسيح عليه السلام من افتراءات وغلو النصارى فيه وأمه عليهما السلام. وبراءته من افتراءات وجفاء اليهود فيه وأمه عليهما السلام.

٢٠٤٠. فيها أن الربوبية حق لله وحده لا شريك له.

٢٠٤١. فيها أن رسالة الرسل هي الدعوة للتوحيد، ولذلك هم الأبعد عن الشرك وهذا أمر مسلم به.

٢٠٤٢. فيها: اعتراف عيسى عليه السلام بما لا يستحق، وهذا ديدن إخوانه من الرسل وأتباعهم.

٢٠٤٣. فيها أن الألوهية حق خاص به سبحانه، فلا أحد يستحق أن يكون إلها ولا أحد يستحق أن نعبده من دون الله عز وجل.

٢٠٤٤. قال السعدي: وهذا من كمال أدب المسيح عليه الصلاة والسلام في خطابه لربه، فلم يقل عليه السلام: "لم أقل شيئا من ذلك" وإنما أخبر بكلام ينفي عن نفسه أن يقول كل مقالة تنافي منصبه الشريف، وأن هذا من الأمور المحالة، ونزه ربه عن ذلك أتم تنزيه، ورد العلم إلى عالم الغيب والشهادة.

٢٠٤٥. تفيد أن الشخص بريء حتى تثبت إدانته إما بإقرار من نفسه وهو أقوى الإدانات؛ أو ببينة وشهادة الشهود؛ وأما الإشاعات التي لا أساس لها فلا يؤاخذ به العبد.

٢٠٤٦. فيها أنه لا يضير المؤمن تهمة غيره له ما كان صادقا مع ربه.

٢٠٤٧. فيها جواز أن يطلب المرء لنفسه البراءة من القول الباطل في حقه.

٢٠٤٨. فيها أن التوفيق لحسن الجواب في ذلك المشهد العظيم الذي تضطرب فيه القلوب توفيق من الله وأن الأنبياء أعرف الناس بالله وأثبتهم قلوبا.

٢٠٤٩. قوله ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ فيها: تأدب الرسل عليهم السلام مع ربهم، أي أنه صادر عن علم منك يا ربنا وعن قضائك وقدرك ولا يخفى عليك.

٢٠٥٠. فيها أن من كان بالله أعرف كان معه أكثر أدبا، وأشد إجلالا.

٢٠٥١. فيها إظهار لتعظيم الأنبياء لخالقهم، وكمال الذل والخضوع له سبحانه.

٢٠٥٢. فيها بيان سعة علم الله تعالى، وأن العلم الكامل له سبحانه ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى﴾.

٢٠٥٣. قوله تعالى ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ فيها: إثبات صفة النفس، لله – جل ذكره –.

٢٥٥٤. فيها خص النفس بالذكر لأنها مظنة الكتم، والانطواء على المعلومات. [ابن عطية:٢/٢٦٣].

٢٥٥٥. فيها رد على الأشاعرة في قولهم بالكلام النفسي، وأن الكلام معنى واحد قائم بالذات؛ لقوله ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾

٢٥٥٦. فيها: التحذير من أن يكون في القلب ما يخالف أمره سبحانه لقوله ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي﴾

٢٥٥٧. فيها: أنه ليس عيبا أن يقول الانسان لا أدري المهم الأمانة العلمية.

٢٥٥٨. فيها: لا أحد يعلم ما عند الله عز وجل إلا بعد وقوعه.

٢٥٥٩. قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ فيها أن علم الغيب من خصائص الله تعالى وحده.

٢٥٦٠. قوله تعالى: ﴿عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ المراد المبالغة في هذا الوصف وليس الكثرة وقد ذكر العلماء أن كل ما جاء بصيغة المبالغة في حق الله فليس معناه الكثرة وإنما معناه الكمال، والحقيقة أنه من تأمل ذلك جيدا وجد أنه يأتي لهذا وهذا.

٢٥٦١. وفيها أن من ادعى علم الغيب فهو مشرك، ووجه الدلالة أنه أتى بضمير الفصل ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ وضمير الفصل كما هو معروف يدل على الحصر، يعني: أنت لا غيرك علام الغيوب.

٢٥٦٢. تدل بأبلغ تعبير على إثبات شمول علم الله- تعالى- بكل شيء، وقد أكد عيسى ذلك، بإن المؤكدة وبالضمير أنت، وبصيغة المبالغة ﴿عَلَّٰمُ﴾ وبصيغة الجمع للفظ ﴿ٱلۡغُيُوبِ﴾ فهو لم يقل: إنك أنت عالم الغيب وإنما قال- كما حكى القرآن عنه- ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ بكل أنواعها، وبكل ما يتعلق بالكائنات كلها. (الوسيط في التفسير).

٢٥٦٣. تفيد أن من ادعى علم الغيب فقد ادعى أنه شريك لله، وجه الدلالة أنه أتى بضمير الفصل ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾، وضمير الفصل يدل على على الحصر، يعني أنت لا غيرك علام الغيوب.. (ابن عثيمين).

قال تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧].

٢٥٦٤. تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها؛ وهي أنه بعد أن تبرّأ من أن يكون أمرَ أمّته بما اختلقوه انتقل فبيّن أنّه أمرهم بعكس ذلك حسبما أمره الله تعالى.

٢٥٦٥. في استعمال القرآن أسلوب الحصر " النفي والاستثناء" في قوله تعالى ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ﴾ إشارة إلى ما ينبغي أن يكون عليه الدعاة والعلماء والمصلحون من الدقة في النقل وبلوغ النهاية في ضبط الأقوال.

٢٥٦٦. تفيد أن الرســـل جميعا دينهم واحد، ودعوتهم واحدة، لقوله: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ﴾

٢٥٦٧. تفيد أن النبي مأمور من ربه بتبليغ دينه كما أنزله الله تعالى عليه.

٢٥٦٨. فيها إثبات نبوة عيسى عليه السلام.

٢٥٦٩. فيها بيان كمال امتثال الأنبياء لأمر الله، لقوله: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ﴾

٢٥٧٠. تفيد أن الرسـل عليهم الصـلاة والسـلام مكلّفون بالرسـالة أمرًا من الله؛ لقوله: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ﴾.

٢٥٧١. قال ابن عاشور: واختير ﴿أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ﴾ على (قلت لي) مبالغة في الأدب.

٢٥٧٢. فيها: كان الأصل أن يقال: ما أمرتهم إلا بما أمرتني به إلا أنه وضع القول موضع الأمر، نزولا على موجب الأدب الحسن لئلا يجعل نفسه وربه آمرين معا، ودل على الأصل بذكر أن المفسرة. (الوسيط في التفسير).

٢٥٧٣. قال ابن عاشور: ولما كان ﴿أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ﴾ متضمّناً معنى القول كانت جملة ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ هي المأمورُ بأن يبلّغه لهم فالله قال له: قل لهم اعبدوا الله ربّي وربّكم، فعلى هذا يكون ﴿رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ من مقول الله تعالى لأنّه أمره بأن يقول هذه العبارة ولكن لما عبّر عن ذلك بفعل ﴿أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ﴾ صح تفسيره بحرف { أن } التفسيرية فالذي قاله عيسى هو عين اللفظ الذي أمره الله بأن يقوله، فلا حاجة إلى ما تكلّف به في «الكشاف» على أنّ صاحب «الانتصاف» جوّز وجهاً آخر وهو أن يكون التفسير جرى على حكاية القول المأمور به بالمعنى، فيكون الله تعالى قال له: قل لهم أن يعبدوا ربّك وربّهم. فلمّا حكاه عيسى قال: اعبدوا الله ربّي وربّكم اهـ. وهذا التوجيه هو الشائع بين أهل العلم حتى جعلوا الآية مثالاً لحكاية القول بالمعنى.

٢٥٧٤. تفيد عظم شأن التوحيد؛ لقوله: ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ وهو ما دعت إليه الرسل جميعا، وأنزلت لأجله الكتب، وبه قامت السماوات والأرض، ونصبت الموازين، ووضعت الدواوين، ومدار الأعمال – صحة وفسادا قبولا وردا عليه.

٢٥٧٥. في قوله تعالى ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ أن معطيات الربوبية من النعم الظاهرة والباطنة وهي داع قوي وباعث حثيث على عبادة الله عز وجل.

٢٥٧٦. فيها: إشارة إلى: توحيد الربوبية، والألوهية، ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ ولأن ثمرة الإقرار بالربوبية الإقرار له بالعبودية؛ ولذا أنكر الله على المشركين إقرارهم بالربوبية وكفرهم بالإلهية.

٢٥٧٧. تفيد قاعدة قرآنية وهي الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية؛ لقوله: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ﴾.

٢٥٧٨. تفيد خطورة الشرك بالله تعالى وأهمية إخلاص العبودية لله تعالى.

٢٥٧٩. في قوله تعالى ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ﴾ إشارة إلى ما ينبغي أن يكون عليه كل راع من متابعة كل من استرعاه الله إياه.

٢٥٨٠. في قوله تعالى ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ﴾ إشارة إلى ما ينبغي أن يكون عليه أهل الإيمان من التحقق في الشهادة مما حضره وشهده والإملاء بها حين يسأل عنها وتطلب منه.

٢٥٨١. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: قوله: ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ دليل على أنه بعد توفيته لم يكن الرقيب عليهم إلا الله دون المسيح، فإن قوله: ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ يدل على الحصر، فعلم أن المسيح بعد توفيته ليس رقيبا على اتباعه، بل الله هو الرقيب المطلع عليهم، المحصي أعمالهم، المجازي عليها، والمسيح ليس برقيب فلا يطلع على أعمالهم، ولا يحصيها ولا يجازيهم بها.. (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١٢٦/٣-١٢٨).

٢٥٨٢. فيها رد على الرافضة؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: كما قال المسيح: ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ﴾ الآية.. لم يقل: كان خليفتي الشهيد عليهم، وهذا دليل على أن المسيح لم يستخلف، فدل على أن الأنبياء لا يجب عليهم الاستخلاف بعد الموت.. (منهاج السنة النبوية ٣٤٢/٧).

٢٥٨٣. تفيد أن الرسل عليهم الصلاة والسلام شهداء على أمتهم ما داموا فيهم؛ لقوله: ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ﴾، ومع ذلك هم شهداء على ما يَرَوْن أو يسمعون، وليسوا شهداء على غائبٍ بعيد لا يرونه ولا يسمعونه؛ لأن الرسل لا يعلمون الغيب. (ابن عثيمين).

٢٥٨٤. فيها: جواز الاتصاف ببعض صفات الله؛ كصفة "الشهادة"؛ لقوله: ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا﴾ فالله شهيد شهادة كاملة تليق به، والعبد شهيد شهادة قاصرة تليق بضعفه.

٢٥٨٥. في التعبير بقوله سبحانه ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي﴾ دون مثل قوله: فلما مت إشارة إلى حياة عيسى عليه السلام، ورفعه إلى السماء.

٢٥٨٦. فيها: بيان دقة التعبير القرآني، بيان ذلك من وجوه: الأول: أوضحت: بيان عظيم تذلل الأنبياء لربهم وخالقهم، وانكسارهم وخضوعهم له سبحانه؛ ولقوله: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي﴾ ولم يقل – مثلا –: "مِتُّ"، أو: "تُوفيتُ"، وإنما نسب الفعل لله. الثاني: أشار إلى نفي ألوهية المسيح، وعلى لسان المسيح نفسه. ولأن الإله لا تأخذه سنة، فضلا عن أن ينام أو يموت، أو يتوفاه أحد. الثالث: تذييلها بقوله:﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ لدفع مجرد الإيهام بأن رقابته فقط على قوم عيسى وما صدر منهم، يشغله ذلك أن يشهد على غيره مما يقع في هذه الدنيا. وكأنه يقول: فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم، وليس هذا فحسب، بل أنت يا سيدنا على كل شيء وإن دق شهيد.

٢٥٨٧. تفيد عظمة الخالق سبحانه وتعالى، وسعة علمه؛ لقوله:﴿أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡ﴾.

٢٥٨٨. دلت الآية الكريمة على أن الأنبياء بعد استيفاء أجلهم الدنيوي، ونقلهم إلى البرزخ لا يعلمون أعمال أمتهم.

٢٥٨٩. تفيد استشعار رقابة الله تعالى على أعمال العباد كما أفاده التعريف (للرقيب) وتقديم ضمير الفصل (أنت) على قصر الرقابة على الله تبارك وتعالى، تناسب ما قبلها (فلما توفيتني) انقطعت عنهم.

٢٥٩٠. تفيد أن من يقول قولا فيضل به، يتحمل وزر من يعمل به من الناس إلى يوم القيامة.

٢٥٩١. فيها بيان ضعف علم البشر لاقتصاره على الشهادة دون الغيب.

٢٥٩٢. فيها إثبات اسمين من أسماء الله تعالى (الرقيب والشهيد).

٢٥٩٣. فيها أن من صفات الإله أن يكون عالما بالغيب، وعيسى لا يعلم الغيب.

٢٥٩٤. إيثار قوله: ﴿ شَهِيدٌ ﴾ على وزن فعيل بصيغة المبالغة، ولدلالتها على إبصار الله ما يشهد عليه؛ ولذا لم يقل: "شاهد"، فقد يشهد العبد شهادة معنوية وليست حسية، فنحن نشهد على وجود الجنة ولم نرها. والأمثلة كثيرة.

٢٥٩٥. تفيد أنه يجب على العبد كمال مراقبة الله تبارك وتعالى؛ حيث لا يفقده عند أمره ولا يجده عند نهيه؛ لأن الله رقيب عليك، فلا بد أن تتحاشى هذه الرقابة، وألّا يفقدَك الله تعالى حيث أمرك ولا يجدَك على ما نهاك.

٢٥٩٦. في صيغة المبالغة ﴿ كُلِّ شَيۡءٍ شَهِيدٌ ﴾ "و" ما " الظرفية في قول النبي الكريم عيسى عليه السلام﴿ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ ﴾ أي مدة دوامي فيهم، دلالة على أن الأنبياء اجتهدوا في دعوة قومهم ونصحهم وبلغوا في ذلك غاية وسعهم.

٢٥٩٧. قال البقاعي رحمه الله موضحا هذا المعنى:" ولما كان سبحانه قد أرسله شاهداً، زاد في الطاعة في ذلك إلى أن بلغ جهده كإخوانه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقال معبراً بصيغة المبالغة: ﴿ شَهِيدٌ ﴾ أي بالغ الشهادة، لا أرى فيهم منكراً إلا اجتهدت في إزالته ﴿ مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ ﴾

قال تعالى: ﴿ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨].

٢٥٩٨. فيها أن جميع العباد عرضة لعذاب الله تعالى إلا من رحم.

٢٥٩٩. فيها أن مغفرة الله لعباده هي تفضل منه وحكمة.

٢٦٠٠. فيها أن ما قضاه الله من عذاب لعباده فبعدله وما قضاه من مغفرة فبفضله.

٢٦٠١. فيها تفويض الأمور إلى الله عز وجل، والرضا بحكمه فإنه العزيز الحكيم.

٢٦٠٢. فيها حسن أدب عيسى بن مريم عليه السلام في مخاطبة ربه عز وجل، وهكذا الأنبياء عليهم السلام، وفي ضمن هذا الحث على الأدب في الخطاب مع الله عز وجل في الدعاء والمناجاة وغيرها.

٢٦٠٣. فيها رأفة ورحمة الرسل بالأمم والدعاء لهم بالخير.

٢٦٠٤. تفيد أن من غفر الله له فقد رحمه، لمجيء المغفرة في مقابل العذاب: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ ولم يقل: (وإن ترحمهم) لتلازم المغفرة والرحمة.

٢٦٠٥. فيها أن ختم الآيات بالاسمين الكريمين ﴿ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ دليل على أن عذاب الله لعباده و مغفرته لهم لا عن عجز، وعدم قدرة ولا عن عبث وعدم حكمة،فإن الله هو العزيز الحكيم.

٢٦٠٦. قال الحافظ ابن كثير:هَذِهِ الْآيَةُ لَهَا شَأْنٌ عَظِيمٌ وَنَبَأٌ عَجِيبٌ، وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِﷺ قَامَ بِهَا لَيْلَةً حَتَّى الصَّبَاحِ يُرَدِّدُهَا. وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ؛ أن النبي ﷺ تَلَا قَوْلَ عِيسَى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: "اللَّهُمَّ أُمَّتِي". وَبَكَى، فَقَالَ اللَّهُ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ -وَرَبُّكَ أَعْلَمُ-فَاسْأَلْهُ: مَا يُبْكِيهِ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ، فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا قَالَ، فَقَالَ اللَّهُ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوؤُكَ.) رواه مسلم.

٢٦٠٧. قال السعدي رحمه الله عند قوله تعالى ﴿ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ أي فمغفرتك صادرة عن تمام عزة وقدرة لا كمن يغفر ويعفو عن عجز وعدم قدرة.

٢٦٠٨. الحكيم: حيث كان من مقتضى حكمتك أن تغفر لمن أتى بأسباب المغفرة.

٢٦٠٩. تفيد إثبات المغفرة لله سبحانه وتعالى، وأنها تكون لمن أتى بأسبابها.

٢٦١٠. تفيد إثبات اسمي العزيز والحكيم لله سبحانه وتعالى، وإثبات ما تضمنته من صفات العزة والحكمة له عز وجل.

٢٦١١. إثبات صفة الملك لله ولوازمه، وكذلك العظمة لله ولوازمها، وكذلك الغنى ولوازمه، ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾.

٢٦١٢. قال ابن القيم: لم يقل «الغفور الرحيم»، وهذا من أبلغ الأدب مع الله تعالى؛ فإنه قال في وقت غضب الرب عليهم، والأمر بهم إلى النار؛ فليس هو مقام استعطاف ولا شفاعة، بل مقام براءة منهم، والمعنى: إن غفرت لهم فمغفرتك تكون عن كمال القدرة والعلم، ليست عن عجز الانتقام منهم، ولا عن خفاء عليك بمقدار جرائمهم.

٢٦١٣. قال ابن عثيمين: وقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ هذه المراد بها العبادة الكونية لا الشرعية؛ لأنَّ العبد بالعبودية الشرعية لا يستحق أن يُعَذَّب، ولكن المراد العبودية الكونية؛ لأن الله تعالى يفعل ما يشاء، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ [التغابن ٢].

قال تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩].

٢٦١٤. قوله ﴿قَالَ ٱللَّهُ﴾ فيها إثبات الكلام لله تعالى على ما يليق به سبحانه، كسائر صفاته العظيمة.

٢٦١٥. قال السعدي: والصادقون هم الذين استقامت أعمالهم وأقوالهم ونياتهم على الصراط المستقيم والهدْي القويم، فيوم القيامة يجدون ثمرة ذلك الصدق، إذا أحلهم الله في مقعد صدق عند مليك مقتدر، ولهذا قال: ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾، والكاذبون بضدهم، سيجدون ضرر كذبهم وافترائهم، وثمرة أعمالهم الفاسدة.

٢٦١٦. فيها: إنما ينفعهم الصدق في ذلك اليوم، وإن كان نافعا في كل الأيام لوقوع الجزاء فيه.. (القرطبي).

٢٦١٧. على قراءة الرفع والإضافة في قوله تعالى ﴿هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ﴾، لعل في الآية إشارة إلى أن الصدق ربما تضرر صاحبه بسببه في الدنيا أحيانا مع زوال هذا الضرر وظهور بركته في الدنيا وعظم منفعته في الآخرة. وأيضا الكذب ربما نفع صاحبه في الدنيا أحيانا مع محق بركته وندم صاحبه في الآخرة باستثناء ما رخص فيه الشرع.

٢٦١٨. فيها بيان منزلة الصدق المورث للصديقية، وعظيم فضلها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" عليكم بالصدق فإنه يدعو إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة". متفق عليه.

٢٦١٩. قال البيضاوي: والمراد بالصدق الصدق في الدنيا فإن النافع ما كان حال التكليف.

٢٦٢٠. تفيد أن العمل الصالح ومنه الصدق ينفع الإنسان يوم القيامة، ففيها أهمية العمل وأنه من الإيمان.

٢٦٢١. فيها أن الجزاء من جنس العمل فجزاء الصادقين لصدقهم في الدنيا جنات تجري من تحتها الأنهار في الآخرة.

٢٦٢٢. قوله: ﴿يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ﴾ فيها رد على الجبرية؛ فنسب الصدق إليهم.

٢٦٢٣. قوله تعالى: ﴿لَهُمۡ جَنَّٰتٌ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ تفيد التشويق والتنويه بنعيم من أعظم ما في الجنة وهو الأنهار التي تجري من تحت القصور.

٢٦٢٤. جريان الأنهار نعمة فوق نعمة؛ لأن في الجريان وعدم التوقف نعيم في المنظر والمخبر.

٢٦٢٥. فيها: اجتماع البساتين المتنوعة، والجنان الملتفة، والأنهار الجارية من أعظم المتع التي تشوّق إلى الجنة.

٢٦٢٦. تفيد كثرة الجنات وتنوعها وعظمها؛ للتنكير في قوله: «جنات».

٢٦٢٧. تفيد إثبات الجنة والتشويق إلى نعيمها العظيم المقيم.

٢٦٢٨. قوله تعالى ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ تفيد أن الرضا يمثل قمة السعادة ويدل على نهايات ذرى الراحة النفسية للمؤمن في الآخرة، كما ورد في وعد الحق لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٤-٥]. وكما ورد في وصف حال النفس المطمئنة بالإيمان والذكر في الدنيا وما ستناله في الحياة الآخرة ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ﴾ [الفجر: ٢٧-٢٨].

٢٦٢٩. تفيد إثبات الرضى لله سبحانه وتعالى، وفي هذا رد على الجهمية.

٢٦٣٠. قوله تعالى ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ﴾ فيها: ذكر الخلود الأبدي من أعظم النعيم؛ فإن الإنسان إذا دخل الجنة ووجد فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، قد يخاف من مفارقتها بالموت فطمأنهم بالخلود والبقاء " وفي الحديث المتفق عليه، يقال لهم: "إن لك أن تحيوا فلا تموتوا أبدا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا، وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا".

٢٦٣١. قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ اسم الإشارة لتعظيم المشار إليه، وهو الجنّات والرضوان.

٢٦٣٢. تفيد أن دخول الجنة والتمتع بما فيها أعظم الفوز.

٢٦٣٣. فيها أنه جاء وصف الفوز بنعيم الجنة هنا بالعظيم لما اقترن بالخلود والرضوان من الله تعالى، بينما جاء وصفه بالمبين والكبير في آيات أخر دون الاقتران بهذين النعيمين.

قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ﴾ [المائدة: ١٢٠].

٢٦٣٤. مناسبتها لما قبلها أنه بعد ذكره سبحانه لما جرى بينه وبين عيسى عليه السلام، وتبرأ عيسى مما يدعي النصارى فيه بين سبحانه أنه المالك للسماوات والأرض وما فيهما، وأن عيسى ليس إلها ولا غيره.

٢٦٣٥. ومن المناسبات أيضا أنه لما افتتحت السورة بقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ المائدة: ١، ناسب أن تختم ببيان تمام ملكه، وقدرته سبحانه وتعالى، ولما افتتحت ببيان ما أحل من طيبات الأرض ناسب أن تختتم بذكر المائدة وهي من طيبات السماء لبيان عظيم نعمه وواسع فضله وملكه سبحانه.

٢٦٣٦. ومن المناسبات كذلك أنه لما سبق الرد على افتراءات اليهود والنصارى الذين أعرضوا عن عبادة الله، ورفضوا إجابة دعوة رسول الله، ناسب الختم بالتأكيد على خضوع كل الموجودات له سبحانه يتصرف بها بقدرته ووفق حكمته.

٢٦٣٧. ومن المناسبات كذلك أنه لما سبق وعد الله لعباده المؤمنين الصادقين بالفوز العظيم في جنات النعيم، جاء في هذه الآية بيان أن صاحب الوعد هو المالك المتصرف بملكه بحسب مشيئته سبحانه. قال القرطبي: جاء هذا عقب ما جرى من دعوى النصارى في عيسى أنه إله، فأخبر تعالى أن ملك السماوات والأرض له دون عيسى ودون سائر المخلوقين، ويجوز أن يكون المعنى أن الذي له ملك السماوات والأرض يعطي الجنات المتقدم ذكرها للمطيعين من عباده، جعلنا الله منهم بمنه وكرمه.

٢٦٣٨. قال الرازي: إنَّ مُفْتَتَحَ السُّورَةِ كانَ بِذِكْرِ العَهْدِ المُنْعَقِدِ بَيْنَ الرُّبُوبِيَّةِ والعُبُودِيَّةِ فَقالَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ ﴾ [المائدة: ١]، وكَمالُ حالِ المُؤْمِنِ في أنْ يَشْرَعَ في العُبُودِيَّةِ ويَنْتَهِيَ إلى الفَناءِ المَحْضِ عَنْ نَفْسِهِ بِالكُلِّيَّةِ، فالأوَّلُ هو الشَّرِيعَةُ وهو البِدايَةُ، والآخِرُ هو الحَقِيقَةُ وهو النِّهايَةُ. فَمُفْتَتَحُ السُّورَةِ مِنَ الشَّرِيعَةِ ومُخْتَتَمُها بِذِكْرِ كِبْرِياءِ اللَّهِ وجَلالِهِ وعِزَّتِهِ وقُدْرَتِهِ

وعُلُوِّهِ، وذَلِكَ هو الوُصُـــولُ إلى مَقامِ الحَقِيقَةِ، فَما أحْسَـــنَ المناسَـــبَةَ بَيْنَ ذَلِكَ المفْتَتَحِ، وهَذا المخْتَتَمِ.

٢٦٣٩. قال ابن عاشـور في الربط بين فاتحة السـورة وخاتمتها بل مناسـبة كونها من آخر ما نزل: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرُۢ ﴾ تَـذْيِيلٌ مُؤْذِنٌ بِانْتِهاءِ الكَلامِ، لِأنَّ هَذِهِ الجُمْلَةَ جَمَعَتْ عُبُودِيَّةَ كُلِّ المَوْجُوداتِ لِلَّهِ تَعالى، فَناسَـــبَتْ ما تَقَدَّمَ مِنَ الرَّدِّ عَلى النَّصارى، وتَضَمَّنَتْ أنَّ جَمِيعَها في تَصَرُّفِهِ تَعالى فَناسَبَتْ كَما تَقَدَّمَ مِن جَزاءِ الصّادِقِينَ. وفِيها مَعْنى التَّفْوِيضِ لِلَّهِ تَعالى في كُلِّ ما يَنْزِلُ، فَآذَنَتْ بِانْتِهاءِ نُزُولِ القُرْآنِ عَلى القَوْلِ بِأنَّ سُورَةَ المائِدَةِ آخِرُ ما نَزَلَ. وبِاقْتِرابِ وفاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِما في الآيَةِ مِن مَعْنى التَّسْلِيمِ لِلَّهِ وأنَّهُ الفَعّالُ لِما يُرِيدُ.

٢٦٤٠. وقال البقاعي: ولَمّا كانَ هَذا الَّذِي أباحَهُ لَهم وأباحَهم إيّاهُ؛ لا يَكُونُ إلّا بِأسْبابٍ لا تَسَعُها العُقُولُ؛ ولا تَكْتَنِهُ بِفُرُوعٍ؛ ولا أُصُولٍ؛ عَلَّلَ إعْطاءَهُ إيّاهُ؛ وسُهُولَتَهُ لَدَيْهِ؛ بِقَوْلِهِ - مُشِيرًا إلى أنَّ كُلَّ ما ادُّعِيَتْ فِيهِ الإلَهِيَّةُ مِمّا تَقَدَّمَ في هَذِهِ السُّورَةِ؛ وغَيْرِها؛ بَعِيدٌ عَنْ ذَلِكَ؛ لِأنَّهُ مِلْكُهُ؛ وفي مُلْكِهِ؛ وتَحْتَ قَهْرِهِ.

٢٦٤١. في الآية تقديم متعلق الخبر وهو الجار والمجرور ﴿ لِلَّهِ ﴾ يدل على الحصر.

٢٦٤٢. في الآية دلالة على التوحيد فمالك كل شيء هو المستحق للعبادة.

٢٦٤٣. في الآية إطلاق قدرة الله فهو مالك السـماوات والأرض وما فيهن وهو قادر على التصرف فيها بقدرته كيف يشاء، من إيجاد غيرها أو تبديلها أو تغيير ما فيها وغير ذلك.

٢٦٤٤. فيها: عموم ملكه سبحانه، ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّۚ ﴾.

٢٦٤٥. تفيد تعظيم الباري جل وعلا وتعلق القلوب به وإخلاص العبادة له.

٢٦٤٦. فيها: الرد على الفلاسـفة الذين يقولون: إنه ليس هناك شـيء لا سماوات ولا غيرها وإنما مجرات ونجوم.

٢٦٤٧. فيها: إفراد الأرض يعني أن الإنسـان إذا ملك ظاهر فهو مالك لها وما تحتها من الأرضين.

٢٦٤٨. قوله ﴿وَمَا فِيهِنَّ﴾، أي ما في السماوات من ملائكة، وسحب وما في الأرض من إنس، وجن، وشياطين، وجمادات ملك ثابت لله، ما أعظم ملكه سبحانه.

٢٦٤٩. تفيد الآية ضمنا عظيم قدرته سبحانه بخلق الإنسان، وتعبيده له، بما يرد نسبة عيسى عليه السلام إلى الله تعالى، إذ تملك وخلق السموات والأرض يقتضي خلقه للإنسان قال تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ [الإسراء: ٩٩].

٢٦٥٠. قوله سـبحانه ﴿وَمَا فِيهِنَّ﴾ غلب غير العقلاء، للإشـارة إلى أن كل المخلوقات مسخرة في قبضة قهره، وقدرته وقضائه وقدره وهم في ذلك التسخير كالجمادات التي لا قدرة لها، إذ إن قدرة سائر المخلوقات بالنسبة لقدرة الله كلا قدرة. (الوسيط في التفسير)

٢٦٥١. قال ابن عاشور: وجيء بالموصول (ما) في قوله ﴿وَمَا فِيهِنَّ﴾ دون (من) لأنّ (ما) هي الأصل في الموصول المبهم فلم يعتبر تغليب العقلاء.

قال ابن عثيمين: ﴿وَمَا﴾ هنا اسم موصول، وعبَّر بـ﴿وَمَا﴾ الأداة التي يُعَبَّر بها عن غير العاقل، قالوا: لأن أكثر ما في السـماوات والأرض من غير العقلاء، وأكبر ما في السماوات والأرض من غير العقلاء؛ فلهذا قال: ﴿وَمَافِيهِنَّ﴾، وقيل: بل عبَّر بـ﴿وَمَا﴾؛ لأنها تشمل الأعيان والأحوال، فكأنه قال: ﴿وَمَافِيهِنَّ﴾ من أعيانٍ وأحوال، و(مَن) إنما يعبر بها في العاقل لتعيين الشـخص نفسه، وهذه فائدة لا تكد تجدها عند كثير من النحويين، لكن ابن القيم رحمه الله في بدائع الفوائد أشـار إليها؛ أنَّ (مَنْ) للعاقل إذا قُصِدَ التعيين؛ يعني عينه، أما إذا قُصِدَ عموم الأعيان والأحوال فإنه يؤتى بـ(ما)، وأَبْيَن مثال لذلك قول الله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣]، ولم يقل: (من)، لكن لو قال قائل لشخص: تزوج مَن شئت مِن بناتي، فـ(مَن) هنا جاءت لأجل

التعيين، وهذا معنى لطيف؛ أنه إذا قُصِدَ بـ(ما) ما يشمل الأعيان والأحوال فإنها أفصح من الإتيان بـ(من).

٢٦٥٢. قوله ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيها أنه مهما بالغ الظالم في ظلمه، وازداد في غيه؛ فإنه لن يخرج عن ملك الواحد القهار، الإله الذي له ملك السماوات والأرض على اتساعهما وعظمتهما، يحكم في ملكه ما يريد.

٢٦٥٣. فيها زيادة التنبيه على عموم قدرة الله تعالى، وذلك بتقديم المعمول ﴿ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قبل العامل فيه والمتعلق به ﴿ قَدِيرٌ ﴾.

٢٦٥٤. السورة ذكرت كثيرا من المعجزات العجيبة والغريبة ولذلك لا مجال لاحد مهما بلغ من قوة عقله، ورجاحة فكره وعبقريته أن يستعظم شيئا على الله، فالله سبحانه له الملك المطلق والقدرة المطلقة المضبوطة بالحكمة، فناسب ذلك ان تختم السورة بقوله﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

تم بحمد الله

وبهذا تمت سورة المائدة في ٢٦٦٦ هداية

بتاريخ ٥/٢/١٤٤٠هـ

ولله الحمد والمنة ومنه التوفيق والعصمة.

تلخيص دكتور يوسف عبد الله